

عبدالرحيم محمود

شاعراً ومناضلاً

الدكتور محمود الشلبي

١٩٨٤


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الطبعـــة الاولـــى

عمـــــان

١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

الغلاف : للفنان خضر نعيم

الإهداء

ـــ الى روح أمي الطـــاهرة التـــي فـــاضت ، وهي تحلم بعنـــاق ابنهـــا المناضل « خير الشلبي » الذي تتقاســـمه ـــ اليوم ـــ سجون الاحتلال الصهيوني .

ـــ الى الشـــاعر الشـــهيد عبد الرحيـــممحمـــود الذي قاتـــل بالكلمة والجسد .

ـــ الى شـــهداء فلسطين الذين رفعـــوا بدمهم منـــارة الاجيال القـــادمة .

محمـــود



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعود صلتي بموضوع هذا البحث الى سنوات بعيدة ، يوم كنت طالبا على مقاعد الدرس ، حين استهواني الشعر ، واحتل في نفسي جانبا اثيرا ، فأقبلت على قصائد الشعراء المختارة ، أتذوقها ، واستظهرها لتكون ترنيمة ارى فيها ذاتي وأعكس من خلالها مطامح الصبا ، وتطلعات المستقبل ، ولا أتوانى عن ترديدها حين اخلو الى نفسي ، فاستشعر فيها سحرا أي سحر ، وطالما أحسست بعدها ، أن رغبة داخلية لقول الشعر تنازعني ، فأبدا المحاولة ..

وذات يوم ، دخل علينا معلم العربية ، يحمل قصيدة لشاعرنا عبدالرحيم عنوانها « الشهيد » أملاها ، وطلب منا استظهارها ، ومما جاء فيها :

سأحمل روحي على راحتي ... والقي بها في مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق ... واما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لا عشت ان لم اكن ... مخوف الجناب ، حرام الحمى
اذا قلت ، اصغى لي العالمون ... ودوى مقالي بين الورى

وقعت القصيدة في نفسي موقعا حسنا ، واحتل صاحبها في ذاكرتي مكانا ، فبدأت الطريق ، لأتعرف الى شخصية هذا الشاعر والى ظروف حياته واستشهاده وشاعريته ، فظفرت بقليل من شعره .. الا ان هاجسا ظل يرافقني ، ويحركني لمعرفة الحقيقة ، والوقوف على المزيد من شعر هذا الشاعر .

وقبل اعوام وقع في يدي ديوان عبدالرحيم المنشور في عمان سنة ١٩٥٨م ، فقرأته وخرجت بإضافات عن حياته ونضاله وعن شعره وشاعريته ، فزاد اعجابي به ، وعظم توقي لمعرفة المزيد من اشعاره ، وتتابعت الايام ، ونما الشعر في الداخل وازهر ، وظلت صورة الشاعر تحتل الذاكرة ، الى ان وقعت على ديوانه الذي اصدره اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين عن دار العودة في بيروت سنة ١٩٧٤م ، كان الدكتور كامل السوافيري قد جمع قصائده وقدم لها ، وزاد بعض

القصائد على ما ورد في ديوانه الصادر سنة ١٩٥٨ .

كنت اعلم مدى الاهمية التي يتمتع بها هذا الشاعر ، ومدى الاغفال الذي يلقاه من الدارسين والباحثين والمثقفين والقراء ،فزادني ذلك رغبة وحبا في الاقبال عليه.

واختياري لهذا البحث مستمد أيضا من اهمية الدور الذي لعبه الشعراء الفلسطينيون في مواجهة الانتداب البريطاني والهجمة الصهيونية لتوعية الجماهير وتحريضها على النضال ، كما يتصل بتقديري للدور الطليعي المتفرد الذي اداه شاعرنا الشهيد ، حين لحم شعره بنضاله،وآلف بين فنه وكفاحه ، وحقق الشهادة التي يطمح اليها الابطال وهم يعبرون برزخ الحياة الى الدار الاخرة ، ليحققوا حلمهم الجميل في عالم الخلود .

وقد بذلت قصارى جهدي ، لاخراج البحث في صورة مرضية ، ولاقدم للقاريء بعض ما يجهله عن شاعرنا ، ولست أزعم أنني وصلت بالبحث الى مرتبة الكمال ، أو أنني أحطت بشعر الشاعر كله ، فما زال المجال مفتوحا امام الباحثين لتناول هذا الشاعر من جوانب اخرى ، فقد يعثرون على مزيد من اشعاره واخباره التي تضيف الى البحوث والدراسات ما هو جديد ومفيد .

خطة البحث :

قسمت البحث على مقدمة ومدخل وبابين وملحق ..

تناولت في المدخل حياة الشاعر وشخصيته وثقافته ومشاركته الوطنية واستشهاده وجعلت عنوان الباب الاول : المضامين الشعرية ، وقسمته على فصلين ، تناولت في الفصل الاول شعر عبد الرحيم محمود في الاطار الوطني ، وتحدثت عن المواقف الثورية في شعره وقسمتها الى : ــ

١ ــ التحريض على النضال

٢ ــ مواقف ملتزمة (الرفض ، الغضب ، الارض)

٣ ــ الغربة والحنين

٤ ــ الرؤية المستقبلية والحس النقدي

٥ ــ الرغبة في الشهادة

وتحدثت في الفصل الثاني عن شعر عبد الرحيم في الاطار الاجتماعي والانساني والتأملي وكيف كرس عبد الرحيم جانبـــا من شعره للحديث عن الفقراء والعمال وكشـــفت — بقدر الامكان — عن ملامح انسانية في شعره ، ووقفت معه وقفات تأملية .

وتناولت في الفصل الثالث شعر شاعرنا في الاطار الوجداني ، فعرضت الخط العريض الذي يرسم وجدانه ، وتحدثت عن لـــذة الحب وكبريائه .

وخصصت الباب الثاني للحديث عن « التشكيل الفني ومنزلة الشاعر » وقسمته على فصـــلين : —

تحدثت في الاول عن التشكيل الفني ، فتناولت اللغة والتكرار والنمط الشـــعبي في التعبير والصراحة والرمز ثم ملامـــــح من القرآن الكريم والشعر العربي عنده ، وانتهيت الى الحديث عن الصورة الفنية وعن الموسيقى وبنـــاء القصيدة في شعره .

وتناولت في الفصل الثاني « منزلة الشاعر » وبينت موقعه بين شعراء ثورة ١٩٣٦م كما أوضحت ان شعراء الارض المحتلـــة امتـــداد لشــــعراء الجيــــــل الاول وفصلت القول في مكانة عبد الرحيم محمود بين ادبـــاء عصره ، فعرضت لاراء النقاد والدارسين فيه وسخرت قلمي في مناقشـــة الاراء ثم القيت نظرة اخيرة علـــــى منزلته الشـــعرية .

وفي الملحق أضفت عـــدة قصائد ، نظرا لعـــدم ذيوعها ، ولعـــدم ورودها جميعها في الكتب التي جمعت شعر الشاعر ، وقـــد أفـــدت منهـــا في اثناء دراستي شعره .

وربمـــا أسهم هذا البحث في تعميق المواقف النضالية والحياتية في شعره مـــن جهة ، وفي ابراز شاعريته من جهة اخرى، وفي تسليط الاضواء على موضوعين مهمين في شعره ، عرفتهما القلة النادرة وهما : شعره الاجتماعي وشعره الوجداني .

وفي الختام أحمـــد اللـــه الذي هيـــأ لي فرصة البحث ، وأرجو أن يجعل في هذا العمل نفعـــا وفائدة .

والله الموفق ،

محمود الشلبي

اربد / الاول من شباط ١٩٧٨م.



مَدخل

حياة عبد الرحيم ونضاله



« مــدخــل »

« حياة عبد الرحيم ونضـــاله »

١ ــ حيـــاته :

في قرية « عنبتا » (١) احدى قرى طولكرم في فلسطين ، قدر للشاعر عبد الر محمود ان يخرج الى هذا العالم وأن يــرى النــور .

واختلف في تحديد تاريخ مولده ، فقد ذكرت روايات (٢) انـــه ولد في ربيـــع عام ١٩١٣م ، وأشارت روايات اخرى (٣) الى أنـــه ولـــد في ربيـــع عام ١٩١٤م. وهـــذه

١ ــ قرية في فلسطين تقع على طريق نابلس ــ طولكرم ، ويقال انها اشتهرت بكروم العنب ذلـك أن اسمها مأخوذ من (Enba) السريانية بمعنى عنب ، كمـــا يذكر مصطفى الدباغ في (بلادنا فلسطين) ، وهناك من يقول ان اسمها مأخوذ من (عين بتا) وهي ماء عين في شمال القرية . وعنبتا قرية زراعيـــة تشتهر بحبوبها وبقولها وخضرها وفواكهها وزيتونها ، وتحيط بها اراضي طولكرم وكفر اللبد ، ويذكر الدباغ ان عنبتا تحتوي على قبور وصهاريج منقورة في الصخر ويجاورها عدد من الخربات مثل خربة نيربة ، وخربة ابي خميش ، وخربة الزهران ، وخربة التل ، ويحيط بعنبتـــا جبلان هما : كفـــر اللبد من الجنـــوب ، وبلعا من الشمال ، يفصل بينهما شارع نابلس ــ طولكرم ، وبهـــا واد يدعى وادي الشعير ، وقـــد عرفـــت (عنبتا) بفتـــح اوله وثانيه وسكون ثالثه وتاء والف باسمها هذا في العهـــد الروماني ، ويذكر الدباغ ايضا انـــه ينسب اليها كل من : احمد بن عبد الرحيم بن حمدان بن حميد الشهاب ابن الزين العنبتاوي والحنبلي ولد سنة ٧٧٦هـ وتوفي سنة ٨٤٠هـ ، واخيه ابراهيم الذي اخذ العلم من علمـــاء دمشق وطـــوف في الامصار ، حيـــث اشتغل بالتجارة فتـــردد علـــى القاهرة ثم طـــاف العجم واسيا الصغرى وعـــرف لسانهما (٧٨٣هـ ــ ٨٥٠هـ) .

ــ انظـــر في ذلك مصطفى مراد الدباغ (بلادنا فلسطين) ج ٣ ص ٢٩٧ ــ ٣٠١ .

٢ ــ انظر د. ناصر الدين الاسد محاضرات في الشعـــر الحديث في فلســـطين والاردن ، مطبعة لجنـــة البيـــان العـــربي ــ القاهرة سنة ١٩٦٠م ــ معهـــد الدراسات العربية العالمية ــ جامعة الدول العربية ص ١٧١ ، وديوان عبد الرحيم محمود ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين/جمع وتقديم الدكتور كامل السوافيري ــ دار العودة ــ بيروت ١٩٧٤ . ومصطفى مراد الدباغ المصدر السابق ص ٢٩٧ــ٣٠١ .

٣ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ــ مكتبة بلدية نابلس العامة ــ ١٩٧٥ ص٦ وانظر محمد احمد حماد في لباب الثقافة والادب ، دار القومية العربية للثقافة والنشر . القاهرة ــ الطبعة الاولى سنة ١٩٦٢ ص ــ ٣٣٤ .

أرجــح الروايات ، نظرا لورودها في أكثرمن مرجع ، ولتأكيدها من معاصريه . ومهما يكن من أمــر ، فقــد ولد عبد الرحيم والحرب العالمية الاولى على الابواب .

كان أبوه الشيخ محمود عبد الحليم عبدالله شيخا وقورا ، عالما بأصول الفقه ، اشتغل بالقضاء الشرعي ، وعمــل مفتشـــا في الدولة العثمانية ، وعمــل بالمحــاماة الشرعية . وكان من الشعراء الظرفاء الذين ينظمون الشعر ويتعشقونه ويطربون له ، ولعــل دراسته الازهرية ، قد منحته ثقافةواسعة ، فظهرت له ميول أدبية ، ونقدية، ودينيـــة مبكــرة .

ذكر لي ابنه «طلال»(١)، ان جده الشيخ محمود تزوج خمس نساء ، كما ذكر أن لوالده الشاعر عبد الرحيم خمسة أخوة : حافظ فعبد الحليم فكامل فعبد الكريم فنجيب، أما والدة عبد الرحيم فهي الحاجة « كاملة الحاج نصار » ذكر أن جده تزوجها وهي أولى زوجاته . وتزوج عبد الرحيم من « محفوظة » ابنة ابراهيم نصار ، لم تنل حظا وافرا من التعليم والثقافة ، فلم تتجاوز الصف التاسع في فلسطين آنذاك ــ حسب روايــة ابنها ــ ومع ذلك يعد تحصيلها العلمي هذا جيدا اذا ما قيس بالنسبة للوضع الثقافي للمرأة في تلك الايام . كما أنجب عبد الرحيم ثلاثة أبناء هم : الطيب وطلال ورقية .

في هذه البيئة نشأ الشاعر وهو يرى والده منهمكا في قضايا العلم والتعليم والفقه والقضاء والمحاماة والشعر ، فنشأ الصبي وقد أعد للاقبال على العلم ، والتـــزود بالادب ، أدخله والده مدرسة القرية الابتدائية ، حيث أكمل الصف الخامس فـــي « عنبتا » (٢) وانتقل بعد ذلك الى مدينة طولكرم أقرب المدن لقريتها ، ليتابع دراسته

١ ــ مقابلة شخصية مع ابنــه الاصغر « طلال » في عمان/دائرة المطبوعات والنشر سنة ١٩٧٦م . وقد اكدت هذه المعلومات حين تحدثت الى السيد عزت نصار عم زوجة عبد الرحيم وصديق الشاعر فـــي اربد في ١٣/٧/١٩٧٧ . ويبلغ من العمر ٦٥ عاما .

٢ ــ يــورد مصطفى الدباغ احصائية في (بلادنا فلسطين) (٣/٢٩٨ــ٣٠٠) فيقــول :
كان في عنبتا في عام ١٩٢٢ (١٦٠٦) نفس وفي عام ١٩٣١ بلغوا ٢٤٩٨ شخص لهم ٥٠٢ بيت ومــن هؤلاء

فيها حتى أنهى الصفين : السادس والسابع الابتدائيين ، ثم طمحت نفسه للاستزادة من العلم ، فقصد نابلس ، حيث مدرسة النجاح الوطنية ، وأكمل فيها دراسته الثانوية، وهناك التقى أستاذه الشاعر : ابراهيم طوقا ن، فتلقى على يديـــــه الادب العربي ، ولمس الاستاذ بتلميذه مخايل النباهة والنجابة ، واكتشف فيه الموهبة الصادقة لقــول الشعر ، فدفعه اليه بتشجيع واعجاب ، وأعجب التلميذ بأستاذه فأحبه ، وتأصلــت في نفسيهما صداقة قوية وحدتها روح الشعر ، وروح الوطنية .

تقول فدوى طوقان :

« زاول ابراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة ، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية ، فحبب اليهم الشعر والادب ، ولا أزال أذكر ذلك اليــــوم الذي اقبل فيه يحدثنا مبتهجا ، بأن بعض تلاميذه النجب قــد بدأوا ينظمون الشعر على يـــده » (١) .

وكان لمدرسة النجاح الوطنية ــ جامعة النجاح الوطنية حاليا ــ دور عظيم فــي تعليم أبناء فلسطين مختلف الفنون والآداب والعلوم اذ غرست في نفوسهم حب الوطن،

= السكان اهل « اكتابا » و « نور شمس » المجاورتين . أما المسيحيون فيشكلون خمســـة وعشرين ذكــرا وتسع انــاث واليهود يشكلون ستة ذكــور والدروز واحــدا . كمـــا قــدر عدد سكان عنبتــا في ١/٤/١٩٤٥ بـ (٣١٢٠) شخصا بما في ذلك ســكان اكتابا ، بينهم اربعون مسيحيا والباقي مسلمون. وفي ١٨/١١/١٩٦١ كان في عنبتـــا (٤٠١٨) نسمة بينهم ١٨٩٣ من الذكور و ٢١٢٥ مــن الاناث يؤلفون ٧٦٣ أسرة وبلغ عدد الابنية ٧٠٩ وفي عنبتا مسجد حسن .

وفي عنبتا عام ١٩٦٧ مدرستان الاولى ثانوية ضمت في صفوف مراحلها المختلفة ٧٩٢ طالبــا والثانية للبنـــات وهي اعدادية ، ضمت في صــفوفها الابتدائية والاعدادية ٥٩٣ طالبة (احصاء عام ١٩٦٦ــ١٩٦٧م) وتشرب القــرية من مياه بئــر نبــع لهـــا من العمق اكثر من ١٥٠ متر ، وقـــد وزعت مياههـــا بالانابيب علــى البيـــوت .

وبعد عام النكسة ١٩٦٧ حيث وقعت تحت الاحتلال الصهيوني ، تفــرق أهل عنبتــا ، بقي قســـم منـــهم في القــرية وتفــرق الباقي خارجها ويبلغ عدد سكانها هذه الايام حوالي ٩ الاف نسمة .

١ ــ ديــوان ابراهيم طوقان : المقدمة ص ٢١ .

ونمت مشاعرهم الوطنية والثورية ، فأخلصوا للوطن ، كرهوا الاستعمار البريطاني ، وتنبهوا لخطر الصهيونية ، ويمكن القول : انهـــا اعدت جيلا واعيا من شباب فلسطين، تمرس بالاعمال الادبية والوطنية ، وتسلم دور القيادة بوعي واخلاص .

ويمكن تحديد الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٢٨ ــ وعام ١٩٣١ زمنا دراسيـــا قضاه عبد الرحيم في مدرسة النجاح الثانوية في نابلس ، حيث تخرج في العام الدراسي ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ ، كمـــا التقى الشاعر عددا من رجالات فلسطين الذين كانوا يدرسون في هذه المدرسة . وبعد تخرجه ، عمل شرطيا لثلاث سنوات في عهد حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وترك الشرطة حين ضاق بأوامر الانجليز ، ورفض الاستجابة لمطالبهم عندما كلفوه تتبع الثوار الفلسطينيين وملاحقتهم ، وكيف له ذلك ؟ وهو أحدهم ... فقد كانت نفسه معبأة بكل ارهاصات الثورة ، وعناصر الوطنية الصادقة .

ويعاوده الحنين الى مدرسته فيعود اليها معلما للادب العربي ، حيث كان شغوفا بمادته ، وهناك تمكن من تحبيب الادب والشعر الى قلوب طلابه ، وحشدهم بطاقات وطنية ، تستند على الاقناع والفهم ، فنشأ منهم جيل واع يقدر الكلمة الموقف ، ويقدس لارض ، ويتفانى في الدفاع عن الوطن .

٢ ـ شخصية الشاعر وثقافته

أ ــ شخصيتـــــه :

كلما استحضرت الى ذهني شخصية هذا الشاعر الشهيد تذكرت قول الاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني فيه : « أطأطىء رأسي مرة أمام شعرك ، ومائة مرة أمام دمك الزكي الذي بذلته في سبيل الوطن الغالي » (١) . ذلك أن هذا التفرد فـــي شخصيته جعله في مصاف الشعراء المجيدين مرة ، وفي مراتب المناضلين الشهداء مرة أخرى .

---

١ ــ انظر رثاء اسحق موسى الحسيني للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في : ديـــوان عبد الرحيم محمود ، شركة الطباعة الحديثة ــ عمان ، ط ١ ، ١٩٥٨ ، ص ٥٨ ، وسنشير اليه في الهامش بكلمة (الديوان) .

من ريف فلسطين العامر بالنخوة والشجاعة والاقدام ، طلع شاعرنا فتى فيه صلابة الجبل ، ورحابة السهل ، اقبل على العلم برغبة ملحة ، ونشاط ملحوظ ، تفتقت شاعريته فنال اعجاب اساتذته ، واتضح حبه الوطني ، فنظم الشعر وجوده وشجعه على ذلك أستاذه الشاعر ابراهيم طوقان ... وقرأ عبد الرحيم لشعراء العربية وتأثر بشعرهم لكنه اتخذ لنفسه فيما بعد شخصية أدبية واضحة المعالم ، مثلما تكونت له شخصية وطنية قوية . ويبدو أن التحام الشاعر بالوطن كان هما وطنيا ، حمله الشاعر وعبر عنه في شعره ومواقفه من الناس والحياة ، كما كان هذا الهم الوطني شغله الشاغل ، وهاجسه الذي يلح عليه دائما للمشاركة النضالية والانجذاب الى صفوف الثوار .

وعندما التحق عبد الرحيم بسلك الشرطة زمن حكومة الانتداب ، رفض الاذعان لاوامر الحكومة الرامية الى ملاحقة الثوار والقضاء عليهم ، فتمرد باصرار الواثق وانتفض انتفاضة الثوري الملتزم بمواقفه وتطلعاته .

ويفر الى العراق ، وفي نفسه حنين الى وطنه ، لان رغبته في الاستشهاد ومعانقة الارض تسبقه في حله وترحاله ، لكن حرصه على استكمال ثقافته الحربية ، واغناء امكاناته العسكرية يدفعانه للالتحاق بالكلية الحربية ليتخرج فيها ضابطا . ويشارك في ثورة العراق المناهضة للاستعمار البريطاني ، تأكيدا منه على أن الوطن العربي بقعة واحدة ، وان مصيره رهن بالتزام ابنائه في الدفاع عنه .

وعبد الرحيم هو المعلم المثقف الواعي لقيمة العلم وأثره في التقدم والنصر ، يعمل بالتعليم في فلسطين والعراق ، ويدأب في تعليم طلابه حب الادب والشعر ، ويعزز في نفوسهم معنى الوطنية ، وينبههم الى المحاولات الاستعمارية لبريطانيا والصهيونية الرامية الى استلاب الارض ، لاقامة وطن قومي لليهود عليها ، وتهجير المواطن الفلسطيني .

وعبد الرحيم شاعر الفقراء والطبقة العاملة — كما توضحه دراستنا لشعره — كما انه شاعر الصراع الطبقي ، ونصير الفئات الفلاحية الكادحة ، يقف منهم وبجانبهم مواقف فكرية وانسانية واعية .

كان عبد الرحيم ثائرا في فكره وكفاحه ، لم يهن يوما لعدوه ، وان حزن ، فحزنه اثر من حسه الوطني الصادق ، واثر من انتمائه المقدس لعروبته وترابه وتراثه . زاوج بين الشعر والنضال ، ووحد بين التعليم والثورة ، وقدم نفسه مثقفا ثوريا واعيا . . .
واخيرا غمس عبد الرحيم كلمته بالدم ، فكان الفتى الفلسطيني الذي اختصر وجدان شعبه ، فقدم نفسه شهيد الحق والوطن . ولا غرابة فهكذا الابطال يقضون ، في لحظة حاسمة تعاف أرواحهم دنيا الجسد وتفر الى عالم الخلود ، في مواكب ممهورة بالنار والدم .

ب ـ ثقافتـــــه :

نشأ الشاعر في بيت ريفي بسيط ، كان والده الشيخ محمود عبد الحليم عبد الله عالما ، وشاعرا ، عمل بالقضاء الشرعي ، والتفتيش والمحاماة ، ودرس في الازهر الشريف ، ومن هنا تفتحت عينا الشاعر على ثقافة متعددة الجوانب ، هيأها له والده ، وهو لم ينتقل بعد الى مدرسة القرية ليأخذ منها ما تيسر له .

ويمكن أن نقف على ثقافة الشاعر بالرجوع الى مصادرها وتحديدها على النحو التالي :

١ ـ التعليم المدرسي .
٢ ـ الثقافة الدينية والتاريخية والاجتماعية .
٣ ـ الثقافة الادبية واللغوية .
٤ ـ الثقافة العسكرية والسياسية .

١ ـ التعليم المدرسي :

نقصد به الثقافة التي رفدته بها مناهج المدرسة منذ المرحلة الابتدائية وحتى تخرجه في المدرسة الثانوية في نابلس ، لذا فان دراسته لم تجاوز الثانوية العامة (المترك الفلسطيني) في ذلك الوقت ، وهي شهادة عالية في تلك الايام وان بدت لنا متوسطة اليوم . . .

لم ينل عبد الرحيم حظا من التعليم الجامعي ، لان الاحوال السياسية في فلسطين

لم تهيء لابناء البلاد جامعات وطنية يواصلون فيها تحصيلهم العلمي ، ومن هنا قصد قسم من ابناء فلسطين — ممن توفرت لهم ظروف اقتصادية جيدة — الجامعات العربية، واتصل غيرهم بالجامعات الاجنبية .

لكن المناهج المدرسية في فلسطين في عهد الشاعر كانت على درجة كبيرة من القوة والتنوع — وان حاولت حكومة الانتداب اخضاعها لرقابتها والحد منها — فقد غرست تلك المناهج في نفوس الطلاب الاداب والعلوم ، وحببت اليهم تراثهم العربي والاسلامي، فعشقوا وطنهم وشعروا بانتمائهم الصادق اليه ، في حين توفر لمدرسة النجاح الوطنية نخبة من الاساتذة الاكفاء ، ومكانة علمية وأدبية جعلت منها مركز اشعاع فكري ، فتخرج فيها عدد من أدباء فلسطين ومؤرخيها ، وعلمائها ، ومناضليها .

في هذه المدرسة تنوعت ثقافة الشاعر ، واتصل بغيره ، وعرف الحياة بالممارسة والخبرة ... فأطل على دنيا جديدة .

٢ — الثقافة الدينية والتاريخية والاجتماعية :

لم تكن المدرسة هي المحيط الوحيد الذي نما فيه فكر الشاعر وكبر ، كانت الحياة مدرسة من نوع اخر ، أمدته بثقافة كبيرة ، ووعي عميق .

وسع الشاعر ثقافته الدينية : فدرس القرآن الكريم والحديث الشريف وأفاد منهما ، فانعكس تأثيرهما في شعره وسنتحدث عن هذه الظاهرة ونحن ندرس خصائص الشاعر الفنية ، كما درس التاريخ وتعرف الى شخصياته واتصل بالحياة السياسية في فلسطين ، وعاصر أحداثها ، وشارك فيها ، وحضر عددا من المؤتمرات الوطنية الفلسطينية ، والتقى عددا من الشخصيات العربية والفلسطينية والاجنبية .

وتوزعت حياته ما بين القرية والمدينة والبادية ، اكتسب من القرية الفلسطينية البساطة والطيبة والجرأة ، ووهبته الطبيعة ارهافا في الحس ، ورحابة في الخيال ، وعمقا في النظرة . وكان لتقلبه ما بين الجبل والسهل انعكاس على شخصيته وثقافته، فاكتسب القوة والصلابة والتحدي ، وكان لاتصاله بمجتمع المدينة اضافات جديدة لحياته ، اطلع على الشرائح البشرية فيها ، وأدرك التمايز الطبقي الحاصل ما بين الريف والمدينة فوقف نصيرا للفقراء والعمال والفلاحين،وحمل على الاغنياء والاقطاعيين

وأصحاب رؤوس الاموال ... وفي المدينة اتيح له أن يتصل بالمثقفين ممن يقيمون فيها أو يختلفون اليها . ولعل البادية قد اكسبته الشجاعة والاعتماد على النفس ، والصبر على الشدائد ، وهو يجتازها مرتحلا الى العراق ... أو آيبا الى فلسطين ، كما منحته فرصة للتأمل والنظر في الاشياء . وحين ينتهي به المسير والتطواف الى حجر وسط كثبان الصحراء ، يسند رأسه المثقل بالهم والتعب اليه ، ويستغرق في تأملاته وتساؤلاته :

فيم انفرادك لا انيس (م) تراه في القفر المخيف
في ربقة الوهج الحرور روغل عاصفة عصوف
وصبرت للهوج اللوا فح في الضحى صبر الانوف
أرضيت بالصحراء عن ظل المنمقة الغريف
وطلبت وحدة راهب فيها وعزلة فيلسوف (١)

٣ ــ الثقافة الادبية واللغوية :

اذا أضفنا التحصيل العلمي الذي ناله عبد الرحيم من دراسته الى قراءاته الادبية واللغوية الاضافية ، تشكلت بذلك حدود ثقافته هذه ، وانضافت بالتالي الحياة الى المدرسة لتتعاونا في توسيع اطار ثقافته وتعميقها .

قرأ عبد الرحيم لشعراء العربية القدامى والمحدثين ، وتأثر بهم : قرأ للمتنبي ، ولصفي الدين الحلي ، وعارض الثاني بقصيدة عنوانها : « جيش الحبائب » (٢) ، والواقع أنه اطلع على بعض الدواوين الشعرية العربية في مختلف العصور ، وسنأتي الى ايضاح ذلك وابرازه في مكان لاحق من هذا البحث تحت عنوان : « ملامح من القرآن الكريم والشعر العربي » ... نذكرها معززة بالنماذج التي اقتبسها الشاعر أو ضمنها شعره .

---

١ ــ الديوان ص ٢١ . وانظر كذلك ديوان عبد الرحيم محمود ــ دار العودة ، ص ١٧٤ ، وانظر اعلام الفكر والادب الفلسطيني ــ مكتبة نابلس العامة . ص ٥٧ .

٢ ــ انظر القصيدة في : الامالي البيروتية ، السنة الاولى ، عدد ١٩٣٨/٩ ص ٢٧٩/١٩ ، وانظر كذلك الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، نابلس ١٩٧٥ ، ص ٦٧ .

وعلاقة الشاعر بمعاصريه الشاعرين : ابراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي « أبي سلمى » كانت قوية ، فالاول أستاذ في كلية النجاح ، ومعلمه الذي اكتشف موهبته الشعرية وشجعه على مواصلة الشعر ... وكان له أثر في حياته الادبية .

أما الكرمي فكان شاعرنا يلتقيه ، ويجالسه ، وقد ساق أبو سلمى طرفا من اخبارهما حين التقيا في دمشق عام ١٩٤٨م (١).. وهؤلاء الشعراء الثلاثة ، عاشوا في ظروف سياسية متشابهة تماما ان لم تكن واحدة وكانوا يتنفسون في مناخ أدبي مشترك، ويصدرون عن مفهوم واحد للوطنية .

وربما التقى شاعرنا في العراق بالشاعرين الكبيرين : معروف الرصافي ، ومحمد مهدي الجواهري ، وكان لهذا انعكاس في فنه الشعري كما سنرى .

هذا عن ثقافته الادبية بعامة ، أما عن ثقافته اللغوية بخاصة فقد أتسعت بفضل قراءاته واتصالاته بالحياة والمجتمعات البشرية والفكرية ... بالاضافة الى تحصيله اللغوي وممارساته في كتابة الشعر ... وسنرى كيف أنه تمكن من توسيع لغته ، بالاعتماد على تراثه والافادة منه ، كما استلهم الاسلوب الشعبي في التعبير عند العامة، فجاءت العبارة في مكانها من شعره . ولنا حديث عن لغته ونحن نعرض لخصائصه الفنية .

٤ ـ الثقافة العسكرية والسياسية :

مزج عبد الرحيم تجربته الفنية والنضالية ، وكان الشاعر قد زود نفسه بثقافة عسكرية وحربية منذ تخرجه في المدرسة الثانوية ، فعمل شرطيا وألم بطرف من القوانين العسكرية والانظمة المدنية ، ولكنه شعر بحاجته لمزيد من التدريب العسكري ، والكفاءة الحربية ، فدخل الكلية الحربية في العراق وتخرج فيها ضابطا ، وأتقن التدريبات العسكرية ، وأحسن استخدام السلاح ، كما شارك عمليا في ثورة رشيد عالي الكيلاني المناوئة للاستعمار البريطاني ، وبذا اكتسب ثقافة حربية وهو بعد طري العود .

وحين عاد الى فلسطين اتسعت معلوماته العسكرية والحربية بالخبرة

١ ـ عبد الكريم الكرمي ـ كفاح عرب فلسطين ، ص ١٤١ وما بعدها .

بالممارسة ، فحمل السلاح ثائرا مع الثوار ، متنقلا في جبال فلسطين ، وسهولها ، وشارك في ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ الى جانب القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد . اصيب الشاعر في احدى هذه المعارك .. ثم تمرس فيما بعد بفنون القتال، وأساليب الثورات . وعين في اخر أيامه آمرا للانضباط اثناء حرب ١٩٤٨ في القطاع الشمالي من فلسطين ، وفيقضاء الناصرة بالذات .

تمرس بالنضال منذ مطلع الثلاثينات الى نهاية الاربعينات ، حيث نال الشهادة في معركة الشجرة في الثالث عشر من تموز ١٩٤٨م.

وكانت مواقف الشاعر السياسية والوطنية مشرفة ، وملتزمة ، والنظرة في شعره الوطني والسياسي ترينا مدى وعي الشاعر السياسي ، وتضعنا أمام مواقفه الايجابية الجريئة من : وعد بلفور ، وعيد الجامعة العربية ، ولجنة بيل الملكية واقتراحاتها لانشاء مجلس تشريعي للنظر في أسباب ثورة ١٩٣٦ . وكانت له رؤية مستقبلية يرى من خلالها ما تؤول اليه البلاد ، استنادا على ما تعانيه في حاضرها ، فحين زار الامير سعود بن عبد العزيز فلسطين سنة ١٩٣٥ ومر بقرية الشاعر « عنبتا » انشده الشاعر قصيدة جاء فيها :

ياذا الامير امام عينيك شاعر ضمت على الشكوي المريرة اضلعه
المسجد الاقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه (١)

لقد وعى الشاعر ــ فيما بعد ــ الظروف السياسية التي اجتاحت فلسطين منذ الحرب العالمية الاولى حتى نهاية عام ١٩٤٨ ، وشعر بالخطر المحدق ببلاده ، والمحاولات الاستعمارية الرامية لامتلاك الارض الفلسطينية ، وتهجير أهلها ، واقامة وطن قومي لليهود عليها . ولاحظ تدفق موجات الهجرة الصهيونية الى فلسطين، وتألم من مواقف بريطانيا العدائية من القضية الفلسطينية والعربية ، فسخر شعره لتسجيل ذلك ، في محاولة وطنية صادقة لتوعية الجماهير الفلسطينية ومحاولة تغيير الاوضاع وتجاوز الواقع الصعب .. ومن هنا فقد امتزج وعيه السياسي بنضاله الحربي .

١ ــ انظر قصيدته « نجم السعود » في الديوان/عمان/١٩٥٨ ، ص ٤١ . وانظر ايضا قصائده الاخرى

٣ ــ مشاركاته الوطنية :

عمل الشاعر في مهنة التعليم حتى عام ١٩٣٦م ، عام الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت ثلاث سنوات ، تخللها أطول اضراب عرفه تاريخ الوطن استمر ستة اشهر . في هذه الاثناء شعر عبد الرحيم بنداء الوطن ، فترك التعليم ، وانضم الى صفوف الثوار الفلسطينيين في جبال نابلس تحت لواء القائد « عبد الرحيم الحاج محمد المكنى بأبي كمال » يؤدي واجبه الوطني خير اداء ، متقلدا سلاحه ، ومرافقا الثوار من مكان الى مكان ، كأشجع ما يكون الفارس الشاعر .. وكانت رغبته في معانقة الموت ونيل الشهادة تراوده في كل حين ، لانه يرى في ذلك حياة جديدة ، وعودة الى امه الارض بشرف وكبرياء ، ويندفع الشعر الثوري على لسانه ليكون زادا له في ثورته ، ويكتب في هذا الوقت (١٩٣٦ــ١٩٣٩) قصيدة «الشهيد»(١) التي اكسبته شهرة واسعة ، يقول فيها :

سأحمل روحي على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق	واما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان :	ورود المنايا ونيل المنى

حسبت حكومة الانتداب لهذا الشاعر المناضل كل حساب ، لانه كان مجاهدا بشعره وسلاحه ، فطاردته وتتبعته ، ففر الى العراق حين ضيق الانجليز عليه الخناق ، وكانت رغبته في الاستشهاد تدفعه دائما الى المشاركة في معارك الثورة والتحرير ، وفي العراق وجد نفسه بحاجة الى التدريب العسكري فانخرط في الكلية الحربية ببغداد « مع رهط من المناضلين الفلسطينيين المؤهلين علميا ، وكان على

وعد بلفور ، وعيد الجامعة العربية ، والى كل متهاود في الديوان الصفحات : ٣٩ ، ٢٥ ، ٣٨.
وانظر ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، القصائد السابقة : ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٢٧.

١ ــ انظر القصيدة في الديوان : ص ١٢/عمان ١٩٥٨ ، ومحمد احمد حماد/لباب الثقافة والادب ص ٣٣٤ــ٣٣٥ ، وانظر عيسى الناعوري : الجديد في الادب العربي ، ط ٢ ، ص ١٣٣ــ١٣٤ ، و د. ناصر الدين الاسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ص ١٧٤ ، ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٢٠ .

رأسهم القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ، فتلقوا فيها دراسة عسكرية أكسبتهم خبرة ومرانا في الشئون العسكرية » (١). وتخرج عبد الرحيم فيها ضابطا .

وحين نشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ ، وهي ثورة تناهض الانجليز شارك شاعرنا فيها ، فامتد نضاله العسكري الى خارج حدود فلسطين ، كما شارك في هذه الثورة عدد من أحرار العراق ومن الفلسطينيين ولم يتح لهذه الثورة النجاح ، فتفرق الثوار — ومنهم عبد الرحيم محمود ورفاقه من فلسطين — وقفلوا عائدين الى بلادهم ، في حين استقر رشيد عالي الكيلاني في الحجاز . (٢)

و فياثناء اقامة الشاعر في العراق عمل في ميدان التعليم ، مديرا لاحدى المدارس الابتدائية في البصرة ، والتقى فيها بشاعري العراق الكبيرين : معروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري ، كما تأثر ببيئة البصرة وما فيها من ماء ونخيل وفي ذلك يقول :

يقال البصرة اشتهرت بتمر	سلوها هل يملك الفقراء تمرة
هناك على جناح العز ناس	وناس من معاوزهم بغمرة
فهل أمر الزنوج له معاد	وكم شيء كرهت حمدت أمره (٣)

ويبدو أن حنين الشاعر للتعليم كحنينه للنضال كان يعاوده بين الحين والاخر فهو يعود الى مدرسة « كلية النجاح الوطنية في نابلس » ليعمل معلما للادب العربي والتربية الرياضية فيها ، وهناك تتفجر ينابيع شاعريته الثرة ، فيكتب شعرا وطنيا واجتماعيا ووجدانيا ، ويعزز في نفوس طلابه حب الشعر والوطن .

وظل عبد الرحيم محمود يمارس مهنة التعليم في كلية النجاح بعد اعلان قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ ، فاشتعلت الثورة الفلسطينية في أنحاء فلسطين ،

---

١ — يعقوب العودات : من اعلام الفكر والادب في فلسطين — جمعية عمال المطابع الاردنية — عمان ط ١ سنة ١٩٧٦م ، ص ٥٧٢ .

٢ — عيسى الناعوري وابراهيم القطان : بطولات عربية من فلسطين ، مطبعة الاستقلال العربي — عمان ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م ، ص ١٣١ .

٣ — انظر اعلام الفكر والادب الفلسطيني — مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٤٨ .

وساندتها القوى والاحزاب الوطنية والتحررية في البلاد ، فترك عبد الرحيم التعليم وانضم من جديد الى صفوف الثوار ، وقد اكتمل تدريبا ، ووعيا ، وثقافة .

وفي أوائل عام ١٩٤٨ يغادر الشاعر فلسطين الى بيروت فدمشق ، وينضم الى معسكر التدريب في قطنة (بالقرب من دمشق) ثم يلتحق بعد ذلك بجيش الانقاذ ، ويدخل بلعه (قرية فلسطينية بالقرب من عنبتا قرية الشاعر) ويشارك في معركة بيار عدس (قرية بين ملبس وطولكرم في فلسطين) وفي معركة راس العين (قرية في فلسطين قرب مستعمرة ملبس اليهودية) . وفي شهر نيسان سنة ١٩٤٨م يعين آمرا للانضباط في مدينة طولكرم (١) ولعل قوة بنيته ، ومضاء عزيمته وتجربته في القتال والنضال كانت من الاسباب التي رشحته لهذا الامر .

كان الميدان الذي يتحرك فيه الشاعر هو القطاع الشمالي من البلاد ، حيث يعسكر جيش الانقاذ ، وهو أحد مقاتليه ، لكن القتال يتوقف بسبب الهدنة الاولى التي عقدت بين الدول العربية واليهود لشهر كامل ، فيه حصن اليهود مواقعهم ، وتزودوا بالسلاح والذخيرة ، وأعادوا تنظيم صفوفهم من جديد ، ولم يلبث القتال أن استؤنف ، وحوصر جيش الانقاذ ، ووجه العدو اليه عدة ضربات متوالية . وكانت الجيوش العربية قد دخلت فلسطين في هذا الوقت ، في حين اشتدت المعارك حول الرملة والناصرة ، وكانت الاخيرة مركزا للعمليات الحربية .

أما جيش الانقاذ فكان يقوده فوزي القاوقجي في منطقة الجليل حين هاجمه اليهود بقوات كبيرة واستولوا على الناصرة في السادس عشر من يونيو « حزيران » ١٩٤٨ . . . ولكن أيام القتال لم تطل ، فقد فرضت هدنة جديدة في الثامن عشر من يوليو « تموز » ولم يكن هناك أمام العرب من سبيل الا قبول الهدنة (٢) .

٤ ــ استشهاده :

تذكر جميع المصادر والمراجع التي بين أيدينا أن الشاعر قد استشهد في « معركة

---

١ ــ عارف العارف : النكبة ــ المطبعة العصرية للطباعة والنشر ــ صيدا ــ لبنان ، سنة ١٩٧٠ ، ج ٣ ص ٦٢٥ .

٢ ــ صالح مسعود ابو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص ٤١١ وما بعدها .

الشجرة » (١) بمنطقة الناصرة ، في الثالث عشر من تموز عام ١٩٤٨ ذكرها ياقوت بقوله : « الشجرة : اسم قرية بفلسطين بها قبر صديق بن صالح النبي عليه السلام، وقبر وحيه الكلبي » (٢)، ويذكر عارف العارف : أن الشجرة قرية عربية من أعمال طبريا ، يسكنها حسب الاحصاء الرسمي الذي أجرته حكومة فلسطين عام ١٩٤٥ سبعمائة وسبعون نسمة معظمهم مسلمون ، والباقون (٤٨) مسيحيون ، ويقوم الى جانبها مستعمرة باسم « سجرة » بلغ عدد سكانها في السنة نفسها ٢٤١ ، ثم كبرت واتسعت وحصنها اليهود ، لوقوعها بين مجموعة من القرى العربية هي : الشجرة ، ولوبية ، وطرعان ، وكفر كنا ، وعين ماهل ، وعرب الصبيح ، والدباحين . وكان يقوم على مقربة من هذه القرى عدد من المستعمرات وأماكن الاحتشاد اليهودي الاخرى:كمسحة، وساروتا ، والشعارة ، وبيت كيشيت ، ومدرسة خاضوري وكفار طابور . وكثيرا ما حدثت صدامات بين هاتين المجموعتين من القرى والمستعمرات الواقعة بين قطاعي الجليل الادنى والاعلى . وكانت معظم الاشتباكات تقع بين قرية (الشجرة) العربية ومستعمرة (السجرة) اليهودية (٣) .

---

١ ــ انظر :

أ ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ قسم ١ ، ص ١٨١ .

ب ــ د. ناصر الدين الاسد : محاضرات في الشعر الحديث ، ص ١٧١ .

جـ ــ عارف المعارف : النكبة ، ج ٣ ص ٦٢٢ .

د ــ عبد الكريم الكرمي : كفاح عرب فلسطين ، ص ١٤١ .

هـ ــ د. عبد الرحمن ياغي : حياة الادب الفلسطيني الحديث ، ص ٢٦٧ .

و ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ٥ .

ز ــ محمد احمد حماد : لباب الثقافة والادب ، ص ٣٣٤ .

ح ــ عيسى الناعوري وابراهيم القطان : بطولات عربية من فلسطين ، ص ١٣٢ .

ط ــ الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود : نابلس ، ١٩٧٥ ، ص ٦ .

ى ــ د. عمر فروخ : شاعران معاصران ، المكتبة العلمية ومطبعتها ــ بيروت ، ط ١ سنة ١٩٥٤ ص ١٠٤ .

ك ــ عيسى الناعوري ، وهيب البيطار ، محمد العمد : أدبنا في مختلف العصور ، ص ٧٣ .

٢ ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٦هـ ــ١٩٥٧م ص٣٢٥

٣ ــ النكبة : ج ٣ ، ص ٦٢١

أما مصطفى مراد الدباغ فيتحدث عن الشجرة قائلا : « بها ٧٧٠ نسمة اقيمت على بقعة مساحتها ١٠٠ دونم ، مساحة أراضيها ٣٧٥٤ دونما ، يملك اليهود منها ٦١ دونما » (١) .

ويقول يعقوب العودات : « قرية عربية في منطقة الناصرة ، وتقابلها مستعمر باسم (السجرة) بالسين ومعناها بالعبرية « الشجرة » اشترك عبد الرحيم على رأس فوج من اخوانه المناضلين وابلى فيها بلاء مشكورا واستولى على بعض مواقع الاعداء » (٢) .

في هذا الموضع الذي تداخلت فيه القرى العربية والمستعمرات اليهودية في منطقة الجليل كانت معارك ١٩٤٨ م تدور دون توقف ، وكان جيش الانقاذ يتلقى الضربات العنيفة حتى أصبح في وضع حرج ، وتمضي الحرب بين العرب واليهود سجالا ، وعبد الرحيم ضابط بين المجاهدين الذين اندفعوا يستبقون الى الموت لنيل الشهادة ، وطالما تاقت نفسه اليها منذ أكثر من عشر سنوات يوم أن جرح في ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وهو ثائر مع الثوار ، ولم تكتب له الشهادة يومذاك .

بدأت المناوشات بين الطرفين : العربي واليهودي في الشهر الثاني من عام ١٩٤٨ ، ثم أخذت تشتد تدريجيا في الشهر الثالث من العام نفسه ، وفي نيسان اشتد القتال وخسر الجانبان عددا كبيرا من الارواح ، وأخليت قرى في المنطقة من السكان ، وكاد العرب يحتلون مستعمرة (السجرة) اليهودية ، لكن الهدنة الاولى حالت دون ذلك، وتلقى اليهود مزيدا من شحنات الاسلحة الحديثة يحصنون بها مواقعهم الحربية ، ويعززون استحكاماتهم العسكرية ، بينما لم يثبت العرب في مواقفهم ، فتراجعوا ، وتخلت الجيوش العربية عن مواقعها ، واحتل اليهود الشجرة في الخامس عشر من تموز ودبوريا في السادس عشر منه وعزلوا مدينة الناصرة عن القرى العربية المجاورة،

---

١ — بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

٢ — من اعلام الفكر والادب في فلسطين ص ٥٧٢ .

وانقطعت طرق المواصلات التي تربطها بسائر اجزاء فلسطين ، وتتابع سقوط القرى العربية ، مثلما سقطت الناصرة ، وأصيب عبد الرحيم في معركة الشجرة ، حيث استشهد ، وتعددت الروايات التي نقلت نبأ استشهاده :

يذكر مصطفى مراد الدباغ طرفا من نضال الشاعر فيقول : « فخاض معارك عنيفة ضد الاعداء في منطقتي نابلس والجليل ، ولما نشبت معركة الشجرة في ١٤ تموز ١٩٤٨م في قضاء طبرية ، وقع جريحا ، وحمله رفاقه واتجهوا به الى مستشفى الناصرة ، وفي الطريق انقلبت السيارة في واد سحيق قبل أن يصل الى المستشفى فحمل الى الناصرة ، ودفن فيها ... وهكذا ختم حياته التي لم تزد على ٣٥ عاما بالاستشهاد مسجلا ملحمة من أروع الملاحم البطولية » (١) .

ويقول الدباغ في موضع اخر : « واستشهد في معركة الشجرة في الثالث عشر من تموز ١٩٤٨ م الشاعر الفلسطيني المعروف عبد الرحيم محمود من عنبتا أعمال طولكرم وهو القائل :

سأحمل روحي على راحتي ... والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق ... واما ممات يغيظ العدا (٢)

أما الرواية الثانية فيسوقها يعقوب العودات « البدوي الملثم » ، وهي تتفق مع الرواية الاولى في مضمونها ، وتختلف معها في تاريخ الاستشهاد : « وفيما كان يخوض غمار المعركة اصابته شظية مدفع فوقع جريحا ، وسارع بعض رفاقه ونقلوه في سيارة « جيب » الى المستشفى في مدينة الناصرة ، وفيما هم في الطريق أخذ عبد الرحيم يردد على مسمع اخوان الجهاد بصوت الجريح الذي وهب روحه لوطنه ، الابيات التالية :

لعمرك هذا ممات الرجال ... ومن رام موتا شريفا فذا
فكيف اصطباري لكيد الحقود ... وكيف احتمالي لسوم الاذى

---

١ ، ٢ ـ بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، قسم ٣ ، ص ٢٩٨ ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٨١ .

اخوفا وعندي تهون الحياة وذلا واني لرب الابا
بقلبي سأرمي وجوه العداة وقلبي حديد وناري لظى

وقبل أن تبلغ السيارة الناصرة هوت في واد سحيق ، ففاضت روحه الطهور في ١٣ حزيران ١٩٤٨ ولقي وجه ربه راضيا مرضيا ، وختم حياته بالشهادة التي هي أسمى مراتب الحياة (١) .

أما الرواية الثالثة فهي للمؤرخ الفلسطيني المعروف : عارف العارف ، أوردها في معرض حديثه عن شهداء معركة الشجرة بقوله : وأما الاول فهو الشاعر الفلسطيني الطيب الذكر عبد الرحيم محمود ، ويكنى بأبي الطيب ، أصابته رصاصة في المعركة التي دارت رحاها أمام الشجرة في ١٣ تموز فقضت على حياته ، وكان قبل أن يلفظ النفس الاخير وهو محمول في محفة على اكتاف اصدقائه الذين نقلوه الى مستشفى الميدان يتمتم بهذه الكلمات :

احملوني احملوني واحذروا ان تتركوني
وخذوني لا تخافوا واذا مت ادفنوني

واستمرت شفتاه تدمدمان ، الى ان تلاشى صوته ، وطارت روحه الى بارئها راضية مرضية . (٢)

ويفصل العارف في رواية اخرى طريقة استشهاد الشاعر المناضل فيقول : « وظل يناضل مع اخوانه المجاهدين نضالا منبعثا من صميم النفس الى ان اصابته شظية من شظايا قنبلة ، قذف بها اليهود وهو من النوع المعروف بـ (السلبند) فاصابته في عنقه وذقنه واسفل وجهه ، فخر صريعا » . (٣)

وربما اتفقت رواية « العارف » الثانية مع روايته الاولى في أن عبد الرحيم قضى شهيدا في معركة الشجرة غير انهما تختلفان من حيث الاصابة ، فهي في روايته الاولى

---

١ ـ من اعلام الادب والفكر في فلسطين ، ص ٥٧٣ .

٢ ، ٣ ـ النكبة ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ و ٦٢٧ .

« من رصاصة قضت على حياته » وفي الثانية « شظية من شظايا قنبلة » اصـــابته في عنقـــه وذقنه واسفل وجهه .

٤ ـ أما الرواية الرابعة فيسوقها كل من عيسى الناعوري وابراهيم القطـــان عن معركة الشجرة : « في معركة الشجرة هذه كان عبد الرحيم محمود بـــين الضباط المجاهدين فأصيب في المعركة فحمله بعض رفاقه في سيارة جيب ، لينقلوه الى الناصرة، ولكن الارادة الالهية ابت ان يعيش المجاهد الجريح فانقلبت به السيارة انقلابا أودى بحيـــاته » . (١)

وثمة رواية خامسة لجبرا ابراهيم جبرا حيث يقول : « وكان مصرعه بشـــظية قنبلة يهـــودية في غمـــار معركة الشجرة ، ولم تكن الناصرة قد وقعت بعـــد في أيدي العـــدو ، فدفن جثمانه فيها » . (٢)

اما الرواية السادسة فينقلها ابن الشاعر « طلال » وهو يحدثني عن استشهاد والده كما سمعها من أحـــد رفاق الشاعر الشهيد ويدعى « احمد عزام » فيقـــول : ان والده أصيب بقذيفة في معركة الشجرة في الثالث عشر من تموز عام ١٩٤٨م في عنقه ووجهه ، وأنـــه فارق الحياة وهو في طريقه الى الناصرة ، بينمـــا كان محمـــــولا في سيارة (جيب) وكان بصحبته في القتال رفيقه « أحمد توفيق » الذي اصيب في العمود الفقري ومات على الفور ، امـــا سائق السيارة فيكنى بأبي ماجد العدوان العنبتاوي(٣)

ومهما يكن من أمـــر هذه الروايات ، فانها تتفق في امرين جوهريين همـــا :

أ ـ استشهاد الشاعر في معركة الشجرة سنة ١٩٤٨م .

---

١ ـ بطولات عربيـــة من فلســـطين ، ص ١٣٢ .

٢ ـ الرحلة الثامنة ، صيدا ـ بيروت سنة ١٩٦٧م ، ص ٤١ .

٣ ـ الحديث منقول بمعناه عن ابنه طلال في لقـــاء معه سنة ١٩٧٦ في عمان بدائرة المطبوعات والنشـــر وقد أكـــد هذه الانبـــاء وغيرها ممـــا نقل عن ابن الشاعر ، السيد عزت نصـــار عم زوج شاعرنا وهو احـــد معاصريه واصدقائه ويبلغ من العمر خمسة وستين عاما ، وقد قابلته في اربد في الثالث عشر من تموز سنة ١٩٧٧م .

ب ـ نقله الى الناصرة ،ودفنه فيها ، اذ لم تكن قد سقطت في أيـدي اليهـود بعد . وقد ذكرت بعض الروايات (١) ان الشعر كان مصاحبا للمعركة عنـده وحتى وهو يلفظ اخر انفاسه ، ويبـدو لنـا أن هذا من خيالات المؤلفين ومن اضـافاتهم بدليل اختلاف النصوص ، فالاصابة كانت قاتلة .

وتختلف الروايات في امرين ، همـا :

أ ـ أكان استشهاد الشاعر باصابة مباشرة في المعركة ؟ أم أنه جرح ونقـل بعدها الى المستشفى في الناصرة ، وأنـه فارق الحياة على الطريق فراقا طبيعيـا ؟ أم كان ذلك عندما هوت سيارته في واد سحيق ؟ ويبدو أن الصورة الاخيرة هي صورة الواقع ، ومهما كانت الصورة فانها لا تشكل خلافا في أمر استشهاده في المعركة المذكورة

ب ـ أشارت هذه الروايات كما أشارت غيرها الى انه استشهد في الثالث عشر من تمـوز سنة ١٩٤٨ ، باستثناء رواية « يعقوب العودات » التي تقول : انه استشهد في الثالث عشر من حزيران سنة ١٩٤٨م ، والخلاف بينهـا وبين هذه الروايات وغيرها يقع في شهر واحد (ما بين حزيران وتموز من سنة ١٩٤٨) . أما احدى روايتي الدباغ (١٤ تموز ١٩٤٨) ، فيبدو أنه قد تفـرد فيها من بين أكثر من عشر روايات منهـا روايتـه الاخـرى .

ونعتقـد أن ما وقع من اختلاف بين اليومين انمـا هو تصحيف ، أو خطأ مطبعي ليس أكثـر ، لان جميع الروايات قـد اتفقت على الثالث عشر من تموز سنة ١٩٤٨م تاريخا لاستشهاد الشاعر ، وهـذا ما نرجحه .

وكان فيما حدثني ابنه « طلال » أن أمه (زوج الشاعر) قد صعقت عندما رأت زوجها مخضبا بدمه بعـد اصابته في المعركة ، فأصيبت هي الاخرى بصدمة عصـبية عنيفة هزت كيانها ، وادت الى انهيارها ، ففقدت عقلها ، ونقلت على اثر ذلك الـى المستشفى للعلاج ، ولكنها توفيت بعد أعوام في ١٩٥٥ ، ودفنت في عنبتا .

واستشهد مع الشاعر في نفس المعركة المجاهد البطل « محمود سليم الصـالح »

---

١ ـ روايات الدباغ والعارف والعودات .

من قرية عموقة الفلسطينية من أعمال صفد ، ويلقب بأبي عاطف ، ومن الابطال الذين اشتركوا مع الشاعر في المعركة ولم تكتب لهم الشهادة : أبو ابراهيم الصغير ، وعبدالله سالم الفاهوم . (١)

ويذكر صديق الشاعر ومعاصره الشاعر عبد الكريم الكرمي ، طرفا من اخبار عبد الرحيم الحافلة بالمواقف البطولية والوطنية ، يقول الكرمي :

« ويأبى القدر الا ان يحقق الميتة التي تمناها الشاعر الفارس ، ففي حوالي منتصف ١٩٤٨ ولم يعد يسمع في فلسطين الا صدى طلقات متفرقة في لواء الجليل ، كنت مارا بجانب نهر بردى في دمشق اذ بالشاعر الفارس عبد الرحيم محمود أمامي ، وقفنا وتحدثنا طويلا ، وأخبرني أنه يقيم في فندق الجمهورية بالسنجقدار . ثم افترقنا وأنا معجب بهذه الفتوة العارمة رغم الاربعين عاما التي يحملها على كتفيه ، وهذه الثورة التي لا يزال يطل وجهها من عينيه .. ومضى ما يقرب من شهر ثم عدت وسألت عن عبد الرحيم في الفندق فقالوا : لقد ذهب الى فلسطين ، وفي عصر يوم كئيب دخل علي في المكتب صديق لم أره بعد النكبة قال : جئت أعزيك بعبد الرحيم ، لقد سبق الشهداء الى الجنة ، فذهلت . وأتم الصديق حديثه وقال : لم تطق نفس عبد الرحيم أن يبقى خاملا في دمشق ، فالتحق بفلول جيش الانقاذ ، كضابط في جبال الجليل ، وحصلت فتنة بين أهالي الناصرة من هذه الفتن الطائفية التي لم تزل تفت في عضد الامة العربية ، فذهب الى الناصرة ، واصلح ذات البين ، وطلبوا اليه أن يتناول الغداء عندهم فأبى وقال : لا أستطيع البقاء ، لان هناك في قرية الشجرة تدور معركة بيننا وبين الغاصبين ورفاقي ينتظرونني ، ثم ودعهم وسار الى المعركة وسقط شهيدا . (٢)

هذه شهادة صديق على وطنية عبد الرحيم وتفانيه في الدفاع عن ارضه ، وكرامته وحسن انتمائه لامته وشعبه ، لقد آثر الموت بعزة وكرامة على الحياة بذل وهوان

---

١ ــ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، ص ٦٢٢ .

٢ ــ كتاب عرب فلسطين ، ص ١٤١ وما بعدها .

فطلب الشهادة وخف اليها شاعرا ومجاهدا .. شارك في كثير من ثورات فلســـــطين ومعاركها وكانت نهــايته في الشجرة نهــاية البطل الذي يرى في الشهادة هدفا ساميا يســـعى اليه .

وأثار نبـــأ استشهاده هزة بين أوساط الادبـــاء والمثقفين ، والمنـــــاضلين في فلسطين والوطن العربي .. كما اثرت معركة الشجرة تأثيرا بالغا في مجرى الاحداث ، اذ تمكن اليهـــود من احتـــلال الجليل بأكمله ، وطرد أهله منه .

نقل عبد الرحيم الكلمة الى ساحة المعركة فكان الشاعر الفارس والمعلم المناضل، والفلسطيني الثوري النظيف ، الذي عبر عن هموم الناس ، ولبى نداء الوطن .

ولقد رسم باستشهاده اجمل لوحة يحق للفلسطيني أن يفخر بها ، وكانت الشجرة قصيدته الاخيرة الخالدة ، كتبهـــا بالرصاص والدم ، ووضع روحه عنوانا مقدسا لها .



الباب الاول

المضامين الشعرية



الفصل الأول

شعر عبد الرحيم محمود في الإطار الوطني

عن الشعر والثورة :

رافق الشعر الفلسطيني الثورة ، ومدها بالقوة ، فقد كان الشعراء الثوريون يشكلون خطرا يهدد حكومة الانتداب في فلسطين وكانت اشعارهم أسلحة يحسب لها المستعمر كل حساب ، لما تحمله من توعية الجماهير وتنويرهم ، فعمدت الحكومة الى مطاردة الشعراء والادباء وضيقت عليهم الخناق ، واصدرت ضدهم احكاما جائرة لخنق أصواتهم .

وتحمل الكلمة الثورية في داخلها طاقة تحرك ، تنبه ، وتغير وتعمل على كشف الحقيقة بجلاء ووضوح . والموقف الثوري يتحدد هنا بموقف الرفض المبدئي والكفاحي لكل شكل من اشكال العلاقات الامبريالية ، سواء في بلادنا أم في غيرها من بلدان العالم كافة ، وسواء اكانت هذه العلاقات اقتصادية ام سياسية ام ثقافية ، وتبعا لذلك يتحدد الموقف الثوري ايضا بموقف الرفض المبدئي والكفاحي لواقع الاحتلال والاستيطان الصهيونيين في كل جزء من الارض العربية .. فهذا الجانب من مفهوم الثورية ، هو اذن (القاسم المشترك) بين مختلف فصائل الحركة التحررية العربية الواقفة معا على صعيد المعركة الواحدة مكافحة بالسلاح السياسي أو الفكري أو القتالي المباشر ، أو بكل هذه الاسلحة في وقت معا . (1)

وقد حمل الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة روح الكفاح ، والرفض ، كما قاوم الضغوط الاقتصادية والسياسية والثقافية التي مارسها المستعمر للسيطرة على مقدرات الانسان الفلسطيني والقضاء على شخصيته واقتلاعه من تراثه ووطنيته،

---

1 ــ حسين مروة : مجلة الاداب البيروتية عدد ٥ سنة ١٩٧٥ ، السنة ٢٣ ، ص ١٨ .

واستمر الشعر يدعو للتحرر والاستقلال ، ويستلهم التراث العربي في محاولة لرسم أبعـاد المستقبل بوعي وعقلانية ، كمـا واصل طريقه في الدعوة الى الوحدة العـربية وتماسك الصف والارتقاء بالوطن عن كل المطامع الاستعمارية .

ومن الشعراء من واصل خطه الواضح في المزاوجة بين النضال الفكري والعسكري فكان عبد الرحيم محمود شاعرا ومناضلا ، يغذي الثورة المسلحة بزاد فكري .

« ومن تقرير الحقيقة أن الشعر الفلسطيني كان سلاحا فتاكا من أعظم أسلحـة المعركة التي خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية ، وكان الادب والفكر بعامة كذلك حاولت حكومة الانتداب ان تخرس صوته ، وتكتم أنفاسه فلم تستطع وصبت جام غضبها على الكتاب والشعراء فطاردت بعضهم حتى اضطر للهجرة من فلسـطين الى الاقطار الشقيقة كالشاعر عبد الرحيم محمود وبرهان الدين العبوشي ، وزجت باخرين في غياهب السجون والمعتقلات ، وسنت تشريعات ظالمة تجعل السجن عقـوبة لكل من القى خطبة أو نشر مقالة أو نظم قصيدة حماسية فيها حض على الجهاد » (١).

واستمد الشعر القومي الفلسطيني في هذه المرحلة مادته من الاحداث السياسية والعسكرية ، ومن الظروف والثورات التي اجتاحت فلسطين في الفترة الواقعة ما بين عام ١٩١٧ وعام ١٩٤٨ ، وكثيرا ما كان الشعر يقاوم ويقاتل حين يقف في وجه المحاولات الرامية الى تهويد البلاد ، وتأسيس الوطن القومي اليهودي ، وحين يندد بباعة الاراضي ويستنكر موجات الهجرة اليهودية ، كمـا وقف الشعر العربي رافضا الاساليب العربية الرامية الى الانهزام والاستسلام . « كما أن الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة لم يكن رد فعل للاحداث السياسية وحسب ، وانمـا كان (فعلا) مقاوما لبعضها ومحرضـا للبعض الاخر » . (٢)

كانت مهمة الشاعر الثورية صعبة ، لانـه معني بتغيير الواقـع وتطـويره

---

١ ــ د. كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ــ الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ، ص ١٠٩ .

٢ ــ عبد لكريم حسن : قضية الارض في شعر محمود درويش ــ دمشق ــ ١٩٧٥ ، ص ١٨ .

ونقله من حالة التخلف والانطواء الى حالة اخرى من التقدم والانفتاح ، وهو المسؤول كذلك عن تأسيس القاعدة الجماهيرية الواعية ، التي تؤمن بأبعاد الثورة . والشعر الثوري « يعمل على بناء مواقف ثورية وتقدمية — مادية وفكرية وجمالية جديدة — فالشاعر الحقيقي ، الثوري ، هو مع المستقبل دائما ، أي أنه ثائر تقدمي ، يخوض حروبا مستمرة ضد انغلاقات المجتمع ضد العبودية ، ضد الاستغلال ، ضد البيروقراطية، ان الشاعر الذي يرتبط بالمستقبل والحلم والحقيقة يتخذ موقفا عسكريا من أمراض عصره . فهو لا يدين فقط وانما يكتب قصائده بدمه أيضا عندما تقتضي الضرورة ، وعندما يكتشف أن موته أكثر اهمية في رحلته الانسانية نحو الحقيقة » .(١)

وكان موقف الشعر العربي الفلسطيني واضحا في هذه الفترة ، فهو يصدر عن عقيدة محددة ، ويحمل هما جماعيا ، وهدفا مشتركا ، كما كان يفعل في الثورة فعل المحرض ، وتحفظه الجماهير الغاضبة علامة ايجابية للمقاومة والتحدي .

---

١ — طراد الكبيسي : الشعر العربي الجديد ممكنا ، مجلة الاداب — العدد الرابع — نيسان ١٩٧٣ السنة ٢١ ، ص ٥٧ .



« المواقف الثورية في شعر عبد الرحيم محمود »

تعددت المواقف الثورية في حياة عبد الرحيم ، كما تعددت في شعره ، فمنذ ان تفتحت عيناه على الدنيا ، نظر فاذا فلسطين تعج بالثورات والانتفاضات ، واذا القوى الاستعمارية جادة في استلابها والاجهاز عليها ، وكانت الثورات الفلسطينية المسلحة دليلا واضحا على رفض عبودية الاقطاع ، وعبودية المستعمر وعبودية الفكر ، وعرفنا كيف شارك عبد الرحيم فيها ، ونخص بالذكر هنا الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦–١٩٣٩ ، وحرب عام ١٩٤٨ .

كان عبد الرحيم مغامرا ، ترك التعليم وانضم الى صفوف الثورة ، وقاتل جنبا الى جنب مع القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد في جبال نابلس ، وكان رفيقه ومساعده في النضال .. وعندما أحست حكومة الانتداب البريطاني بخطر هذا الشاعر طاردته ، ففر الى العراق ، ليحمل معه نضاله ، فشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ثم عاد الى فلسطين ليمارس مهنة التعليم في المدرسة التي طالما حن اليها ، ولكن حنينه الى النضال ظل حارا وقويا فبعد اعلان قرار التقسيم في التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، تشتعل الثورة الفلسطينية من جديد ، ويضطر الشاعر لترك التعليم للمشاركة في معارك التحرير . وفي عام ١٩٤٨ يترك عبد الرحيم فلسطين متوجها الى بيروت فدمشق وينضم الى معسكر التدريب في (قطنة) وهي قرية قريبة من دمشق ويلتحق بجيش الانقاذ ويدخل (بلعة) ويشارك في معركة بيار عدس ، وفي العام نفسه يعين آمرا للانضباط في مدينة طولكرم بفلسطين . وفي هذه الفترة ينخرط في النضال كليا ويتفرغ له ، بينما يظل الشعر رفيقه ، ونفسه الثائر ابدا .

الشعر والحرب حلمان جميلان يراودانه ، ويحتلان ذاكرته ، ويملان عليه حياته ، وكانت مواقفه النضالية والثورية صورة صادقة لحياته ، ولقد حقق الالتحام الجميل بين الشعر والنضال وهو يسقط شهيدا في الشجرة .

عاش هذا الشاعر ثائرا وقضى شهيدا ، أدرك أن الكلمة الصادقة هـــي تلك التي يغمسها بدم الثورة ، كمـــا أدرك أن حياته مواقف .

« ونجد عبد الرحيم محمود في شعره كما في حياته نموذجا حيا لوجدان المقاومـــة العربية الذي تربى في قلب ثورة عام ١٩٣٦م ، ولم يكن يفرق بين الفـــن والعمل فكان شعره نضالا ، وحياته نضالا ، وقضيته الاولى والاخيرة هي تحرير فلسطين قبـــل أن تسقط في قبضة المأساة ، ولقد أدى الفارس النبيل رسالته حتى آخر قطرة من الدم ، فمات شهيدا لا يرى غير الاستشهاد خلاصا من المحنة » . (١)

هذه نهـــاية شاعر فارس ، عشق الشعر والنضال ، فمازج بين القول والفعل ، وكان صادقا في شعره ونضاله .. آمن أن أروع قصائده هي تلك التي يسطرها بدمـــه في معركة الحرية والخلاص .

وتتلخص أهم المواقف الثورية التي برزت في شعره فيما يلي :

١ ـــ التحريض على النضال .

٢ ـــ مواقف ملتزمة : الرفض ، الغضب ، الارض .

٣ ـــ الغـــربة والحنين .

٤ ـــ الرؤية المستقبلية والحس النقدي .

٥ ـــ الرغبة في الشـــهادة .

---

١ ـــ رجاء النقاش : محمود درويش ، شاعر الارض المحتلة ، ص ٨٠ .

١ ـ التحريض على النضال

رفد النضال الشعر عند عبد الرحيم بروائد صادقة ، وشكل نضاله جانبا بارزا في شاعريته ، كان شعره صورة حية واعية لهذا النضال ، كان يجتهد دائما لترسيخ مبادىء الثورة ، ويؤكد ضرورة حمل السلاح والممارسة النضالية .

فمنذ الثورة الفلسطينية الكبرى جعل يشارك في النضال ويدعو اليه بصدق وغيره ها هو ذا الوطن يمر في قصيدته « دعوة الى الجهاد » (١) على شفرة الذبح ، ويعاني من أوضاع قاتلة ، فينطلق الصوت مناديا الى الجهاد ، فيهب الشاعر لنجدته ، لان الجهاد واجب مقدس وأمانة يحملها الشاعر المقاتل أمام الجماعة ، وهو في استجابته لدعوة الوطن هذه ينادي بقية الجماهير الغاضبة لتلبية هذه الدعوة النضالية العامة :

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد   فخف لفرط فرحته فؤادي

وسابقت النسيم — ولا افتخار —   أليس علي أن أفدي بلادي؟

هذه الاستجابة الواعية لنداء الوطن مؤشر واقعي الى العلاقة الحميمة بين الشاعر والنضال ، فهو يبدأ بنفسه ، لانه يحس المعاناة القاسية التي يمر فيها وطنه ، هذه الغيرة تدفع الشاعر لان يسرع الى حومة الوغى فرحا فصوره بصورة من يسابق النسيم ليكون اول من يلقى المعركة بفرح غامر .

وحين يتصور الجبان متقاعسا عن اداء دوره ، يرسم له صورة هازئة ، فيها التهكم والسخرية والتقريع والتوبيخ ، هذه السخرية من الجبناء تحمل صدقا ونضالا

---

١ — انظر الديوان ، ص ١٥ . وانظر كذلك عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، ص ٦٢٥ .

وانظر ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٤٠ ، والشاعر الشهيد ، مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٢٣ .

وثورية لا تؤمن الا بالمواجهة والقتال والانخراط في صفوف الثوار استعدادا لليوم المرتقب ويرتفع صوته مناديا بني قومه :« ان دنا يوم الضحايا » ، وهذه دعوة جماعية ، وتبعة وطنية ، في حين يشيد بمواقف الابطال من ثوار فلسطين أولئك الذين يلاقون الصعاب في عزم وجلد ، ويؤكد اعتزازه بجند الوطن ، لتحملهم الصعاب ، ولقلة تشكيهم من المصائب .

يقول عبد الرحيم : (١)

وقلت لمن يخاف من المنايا	أتفرق من مجابهة الاعادي
فدونك خدر أمك فاقتحمه	وحسبك خسة هذا التهادي

ويقول أيضا :

فللاوطان اجناد شداد	يكيلون الدمار لاي عاد
يلاقون الصعاب ولا تشاكي	أشاوس في ميادين الجلاد
تراهم في الوغي أسدا غضابا	معاونيا اذا نادى المنادي
بني وطني دنا يوم الضحايا	أغر على ربا ارض المعاد

وشعر عبد الرحيم صورة لنفسه الثائرة ، وطموحه الذي لا يحد ، وهو صورة لضمير شعبه الذي آمن بالنضال ، وكرس حياته له .

ويعتز عبد الرحيم بمواقف الشباب ، ويعلق عليهم آمالا عراضا ، فهم القادة والقوة الضاربة ، والنار التي تصلي العدو ، وهم طليعة الصف التي تزرع في صدور الاعداء رصاص الثورة ..

فمن كبش الفداء سوى شباب	أبي لا يقيم على اضطهاد؟
ومن للحرب ان هاجت لظاها	ومن الاكم قدح الزناد ؟
فسيروا للنضال الحق نارا	تصب على العدا في كل واد

---

١ ـ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٤١ وما بعدها .

ويقف الشاعر موقفا واضحا من الشعب القعيد عن نصرة الوطن والدفاع عن حياضه فيعلن بمرارة المقاتل الصادق :

فليس أحط من شعب قعيد عن الجلى وموطنه ينادي

ويتوجه الى قومه يوقظهم ، ويحرضهم على النضال والثبات في وجه المعتدى بصلابة وعناد ، ويحثهم على الثبات والقوة والوحدة ، ويحذرهم من اليأس والهوان والتخاذل ومن ضياع فلسطين ، ويحمل العرب تبعة التقصير والتهاون ، فينادي بصوت الناصح الغيور ، وبقوة الثوري الصادق ، فيقول :

بني وطني أفيقوا من رقاد فما بعد التعسف من رقاد
قفوا في وجه اي كان صفا حديدا لا يؤول الى انفراد
ولا تجموا اذا اربدت سماء ولا تهنوا اذا ثارت بواد
ولا تقفوا اذا الدنيا تصدت لكم وتكاتفوا في كل ناد
اذا ضاعت فلسطين وانتم على قيد الحياة ففي اعتقادي
بأن بني عروبتنا استكانوا وأخطأ سعيهم نهج الرشاد

وتأخذ دعوة عبد الرحيم الى النضال في « الشعب الباسل » (١) مفهوما جماعيا حين يعتز بشعب فلسطين الذي تمرس بالصعاب ، وتحمل ما لم تتحمله الهضاب الراسيات من ظلم المستعمر وعذابه ، فما ازداد الا قوة وعزيمة وتمردا :

شعب تمرس في الصعاب ولم تنل منه الصعاب
لوهمه انتاب الهضاب لدكدكت منه الهضاب
متمرد لم يرض يوما أن يقر على عذاب

فالنضال والتمرد والرفض طبيعة هذا الشعب الذي عرف طريقه بوعي وحدد هدفه فما عاد يطيق الهوان ولا يهاب الموت ، صعب متمرس في فنون القتال ،

---

١ ــ انظر الديوان ص ١٦ وديوان عبد الرحيم ــ دار العودة ، ص ١٢٤ .

فينطلق بنغمة من الفخر تتمازج بين الحين والاخر بالحماسة ، فيحيى الشعب العربي الباسل ويسجل له مواقفه المشرفة في خوض المعارك ، بعد ان عرف الحق فسعى اليه ، يقول عبد الرحيم :

نحن الالى هاب الوجود (م) وليس فينا من يهاب
وسل الذي خضع الهوا له وذل له العباب
هل لان عود قناتنا ؟ أم هل نبت عند الضراب ؟
أو شام عيبا غير أنا (م) ليس نرضى أن نعاب
حييت من شعب تخلد ليس يعروه ذهاب
لفت الورى منه الزئير مزمجرا من حول غاب
وأرى العدا ما اذهل الدنيا (م) وشاب له الغراب
عرف الطريق لحقه ومشى له الجدد الصواب

لقد صمم الشعب ان يقف في وجه كل المحاولات الرامية لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين فقاوم حكومة الانتداب البريطاني ، ورفض خطط الصهيونية العالمية ، ووقف الشعراء مع الشعب يوظفون القصيدة ، لكونها أداة نضالية فعالة ، تخدم الثورة وتعبيء الجماهير ، فتحولت القصائد الى هتافات جماهيرية ، واناشيد حماسية مؤثرة ، واصبح شعر الحرب في مكانه الطليعي على الساحة . « ولعل شعر الحب والحرب ، يأتيان في مقام الصدارة من قائمة الاشعار القادرة على الذيوع والانتشار ، فكلاهما يعتمد على حرارة الانفعال ، التي يسهل انتقالها بالعدوى اذا كان المناخ العام والخاص يهيء المجتمع والافراد لهذه العدوى » . (١)

ويعود عبد الرحيم الى صراخه الواعي يمزجه بمأساوية ناقدة ، ويؤكد حق الشعب الفلسطيني في قضيته وأرضه ، وأن هذا الحق لن يعود الا بقوة السلاح ، فالنضال وحده هو الطريق التي يراها الشاعر لتخليص الشعب وانقاذه .

---

١ ــ غالي شكري : ادب المقاومة ، بيروت ١٩٧٠م ص ٣١٧ .

الحق ليس براجع لذويه الا بالحراب
والصرخة النكراء تجدي لا التلطف والعتاب
والنار تضمن والحديد (م) لمن تساءل أن يجاب
حكمهما فيما تريد (م) ففيهما فصل الخطاب

بالنار والحديد اذن يستعاد الحق ، وتطهر الارض ، وتقمع المحاولات الرامية الى القضاء على شخصية الانسان الفلسطيني من خلال امتلاك ارضه واقامة وطن لليهود عليه .

هذا الموقف الثابت الذي يقفه الشاعر في البيتين الاخيرين شعار نضالي يجدر بنا أن نعيه اليوم ، وهو موقف ثوري يكشف بصراحة عن خط سير الشاعر في حياته وشعره .

ويدعو عبد الرحيم دائما الى النضال ، فهو يحس بأن العمل خارج اطار الثورة الفلسطينية عمل سلبي ، وان الشاعر اذا انكفأ على اجترار احاسيسه الذاتية والوطنية في معزل عن الممارسة الفعلية ، والواقع النضالي ، فسيبقى دوما خارج دائرة الفعل النضالي والعمل الثوري .

ولم تكن الصرخات الحارة والحادة التي أطلقها عبد الرحيم محمود في أجواء فلسطين منذ أكثر من ثلاثين عاما الا نذير خطر ، واشارة تنوير كشف بها طريق الثورة ، ورسم بوضوح هدفها السامي : دفع الخطر الصهيوني ، وتحرير الارض والانسان .

كان النضال في حياة هذا الشاعر مطمحا يسعى به ليخلص الوطن من الظلم والعبودية ، ومن هنا جاء حبه للنضال هما وهدفا .

جعلت نضالي الظلم ديدنا لانـي بـه حلت لـدى المعاضل
فأحببته حب الحياة لفضله علـي ولا تنسى ندي المفاضل (١)

---

١ ــ ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٨٣ .

وفي موقع اخر يؤكد ثورته على الظلم ، وصولا الى الحق ، كما يؤكد رغبته الملحة في مواصلة النضال ، لانه من طبيعته :

ولم يكن الظل الظليل بمقعد — لنفسي ولكن عثير الحرب تشريقي
سأفلق قلب الظلم ابغي طريقه — الى الحق كيما يسلك الناس تطريقي(١)

احب الشاعر النضال وايامه ، ففي قصيدته « أيام النضال » (٢) نحس حنينه المتواصل للحرب ، لان فيها تحقيقا لامانيه ورغباته . وكثيرا ما عبر الشاعر عن المه لبعده عن ميادين القتال ومن ذلك ما نقله ابن عمه عنه في هذا الصدد ، قال له ابن العم :

آه ما أعذب أيام النضال — وأحيلى الموت في نيل المعالي
لا تقل لي وانا أغشى الوغى — حاذر الرمية تسلم في النضال
رب ساع لم يمت في سعيه — وقعيد مات في غير نضال
ما جمال العيش الا دمعة — في سبيل الحق والراي المثالي

فيرد عليه عبد الرحيم على سبيل المعارضة مؤكدا حرصه على خوض المعارك والشهادة :

كشري ما شئت يا سود الليالي — فأبو الطيب لا يخشى العوالي
ان تقاعست عن الحرب فاني — مجرم يقعد عن شأو المعالي
غايتي القى المنايا عاجلا — في مجالي العلم أو ساح النضال
فابسمي يا أم عبد انه — زف للحور وولى وهو عال

ويقف شاعرنا مواقف نضالية تشهد له بالمواجهة والجراة ووضوح الهدف ، حين يقرن بين القول والفعل ، ويطرح الخوف متخذا من قوة السلاح وصلابة مواقفه سبيلا للنصر وتحقيق الامل واسترداد الحقوق . فيتفجر صوته

---

١ — انظر الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، نابلس ١٩٧٥ ، ص ٤٨

٢ — ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٤٥ ، ١٥٥ .

بالغضب والثورة وهو يترسم خطى الشهيد القائد الشيخ عز الدين القسام ، ويطلب من غيره أن يتخذوا ذلك منهجا يستند الى القـوة والنضال ، فيصرخ بصوت الرفض والاحتجاج معلنا موقفه الملتزم في ممارساته النضالية حتى النهاية ، فيقول :

قل لا واتبعها الفعـال ولا تخف ... وانظر هنالك كيف تحنى الهـام

اصهر بنارك غل عنقك ينصهـر ... فعلى الجماجم تركز الاعـلام

واقم على الاشلاء صرحك انمـا ... من فوقه تبنى العـلا وتقـام

واغصب حقوقك قط لا تستجدها ... ان الألى سلبوا الحقوق لئـام

هذي طريقك في الحياة فلا تحـد ... قد سارها من قبلـك القسام (١)

واذا كان عبد الرحيم قد طلع من ضمير الثورة في سنة ١٩٣٦ وحملها نشيدا ، وشارك في احداثها مشاركة حقيقية ، فان ترسمه لطريق عز الدين القسام دليـل صادق على الرغبة في الاستشهاد .

« ولن نستطيع فهم الشعراء الذين ينتسبون لجيل ١٩٣٦ ، ويعبرون عنه دون أن نقـف امـام شخصية القسام وقفة متأنية باعتباره نموذجا مثاليا يكشف حقيقـة الوجدان الفلسطيني في تلك الفترة ، وهو وجدان المقاومة والاستشهاد والغضـب واشعال النار في صفوف الاعداء . ولم يكن القسام مجرد حالة فردية ، بل كـان صورة أمينة لحقيقة العواطف الشعبية في حرارتها والتهابها العنيـف ، وعندما نحس بشخصية القسام وصورته الواضحة فاننا نستطيع أن نفهم الدائرة الوجدانية التي كان يـدور فيهـا شـعر فلسطين في تلك الفترة » (٢) وكان الشـيخ القسام وصحبه يمثلون طليعة العمل الفدائي على الارض الفلسطينية ، اذ عرفوا طريقـهم وحددوا هدفهم ونذروا أنفسهم لتحرير الوطن دون أن يصرفهم عن الاخلاص للوطن طمع ذاتي أو عرض دنيوي .

---

١ ــ انظر الديوان ، ص ٢٥ .

٢ ــ رجاء النقاش : محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٦٦ .

وينشد عبد الرحيم « انشودة التحرير » (١) في ذكرى يوم القادسية في حفل شعبي اقيم في حيفا بهذه المناسبة ، فتطالعنا أبياته التي تفيض فخرا وحماسة ونضالا ومطالبة بالحق ، حين يوضح الطريق التي اتخذتها الامة العربية منذ القديم لترسيخ حقها ، وتحقيق مطالبها ، فما رفعت السيوف الا في وجه الظلم، وما حملت المشاعل الا للتنوير والهداية . ويستحضر الشاعر وضع الامة العربية حين كانت في أوج عزها ومجدها ، يوم اتخذت من قوتها اساسا للحق ، وطرد الباطل ، والدفاع عن الارض بينما هي اليوم أمة ضعيفة ، يقول مشيدا بمواقفها الماضية :

نحن لم نحمل السيوف لهدر	بل لاحقاق ضائع مهدور
نحن لم نرفع المشاعل للحر	ق ولكن للهدى والتنوير
نحن لم نطعن الضمير ولكن	بقنانا احتمى طعين الضمير
كان فينا نصر الضعيف المعنى	وانجبار المحطم المكسور

هذا موقف يحسب للعرب يوم كانوا امة قوية ، قادرة .

ويتوجه الشاعر الى الزعماء العرب ، معريا مواقفهم من القضية الفلسطينية ، ومعلنا ان طريق التحرير لا تكون الا بقوة السلاح وبالنضال الشعبي وبالثورة الدامية ، فهو يدعو الناس الى أن يتمثلوا مواقف الامة العربية في أيام مجدها وقوتها ، فاذا اكتوت هذه الامة اليوم بجور الزعماء وابتلت بتخاذلهم وانهزامهم وآلمها حقا هذا السقوط الذي احترفه قادتنا ، فما ينبغي لها ان تقنط .

ويحمل الشاعر صوتها المناضل الرافض كل أشكال المساومة واليأس ، فأمله في امته العربية الماجدة كبير ، واحساسه باصالتها يغمره بالثقة ويهيىء له عوامل الاعتزاز والفخر ، فعند هذه الامة ما يمكنها من النهوض والاستمرار ، مهما توالت عليها الضغوط وآلمتها الضربات ، يقول :

---

١ — انظر الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، نابلس ، ص ٢٩ .

امتي ان تجر عليك الزعامـــا ت فلا تيأسي ذريهـــا وسيري

انها ان تســوء تشل قــوى الشــعب وتبـــل الاقوام بالتأخـــير

كنت خـــير الوجـود قـد شـهد اللـه وأحرى الانـام في أن تصـيري

القديم الجميـل ريش جنـاحيك فرفي في العـــالمين وطـــيري

رتلــي ســـورة الســـلام علــى الارض وغنــي انشـودة التحرير

ويعجبنا البيتان الاخيران لما يحملان من أصالة التراث ، وقوة الاعتزاز وجمال المعنى ، والتصميم على التحرير والنصر .

وحين نستمع الى عبد الرحيم وهو ينشد للتحرير والسلام في الارض نحس بدمه النضالي يكاد يتدفق من ثنايا شعره ، فيلمع على حد سيفه .

ويمجد عبد الرحيم الشهادة والبذل والفـداء من خلال رثائه لرفيقه في النضال القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد الذي استشهد في قرية (صانور) بالقرب مـن جنين سنة ١٩٣٩م، والذي امتاز بجرأته في النضال وبسبقه الى الشهادة ، وهنـا يعتز عبد الرحيم بموقف رفيقه الشهيد ، لانه مناضل وثائر ، فيناديه بصوت حزين دام، ويرثيه رثاء من فقـد أمة بكاملها ، ويلخص صفات هذا القائد التي أهلتـه للقيادة النضالية : خلق زاك ، وعزم شديد ، ومروءات مكتملة ، تتعاون جميعها في نفـس البطل القائد لتصبح ترجمة عملية لاخلاصه الوطني واستشهاده الشريف فيقول : (١)

أاذا أنشدت يوفيـك نشيـدي ؟ حقـك الواجب يا خـير شهيـد

أي لفظ يســع المعنـى الـذي منـك استوحيه يا وحي قصيدي

لا يحيط الشعر فيمـا فيك مـن خلق زاك ومن عزم شديـد

---

١ ــ مجلة الامالي ــ السنة الاولى ، عدد ٣٢ سنة ١٩٣٩ ، ص ١٠١٨ ، وقد وردت تحت عنوان (موت البطل) ، و عدد ابياتها ٣٦ بيتا . وانظر ص ٦٢ من النشرة الثانية ، مكتبة بلدية نابلس العامة ، وانظر الديوان ص ١٢ . وديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة تحت عنوان البطل الشهيد ص ١٢٩ وما بعدها وقد وردت في ٣٤ بيتا وليس في ٣٦ بيتا كما ذكر ص ٢٢٢ .

كملـــت فيــك المرؤات فلـــــم   يبـــق منهــا زائـــد للمستزيـــــد

وتنطلق من نفس شاعرنا زفرة حرى حزنا على رفيقه الشهيد ، لانه الركـــن الوطيد الذي يذود عن الدين ، ويؤسس للمجد دارا ، وتمتد حسرة عبد الرحيم وتكبر مصيبته ، ويتضاعف ألمـــه فينادى بصوت مأسوى رفيقه في النضال ، متحسرا علـــى تلك الايام التي قضاها معه ، ومتألما لخلو الساحة الحربية منه :

أيها القائد لم خلفتنـــــــــــا   ولمن وليـــت تصريــــف الجنـــود
أقفر الميـــدان مـــن فرسانــــه   وخـــلا من أهلـــه غـــاب الاسود
خمدت نار لقـــــد أضرمتهـــــا   لعـــدا كانوا لها بعض الوقـــود
والحمى قـــد ريـــع يا ذخر الحمى   وغدا بعـــدك منقوص الحـــدود

وما كان رثاء الشاعر لرفيقه الا رثاء لنفسه ، وحنينا للشهادة ، ودعوة صادقة للنضال ، لقد سار على دربه ودرب القسام ، وكلا الدربين نضال ، وكلاهمـــا كفاح والتحام مع الموت على ساحة المعركة ، فهـــو حين يبكي هذا القائد الشهيد ، لا يبكيه بدمعة العاجز الضعيف ، ولكنـــه يستحضر أيـــامه النضالية ، ثائرا متنقلا بين الجبل والسهل ، ليرسم بدمه خريطة حقيقية للوطن ، ويرثيه بكلمات تشعرنا باندفاع الشاعر الى حومة القتال ، لنيـــل الشهادة .

ولعل حزن الشاعر على فقيده هو حزن الامة عليه أيضا ، فالمصيبة كبيرة والحزن يملا كل بيت :

لم أكن قبلك أدري ما الـــــذي   يرخص الدمع ويـــودي بالكبـــود
ان يوما قد رزئناك بـــــــــه   جاعل أيامنا ســـودا بســــــود
هلكـــت نفس الأوداء أســــــى   فيـــه وارتاحـــت له نفس اللدود
كل بيت لـــك فيه مأتـــــــم   ينـــدب الناس بـــه أغلى فقيد
للمناحات صدى مرتجـــــــع   في بـــلاد العـــرب سهـــل ونجود

هذه النغمة الحزينة في الابيات ترتد في حقيقتها الى حزن جماهيري واسع نابع من

توالي المصائب الدامية التي يعيشها الشعب العربي في فلسطين كل يوم ، داخل البلاد وخارجها ، ولعل السياسة الاستعمارية التي ترمي دائما الى الاضطهاد والاغتيال قد انسحبت على الاحرار الفلسطينيين خارج فلسطين ، وبعد النكسة الحزيرانية عام ١٩٦٧م، حين عمدت « الى اغتيال الاديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني والشاعر كمال ناصر ، ولما حاولت ان تسكت بصواريخها الموجهة الى مركز الابحاث الفلسطيني سلاح الكلمة » . (١)

هذا الشعب الذي يحزن بعمق على فراق شهدائه ، يحن الى النضال ويرى فيه خلاصه ، والا فعلام الحزن الى هذا الحد ؟ وعبد الرحيم لا يصور حزنه الفردي ـ كما قلنا ـ ولكنه تصوير لهم الجماعة الانسانية وتجسيد لمطالبها في الحرية عن طريق القتال والثورة المسلحة ، وهذه حالة متقدمة أحس بها الشعب الفلسطيني فعبر عنها الشعراء مؤكدين ضرورتها ، لتكون دليلا على أن الحق المغتصب لا يسترد الا بقوة السلاح .

ويعود عبد الرحيم لمناداة القائد الشهيد مؤكدا حقائق مهمة في كفاح الشعب الفلسطيني :

الحقيقة الاولى هي أن هذا الشعب قدم الضحايا والابطال منذ مطلع هذا القرن حين ظهرت نوايا بريطانيا والصهيونية لاقامة وطن قومي لليهود على الارض العربية ، ممهدة لذلك بالهجرة المستمرة، وامتلاك الاراضي ، وطرد الشعب الفلسطيني عن أرضه بالقوة والارهاب .

والحقيقة الثانية أن صوت الشعب الذي حمله الشعراء الى خارج فلسطين كان يتمازج فيه الحزن والنقمة ، الالم والثورة ، الغضب والرفض ، البكاء والنضال ، فالحزن الغاضب ، ترنيمة نسمعها ونحن نقرأ شعراء جيل ثورة ١٩٣٦ من أمثال ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي وغيرهم .

---

١ ـ نواف ابو الهيجاء ، مجلة الثقافة العربية ، العدد الثامن سنة ١٩٧٥م ، ص ٤٩ وما بعدها .

والحقيقة الثالثة التي يؤكدها هذا الشاعر كما يؤكدها معاصروه من الشعراء الفلسطينيين هي ترسم طريق النضال الحقيقي ، وبذل النفس رخيصة على طريق هؤلاء الابطال وهم يطمحون لنيل النصر وقهر المستعمر ..

وفي الابيات التالية يرسم عبد الرحيم مشهدا داميا لمصرع هذا البطل ، في عرس فلسطيني دام :

أيها القائد هذي ميتة	طالما رجيتها منذ بعيد
مصرع الابطال ما بين الحديد	في الميادين ورفات البنود
هذه أعراسهم صخابة	نقرة الدف بها قصف الرعود
فيروون الثرى من دمهم	ويحنون به كف الصعيد
ويزفون عليهم حلل	من نجيع الحرب تزرى بالبرود

هذه الاعراس التي صورها عبد الرحيم محمود قبل عشرات السنين ، هي أعراس الشعب الفلسطيني الذي ادمن التبرع بالروح والدم ، والذي ادرك أن العرس مؤالفة جميلة بين الموت والحياة، لان الموت في هذا المفهوم يصبح صنو الحياة الحرة الكريمة ، هذه الاعراس الفلسطينية الدامية امتداد واستكمال لاعراس طوقان التي صورها في صيف عام ١٩٢٩ في « الثلاثا الحمراء » . (١) حين أعدمت السلطات البريطانية ثلاثة من الشباب العرب هم الشهداء : فؤاد حجازي من صفد ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل ، وكان يوما مخضبا بالدم مسكونا بالتضحية مسجلا في سفر الثورة الفلسطينية الماجدة :

اجسادهم في تربة الاوطان	أرواحهم فيجنة الرضوان
وهناك لا شكوى من الطغيان	وهناك فيض العفو والغفران

ولعل هذه الاعراس التي انطلقت اصواتها من ثلاثاء طوقان الحمراء ، وتوهجت

---

١ ـ البدوي الملثم ، ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٤ ، ص ٣٤ وما بعدها .

واتسعت وعمقت في قصائد عبد الرحيم بعامة وفي رثائه لرفيقه القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد بخاصة ، لعل هذه الاعراس ، هي المقدمة الحقيقية، والبداية الدموية لاعراس محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية ، ذلك ان كلمة « اعراس » تحمل اكثر من مدلول ، وتجسد اكثر من معنى ، وتطرح اكثر من قضية :

فالعرس « أولا » يرمز الى العلاقة بين الحياة والموت ، بل ان بروز ظاهرة الموت من خلال العرس ، تؤكد على تجدد الحياة ، وهي مسكونة بالامل والتفاؤل وليس باليأس والقنوط .

والعرس « ثانيا » موت واع ، موت اختياري طوعي محفوف برغبة جماعية صادقة لايجاد البديل الامثل ، والاستغناء عن حالات الذل والاستسلام ، لذا فان هذا الموت المصاحب للعرس هو (الموت — الاستشهاد) وهو (الحياة — النموذج) ، التي يحرص الانسان الحر للتطلع اليها وتحقيقها .

والعرس « ثالثا » يحمل مفهوم العشق — الفرح ، انه عشق المناضلين الثوار للزفاف الى حبيبتهم الارض ، وهم يخضبون أيديهم بحناء الوطن ، ليصنعوا الحياة الحرة الكريمة بمحض ارادتهم .

وعبر الشاعر محمود درويش عن هذه الاعراس في قصيدته (طوبي لشيء لم يصل) (١) التي خصصها لرثاء شهداء الثورة الفلسطينية الثلاثة : الشاعر كمال ناصر ويوسف النجار وكمال العدوان ، كان عرسهم خارج الارض الفلسطينية المحتلة ، ولكنه كان يمتد ويتشرخ ويكبر من شارع « فردان » في بيروت ليغطي أرض العرب بدم الشهداء المزهر دما وحرابا .

ان استحضار عبد الرحيم محمود لصورة الشهيد على هذا النحو مؤشر نضالي صادق على رغبته ، وعلى رغبة الشعب الفلسطيني في مواصلة المسيرة النضالية بثبات وتصميم ، فيتخذ من شهيده مثالا يحتذى ..

---

١ — محمود درويش ، محاولة رقم — ٧ — دار الاداب ، الطبعة الاولى ، نيسان ، ابريل ، ١٩٧٤ ، ص ٩١ وما بعدها .

يا شهيدا قد تخذنــا قبســـــا	منــه يهدينــا الى النهج السديد
مثــل أنت وما ان تنتســــى	لا تنــي ترويــك أفــواه الوجود
مت في الحرب شريفــا لم تطــق	ربقــة الاسر ولا ذل العبيــد
هكــــذا العــار مريــر ورده	والردى للحــر معسول الـــورود

ونؤكد أن مرثية القائد الشهيد هذه انمـــا هي منشور ثوري تحريضي يوزعـــه عبد الرحيم على ابنـــاء فلسطين والامة العربية ، وفي شعر عبد الرحيم دائمـــا تحرك وانطلاق وتمرد على الواقع المؤلم لرسم واقع أكثر حرية وانطلاقا .

ويحتل النضال في شعر عبد الرحيم جانبا كبيرا ، وحتى في شعره الـــذي لـــم يخصه بحديث النضال . ففي موضوع ديني « كذكرى الهجرة » مثلا نحس بصـــوته الداعي للنضال ، المحرض على الثورة ، فهــو يطبع القصيدة بطابع الكفاح المسلح ، ويمازج بشكل موفق بين ذاكرته الدينية وذاكرته الوطنية والسياسية ، وتصبح قصيدة في ذكرى الهجرة ترنيمة نضالية في اطار ديني ، يبدؤها بتذكر هذه المناسبة العطـــرة ، وما تثيره في النفوس من معان وقيم ، فيقول (١) :

يوم مجد فات ما أجمــل ذكــره	فيـــه لو نفطن آيـــات وعبـــره
فيه ان الحق ان حصنــــــه	قادر لم يستطع ذو البطل هـــدره
فيه ان المــــال والاهــل اذا	لم يجــودا ضحيا من أجــل فكره
فيـــه ان هـــم الفتى فليقتحـــم	لا يخف ضحضاح ما ينوي وغمره
شرعة علمناهــــا المصطفى	ليتنا نمشي على الشرعـــة اثـــره

فهـــو يؤمن بالحق المحصن بالقـــوة ، ويـــرى استخدام البطش واســـتخدام السلاح وسيلة للوصول الى الحق واحراز الهدف ، فالسيادة في هذه الدنيـــا للقوي ، وهي حقيقة نلمسها في نطاق علاقات الافراد والشعوب والدول :

فليحل السيـــف ما عقـــــده	غـــادر بيت للاوطـــان غـــدره
ليس مثــل البطش في الدنيا فكن	باطشا يرهب اهــل الارض شره

١ ــ انظر : الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، نابلس ، ١٩٧٥ ، ص ٥٠ وما بعدها .

السيف هنا وسيلة نضالية ، تتسع كرمز لتشمل كل الادوات والاسلحة الحربية الحديثة التي تستخدم في الرد على الاعداء .

ويعود عبد الرحيم ليقرر حقيقة مفهومه في الاذهان ، وهي ان الضعيف المظلوم لا كيـــان له ، من هذا المنطلق يؤكد الشاعر قيمة كانت سائدة في المجتمعات القديمة ، ولكنها تنسحب على مجتمعاتنا المعاصرة في كثير من الاحيان ، يقول عبد الرحيم :

ضيع المضعوف لاظفـــر لـــــه ونجـــا المضعوف لو طـــول ظفره
ودمــوع الـذل ما رق لهـــــا قلب ظلم ان قلب الظلــم صخره
قوة المرء لـــه حجتـــــــــــــه وهي ان يظلــم تقف في الناس عذره

وقوى الشاعر دعوته الى النضال بالاشارة الـــى ما جاء في الذكـــر الحكيم مـــن اعـــداد القوة ورباط الخيل ، يقـــول الشاعر :

وأعدوا لم يقلهـــــــا ربكـــــم عبثـــا فلتحسنوا في الذكـــر نظره

وما ذلك من الشاعر الا دعوة الى التراث الديني ، يفيد منـــه كمـــــا يفيد من تاريخنا الاسلامي ويتخذ منه منطلقا للنضال ، يقول الشاعر :

لم تكن هجرة طـــه فـــــــرة انمـــا كانت على التحقيـــق كـــرة
كانقباض الليث ينـــوي وثبـــة وانقباض الليث في الوثبـــة سوره

فلم تكن الهجرة اذن ضعفا أو هروبا ، ولكنها كانت أخـــذا باسباب القوة واجماعا للرأي على مقاومة الخطر بقـــوة الايمان ، وبقوة السلاح .. وهذا المفهوم للنضـــال القائم على مبـــدأ القـــوة والعنف ، يستمده شاعرنا كذلك من هذه المناسبة الدينية التي يـــرى فيهـــا انتصار عوامل القوة على عوامل الضعف ، فيقـــول :

ورمى في السوح ابطالا لهـــــم فـــوق ساح الموت تمراح وخطره
وانجلى العثير عـــن هاماتهـــــم كللـــت بالغـــار من مجـــد وذخره
فمشوا في الناس نـــورا وهـــدى وبدوا فوق جبين الدهـــر غـــره

ركزوا أرمـاحهم فـوق العـلا وحدا الحادي بهـم عزا وشهره

ويدعو عبد الرحيم جماهير الامة العربية الى الثورة ، مؤكدا الفعل دون القول فيعقد موازنة بين وضع الامة الاسلامية يوم ان كانت في أوج قوتها ومجدها وسـيادتها وبين وضع الامة العربية الايل الى الضعف والسقوط ، بسبب تخاذلها وتخاصـمها وهوانها ، وتعاون قوى الاستعمار عليها ، فيرسم صورة واقعية للحـالة العـربية في أبيـات تحمل انتقادا بالغـا ، فيقـول :

وأتينا نحـن من بعدهمـو وأضعنا ما جنـوا طيشـا وغره
يثغر السور علينـا ونـرى ثـم لا نرتـق بالافعـال ثغـره
ونرى الماكر في أمجـادنـا ثـم لا نفسـد للشقـوة مكـره
ونرى حد حمانا ناقصـا كـل يـوم شطرة من بعد شطره
ولنـا في كـل يـوم قالـة فـأرونا فعله في العمـر مـره

ويلخص الشاعر دعوته القائمة على عنصر القوة بقالب الحكمة فيقول :

لا يصـون الحـد الا حـدة ويذيب القيـد الا نـار قـوه

وحتى حين يدعو للتخلص من حياة الذل والهوان ، فانه يلتمس طريقه بالنضـال المؤدي الـى الموت :

ومذاق الموت أحلـى في الوغـى من حياة ضنكـة في القيـد مـره

ولعل مفهومه للحرية نابع من مفهـومه للنضال القائم على التصميم والارادة :

ونفوس الخـلق اعـلاها التـي ان تعش عاشت وماتت وهي حره
لا تقولوا ما لنا من قـدرة ان تريدوا ينخلق عـزم وقـدره

هكذا تمتد النزعة النضالية على كثير من أشعار الشاعر غير الوطنية في مظهرها الخارجي لتؤكد أن دعوته الى النضال نابعة من احساسه بضرورة تحقيقه فـي هذا الوقت الذي لا يحمي فيه الحق ويعيده الا القوة والكفاح المسلح :

ليس يحمي الحـــق الا فتكـــــة ويعيد الحق فينـــا غــــــير قسره

لم يكن النضال في حياة عبد الرحيم حدثا عارضا أو نزعة موقوتة ، ولكنه شيء من ذات الشاعر ومن طبيعته ، وهو ضرورة يفرضها واقع الحياة ، وطبيعة الظروف التي تمــر فيها فلسطين . وقــد رأينـــا كيف أن الثورات التي اشتعلت في فلسطين كانـــت تعتمد على المقاومة الشعبية والكفاح المسلح ، ويشكل فيها النضال حقيقة واقعـــة لمسناها في الابطال الفلسطينيين الذين حملوا السلاح دفاعا عن الوطن فسقطوا شهداء كالقسام وفرحان السعدي وعبد الرحيم الحاج محمد وشاعرنا الشهيد عبد الرحيـــم محمـــود .

ونخلص من كل ذلك الى ان دعوة عبد الرحيم محمود الى النضال تتلخص في :

أولا : اسهام القطاعات الشعبية كافة في معركة التحرير والنصر ، والانخراط في صفوف الثورة ، ليتخذ النضال طابعا جماعيا ، وليكون نابعا من ضمـــــــير الانسان الفلسطيني نفسه .

ثانيا : الاقتداء بمنهج رجال المقاومة الاوائل ، الذين ناضلوا بحق وصدقوا في نضالهم ، فسقطوا شـــــهداء الواجب والوطن .

ثالثا : التمسك بمبدأ القوة ، والعنف ، وتسليح الشعب بالعقيدة الثابتة ، ليتمكـــن من نزع الحق والدفاع عنه لانه يقـــرر بأن :

الحـــــق ليس براجـــــــــــع لذويـــــه الا بالحـــــــــــراب

رابعا : انبثاق دعوة الشاعر الى النضال من داخل نفسه ، ومن داخل شعبه ، يعززها هدف يسعى الشاعر دائما اليه ، وهو طرد المعتدي ، وتخليص الارض وتحقيق الحرية والكرامة الانسانية .

خامسا : رسم صورة دامية للواقع المأساوي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ـــي نضـــاله العـــادل .

سادسا : التزامه الدائم بالهم الوطني ، والواجب السياسي ، وحرصه علـــى رسم اطار الشخصية الفلسطينية القوية .



٢ ـ مواقف ملتزمة

(الرفض ـ الغضب ـ الارض)

عبد الرحيم شاعر رافض ، غاضب ، ملتزم بمواقفه الثورية من وطنه وشعبه ، فهـو رافض غاضب حين يقف مواقف بطولية ، تمتلىء بالفروسية والشجاعة والجرأة، وتتمرد على سياسة الاستعمار وممارساته غير الانسانية .. وهو ملتزم بهموم وطنه وشعبه وقضايا امته العربية عندما يثور ويقف مطالبا بحقـوق الجماعة الانسانيـة ، ويكرس حياته من أجل هدف سام لتخليص الارض وتحرير الانسان ، وهو في التـزامه هذا واضح الهـدف ، ثابت العقيدة ، قوي العـزم ، تظهر في شعره نغمة الفخـر الممزوجة بفروسية العربي وعناده ، فعندما يهاجم الترك والحلفاء في قصيدته « وعد بلفور » (١) يأخذ في تمجيد العرب والاعتزاز بمواقفهم الشريفة يوم كانوا أمة شـريفة ماجدة ، ترفض الخضوع وتأبى الهـوان :

العرب ما خضعوا لسلطة قيصر	يومـا ولا هانـوا أمـام تجبـر
لا يصبرون على أذى مهمـا يكـن	والحر ان بسم الاذى لم يصبـر
والترك قد كبروا وانـا معشر	كبر ، وفوق تكبـر المتكبـر
واذا بـه أمر نبيتـه لهـم	تحـت الاسنة والقنا والسمهري

هذه النغمة التهديدية مردها الى طبيعة عبد الرحيم الرافضة ، والى حسـه الغاضب ، وهو في ذلك يجسد غضب الشعب ورفضه ، فصوته صـوت شعبه ، واحساسه احساسهم ، كمـا أن تعريضه بالاستعمار التركي وتهـديده له نابع مـن معاناة الشعب .. ولا يقف عبد الرحيم عند مهاجمة الاتراك ولكنه ينتقل الى مهاجمـة العـدو الاستعماري الجديد (بريطانيا) هذا الذي لم يحفظ عهـدا ولا ذمة وتمادى في

---

١ ـ الديوان ، ص ٣٩ وما بعدها .

اصدار وعد بلفور الذي يقضي بأن تكــون فلسطين وطنا قوميا لليهــود ، وييسر لهم أبواب الهجرة ، وامتلاك الاراضي ، واقامة المستعمرات ، نراه أولا يعرض لموقــف العرب من بريطانيا ، في حين تنكرت الاخيرة لوعدها ، ولم تحفظ الجميل ، فيقول :

وأتى الحليف وقام في أعتابنـــــا	متحيرا انــا هــدى المتحيـــــــر
واستنصر العرب الكــرام وانهم	غوث الطريد ونصــرة المستنصر
واذا عتاق العرب تورى في الدجى	قدحا وتصهــل تحت كل غضنفر
واذا السيوف كأنهــن كواكــب	تهوي تلامع في العجــاج الاكــدر
رجحت موازين الحليف ومن نكن	معــه يرجــح بالعظيــم الاكثــر

ثم يحمل عبد الرحيم بعنف على موقف بريطانيا من العرب ، حين خذلتهم وتخلت عنهم ، ونقضت كل عهودها ومواثيقها التي كانت قد قطعتها للشريف حسين ، ويعتــز بموقف العرب الذي يتمثل في نصرة المستنصر ، والوقوف الــى جانب المستجير وقت الشدة ، ولكنـــه يعــود فيصــور غـــدر بريطانيا ، ولؤمها في التعامل مع العــــرب فيقــــول :

غدر الحليف وأي وعــد صانــه	**يوما** وأية ذمة لــم يخفــــــر ؟
لما قضى وطرا بفضـــــل سيوفنا	**نسي** اليــد البيضا ولــم يتذكــر
واذا الدم **المهراق لا بمراقـــه**	جدوى ولا بنجيعــه المتحــــدر

وهو هنا يرفض أسلوب بريطانيا في تعاملها مع العرب ، في حين تسلل من كلماته نغمة من التهديد والغضب ، فيثور وتصبح كلماته تعبيرا عن هذا الرفض وذلك الغضب:

يا ذا الحليف سيوفنــا ورماحنــا	لم تنثلم فاعلم ولم تتكســـــــر
بالامس أبلــت في عــداك وفي غد	في كــل قلب غــادر متحجـــر
تغلي **الصدور** وليس في غليانهــا	الا نذير العاصــف المتفجــــــر
ولقد تصبرنا عليك فلــم نطــق	منــك المزيد ولات حين تصبــر

ويستهين الشاعر بوعد بلفور ، ويرفضه من أساسه ، ويلقي باللائمة هذه المرة على العرب الذين تخاذلوا وتفرقوا حتى نال العدو منهم :

بلفور ما بلفور ماذا وعـــــده	لو لم يكن أفعالنـــا الابـــــرام
انا بأيدينا جرحنـــا قلبنـــــا	وبنـــــا الينـــا جـــاءت الآلام
فينـــا عن الحب المجمـــع جفـــوة	ولنـــا بصحراء الخصـــام هيـــام
والخطب فرقنـــا قبائـــل جمـــة	والخطب عند عداتنـــا لمـــــام

ونظرا لخطورة وعد بلفور على قضية فلسطين وعلى الامة العربية ، فقد نـــدد به غير شاعر ، فهذا (ابراهيم الدباغ) الشاعر الفلسطيني يحمل على هذا الوعد وعلـــى صاحبه في قصيدة بعنوان « صوت فلسطين » (١)

والحقيقة أن عبد الرحيم محمود يستهين بمواقف العرب ، ويسخر من مؤتمراتهم، فيشير الى اجتماع الملوك مرة في (انشاص) بمصر في الثامن والعشرين من مايو ١٩٤٦م ومرة في (بلودان) بسوريا خلال يونيو (حزيران) ١٩٤٦ (٢)٠ ويرفض شاعرنا ذلك كله ، ويفضح مواقفهم وتنازلاتهم بجراة ووضوح ، ويدعوهم الى الاعتماد على النفـــس وطرح الاوهام الخداعة جانبا فيقـــول :

---

١ ــ ابراهيم الدباغ ، ديوان الطليعة ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٣٦ و ٣٨ ٠

٢ ــ جاء هذان المؤتمران على أثر توصيات لجنة التحقيق الامريكية البريطانية ، حيث ثار الوطنيون العرب الاحرار ، وطالبوا الدول العربية بالوقوف بحزم وعزم وتصميم لمنع الانجليز والامريكان من تنفيـــذ مخططاتهم الاستعمارية في فلسطين ، ويبدو أن ملوك العرب ورؤساءهم قد تنادوا لعقد اجتمـــاع في انشاص وبلودان ضم ملك مصر وامير شرق الاردن ورئيسي جمهوريتي سوريا ولبنان واميرين مـــن السعودية واليمن والوصي على عرش العراق ، وقرروا التمسك باستقلال فلسطين وتأكيد عروبتها ، وتأليف هيئة تمثل الفلسطينيين وترفع صوتهم عاليا ، ورغم ظهور هذه المؤتمرات والقرارات بمظهـــر وطني وجدي الا انهـــا لم تكن عملية بالنسبة لفلسطين ٠

انظر صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص ٢٩١ ٠

يا قادة — الا الذين أجلهم عما يذم — وقد عداهم ذام

نحن الضحايا لا نريد مثوبة وأقلها التعريف والاعلام

«انشاص» و «بلودان» ماذا أنتجا لا لا تسل ان السؤال حرام

ما طائرات غاديات روح ما ذلك الاسرار والابهام ؟!

او ليس من دور لنا نلهى به الا وداع حافل وسلام

ما حك جلدك مثل ظفرك يا فتى ، يا حر لا يتعبنك الاوهام (١)

ومع هذا الالم الواخز ، ومع هذا الحزن الذي ينسرب الى النفس من مرارة الظرف ، وتردي الاوضاع ، تنهض نغمة الرفض والغضب والثورة ، من أبيات قادمة مؤكدة التزام الشاعر بمواقف ثورية واعية ، فهو في أبياته التي يقول فيها : قل لا واتبعها الفعال .. الى قوله : قد سارها من قبلك القسام ، يضعنا وجها لوجه أمام موقف فكري وسلوكي محدد ، فيه روح الرفض والثورة والالتزام ، ففي قوله :

قل لا ، ولا تخف ، واصهر ، واغصب حقوقك ، ولا تستجد ، واقم صرحك ، كل هذه مواقف رافضة ، واسلو بحياة للوصول الى هدف مصيري يحلم به الفلسطيني ليخلص الى عالم جديد تبنى اسسه على أجساد الشهداء ، ومعطيات القوة .

ونحس بصوت رفضه وغضبه في معظم قصائده الوطنية ، فهو حين يتوجه الى الشعب الذي غررته القيادات العربية ، ويشفق عليه من زعاماته ، يرفض بريطانيا ، ويرفض سياستها الظالمة في حكم الشعب العربي ، والتصرف بمقدراته ومصيره ، يصرخ متألما :

يا شعب يا مسكين لم تنكب بنكبتك الشعوب

قلدت امرك من بهم لا يرجع الحق الغصيب

---

١ — الديوان ، ص ٢٥ .

لهفـــي عليــك الا تـــــرى   يا شـــعب حـــولك ما يريـــب ؟ (١)

وعندما يرسم صورة ساخرة للواقع العربي المؤلم بقياداته التقليدية الهــزيلة ، ينتقد هذا الوضع المتمثل في تخاصم القادة وتناحرهم ويرفضه فكرة وسلوكا :

وتخاصم القـــواد بــين مشـــرق   ومغـــــرب وتقطعـــت أرحـــام

فاذا المنـــــابر صاخبات حفـــل   يرغـــى بهـــا التهويش والايهام (٢)

وتتسع مواقفه الملتزمة لتأخذ طابع الشمول ، فهـــــــو في التصاقه بأرضـــه الفلسطينية لا يعني بأية حال انفصاله عن تراب الوطن الكبير ، أو ننفصال هذا الوطن بشعبه ومطامحه وآماله وتطلعاته عنه ، فهـــو ينزع في كثير من مواقفه منزعا قوميا . « لخمسة عشر عاما كان عبد الرحيم يبث قصائده أسماء العرب في فلسطين وخـــارج فلسطين وقد وحـــد بين نفسه وبين شعبه ، فهـــو انمـــا يتحدث عن نفسه اذا تحدث عن العرب ، وهو انمـــا يتحدث عن العرب اذا تحدث عن نفسه » (٣) ، ويؤمن شاعرنا بأن الارض العـــربية بقعـــة جغرافية لهـــا مقومات الوطن : شعبها واحد وتاريخهـــا واحد ، ولغتهـــا واحدة ومصيرها واحد . . يؤكد ذلك وهو يتحدث عن (عيد الجامعة العربية) في القصيدة التي تحمل هذا الاسم :

حلم لقد لابـــت عليه نفوســـــنا   أجمـــل بـــأن تتحقق الاحـــــلام

جمـــع الشتيت فكـــــل قطر درة   في تاجـــه والوحـــدة النظـــــام

فـــاذا تشكى النيـــل مـــن آلامه   شـــــقت مرائر دجلــــة الالام

واذا تنـــادى المغرب الاقصى ادى   جلـــى استجابت للنـــداء الشام

ذهبت خـــرافات الحـــدود فكلها   وطـــن لنـــا لو صحت الافهـــام

---

١ ــ الديــوان ، ص ٣٨ .

٢ ــ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥ .

٣ ــ جبرا ابراهيم جبرا : الرحلة الثامنة ، ص ٤١ .

ويؤكد الشاعر هنا توافر مقومات الوحدة العربية ، وانتفاء الحدود الوهمية بين الاقطار العربية تلك الحدود التي خطها الاستعمار وهو يرمي الى تفتيت الوطن العربي الكبير الى عناصر وأجزاء ليتمكن من حكمها من جهة ، وليخلق بينهما جوا من الخلاف والفرقة ، معتمدا على سياسة « فرق تسد » .

كما يؤكد الشاعر المشاركة الوجدانية بين البلاد العربية ، لان الدم الواحد لن يصبح ماء في يوم ما .

ولعل غيرته على لغته وعروبته هي الاخرى موقف يشهد على التزامه وانتمائه الصادق الى امته التي انتسب اليها ، فهو يغار على قومه الذين تفرنجوا ، وقلدوا الغرب ، تقليد الاعمى ، حتى أوشكوا على عبادته ، ويشير عبد الرحيم الى الحرب الباردة التي تنهجها السياسة الاستعمارية للنيل من لغتنا العربية ، وتشويه تراثنا ، وامتلاك ارضنا ، وتغيير ملامحها الوطنية ، فيحذر الشاعر من هذه الاساليب الرامية الى فقدان الهوية العربية ، فيقول في قصيدة « بين الشرق والغرب » : (١)

قومي لانتم عبرة الاقوام ... هل تنسبون ليافث أوسام
أبناء عمي من نزار ويعرب ... ليسوا بأغراب ولا أعجام
يترسمون الغرب حتى يوشكوا ... أن يعبدوه عبادة الاصنام
ما قلدوهم مبصرين وانما ... تبعوا نظامهم بغير نظام
للغرب عادات كغارات سرت ... في الشرق مسرى الداء بالاجسام
لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم ... حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وأرضها ... ليست تشن بمدفع وحسام

وهو في محافظته الواعية على اللغة والارض ينفذ الى كشف حقيقة خطيرة تكمن في قوله :

والشعب ان سلمت له أوطانه ... ولسانه لم يخش قطع الهام

---

١ ـ الديوان ، ص ٤٤ وما بعدها .

ويحمل الشاعر على أبنـــاء العربية الذين عقوا لغتهم الام ورموها بالعقـــم ، ويدعوهم الى الاهتمام بهـا ، ويؤكد قيمتها باعتبارها احدى مقومات الشخصية العربية الاساسية ، وفي تأكيده هذا تحـد للمستعمر وتجذر في التراث الذي يسعى الغــرب لاماتته في هذه المرحلة الخطرة من تاريخنا :

لهفي على الفصحى رماها معشر — من أهلهـــا شلت يمين الـــرامي
لم يهتـــدوا لكنوزها فـــاذا بهم — يرمونهـــا بالفقـــر والاعـــدام
الـــدر في طي البحـــور مخبـــأ — والتبـــر ان تنشده تحـــت رغـــام
لن يستعيد العرب سالف مجدهم — ولسانهم غرض لرمي ســـــهام
ان يرفعـــوا ما انقض من بنيانهم — فالضـــاد أول حائـــط ودعـــام

ويعلق الياس خوري على اللغة ودلالتهـــا في الشعر الفلسطيني المعاصر بقوله :

« دلالة اللغة اكثر دلالات الشعر أهمية ، لا تظهر هذه الدلالة بشكل مســـتقل لكنها هي الاطار العام الذي يغلف التجربة الشعرية في الارض المحتلة ، فاللغة هـــي اطار الصمود ،(١) انها العلامة الاساسية التي يجب التمسك بها ، والتركيز عليهـــا ، فاللغة هي مستودع الذاكرة الجماعية ، انهـــا القيمة القومية الاساسية التي يجب المحافظة عليها » . (٢)

والتزامه بلغته يعني الحفاظ عليها من التشويه والضعف ، كمـــا يعني أنهـــا السلاح الذي يشهره في وجه القوى الطامعة لقهـــر عروبته . . ولم يكن انتماؤه للوطن والقضية انتماء سطحيا ، أو فرديا ، ولكنه انتماء عميق واع ، وجماعي ، وهو فخور بهـــذا الانتمـــاء العربي ، لانه عودة الى الاصل ، وتمسك بالجذور الاولى :

ان يزه شـــرقي بغير العرب من — اجـــداده الاتـــــراك والاروام
فأنـــا الفخـــور بأننـــي لا ينتمي — للعجـــم أخـــوالي ولا أعمـــامي

---

١ ــ يعنى بالصمود الثبات وهو استعمال فشا حديثا وحقيقة الصمود القصد والحركة لا الثبات والسكون .

٢ ــ مجلة شئون فلسطينية العددان ٤١،٤٢ ــ كانون الثاني ــ شباط ١٩٧٥ ، ص ٣٧٧ .

ان تسألوا عني : الى من انتمي : فالى رعـــاة النـــوق والاغنـــام
ابغـــير مجـــد بني نزار ويعـــرب يزهى عراقـــي ويفخـــر شـامي ؟

أرأيت الى هذا الشـاعر الثائر كيف تشده الغيرة على عروبته ولغته ؟ وكيف يبلغ به انتماؤه الصادق للارض وللقضية الى أن يدرك أن هذه الارض تترابط اجزاؤهـــا بوشائج وجدانية وقومية ومصيرية ، فهي ليست مجرد بقعة جغرافية وحسب ، ولكنها سجل حافل لتاريخ عربي مجيد ، ولحضـارة انسانية متكاملة ، انهـــا الوطن الذي يشعر الانسـان بقيمته ووجوده واستقلاله .

ويثور الشـاعر على الظلم والظلام ، ويطالب بالحرية ، فيقـــول :

ذاك أن الظلوم يكره فجـــــــــــر الحـــق كي لا يزول ليل الدجور
قـــوم طه بـــين الخـــلائق قوم قـــد أعـــدوا لكـــل امـــر خطير
قـــوم حريـــة اعدهم اللـــــــه (م) ليتلـــوا رســـالة التحـــرير (١)

وليس ادل على مواقف عبد الرحيم الملتزمة من ذلك السلوك العملي الذي انتهجه وهو يتمرد على حكومة الانتداب ، ويترك التعليم لينضم الى صفوف الثوار ، في محاولة جادة لنقل التزامه الفكري الى حيز الممارسة النضالية .. وقد كان له ذلك في اكثر من موقع ، ولكنه وصل قمة التزامه النضـالي في استشهاده .

وحين يخاطب عبد الرحيم العامل يحاول ان يجسد نضاله على مستوى اجتماعي وانساني ، وان يرتفع به ليضعه في مرتبة القيادة الثورية ، والمسؤولية الاجتمـــاعية والنضالية حين يدعوه الى تطهير المجتمع من عناصر التخلف والاعاقة ، ويتفجر صـــوته بالغضب والرفض ليحـــدد موقفه ، فيقـــول :

اطرق بمطرقك الرؤوس اذا تمـــادت في عنـــادك

---

١ ــ انظر أعـــلام الفكـــر والادب ، نابلس ص ٢٩ .

واحصد بمنجلك الرقاب اذا حرمنك من مـــرادك (١)

ويؤكد هذا الموقف وهو يتحدث على السنة العمال ، حين يعتبرهم رافدا دمويا للثورة المسلحة ، ويعـــد نفسه واحدا منهم ، لانه عامل ، ومناضل ، وهو قبل ذلك شـــاعر يحس بهم ، ويجسد تطلعاتهم الى الحرية والحياة الكريمة :

ودماؤنا الحمـــراء للحـــرية العليـــا روافـــد

ان اسمنا العمـــال لا نلهـــو بلغـــو عن مقاصد

نقضي على حد الاســـنة لا النمارق والوسائد

ونقابل الظلم الفري بهمة تفـــري الجـــــــلامد

ونذيب في نـــار الجهاد وحرها عنـــا الصـــفائد

لسنا كمن يهذي على الاعواد بالخطب الرواعد (٢)

وعندما تعود به الذاكرة الى الوراء ، ويصطدم بالماضي يتألم ، وينزف وهو يتـــذكر مجد العرب وأيامهم ، فهـــو في استحضار هذه الايام يسعى لتمثلها ، والاخذ بعناصر قوتها ، ولا ينقل الماضي كما هو ، بل يستلهم عناصره الايجابية ويطرحهـــا على واقعه الاليم ، ووطنه الذبيح ، يقول في « ذكرى الزمان » (٣) :

هات من ذكرى زمـــان العز هات   حبـــب الماضـــي لـــي ما هو آت

حين كنـــا غصـــة غصن بنـــا   صدر أعدانا وشوكا في اللهـــاة

تلـــك أيـــــام تقضـــــت   هل لهـــــا من رجعـــــــات

ليتهـــا لمـــــا تقضـــت   قـــد قضـــت فيهـــا حيـــاتي

ونلمح علامات الرفض والغضب وهو يسجل مواقف العرب البطولية حين ثاروا

١ ــ المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٢ ــ الديوان ــ نحن المصادر والموارد ــ ص ٢٤ .

٣ ــ اعلام الفكر والادب ، مكتبة نابلس ١٩٧٥ ، ص ٦٣ وما بعدها

للحق وعافوا الخسف والذل ، وتمردوا على الظلم والعدوان بقوة وجلد ، فوقف التاريخ على ذلك شاهدا في سالف عهدهم :

غضبة للحق كانت حبذا	عيشة المرء مخوف الغضبات
هبة للثأر كانت اننا	لذوو بطش شديدو الفتكات
لم نطق خسفا ولم نصبر على	عيشة الذل ولا كبر العداة
نحن أذللنا الوجودا	نحن للكبر مثل
واذا رمت شهودا	فسل التاريخ سل

هذه مواقف مقاتلة ، وسلوك ثوري فيه تحريض وتوعية ، وهو يعلن ذلك لانه شديد الاعتزاز بأمته ، يرى في ماضيها ايجابيات يحسن استلهامها واسقاطها على الواقع .. وهو في ذلك يرجع الى التراث العربي والاسلامي في محاولة لاحيائه ، فالمرحلة النضالية تتطلب مثل هذا الوعي القومي :

صيحة كانت فهاجت ساكنا	نفحة لله حلت بموات
اصغت الدنيا لنا وامتلأت	اذناها بدوي الزمجرات
عزت العرب وعزت دارها	تنبت الاساد فيها كالنبات

الى أن يقول :

قد عجمتم في الوغى أعوادنا	فاذا أعوادنا جد قساة
فاليكم أو لما تعلموا	يا بغاة اننا رغم البغاة
يعرب أوصى بنيه أنه	دون حوض العار أحواض الممات
قد عجمتم وامتحنتم	أو لم تدروا اليقينا
قد أبينا حين شئتم	(أن نقير الذل فينا)

فهو يجسد موقفه الواضح وتطلعاته الثورية الرافضة ، وسلوكه النزاع ابدا الى كسر القيد ، ونبذ الذل ، وهو موقف يحدد اطار شخصية الشاعر ، ويمنحه هوية الالتزام .

ويؤكد عبد الرحيم الحق ، وضرورة انتصاره على الباطل في نهاية الامر لانـــه من القيم العليا فيقـــول :

هـــكذا الحـــق علــــى قلتـــــه	صـــادق العـــزم وثبت الخطوات
وهـــــوى البـــــاطل صعقـــا	انــــه كـــــان زهـــــــــوقا
ان مــــن كـــــــان محقــــا	كان بالنصـــــــــــــر حقيقـــا

ويلخص موقفه من المستعمر الظالم الذي افسد على الانسان العربي حياته بانتزاع ارضه ، فيصرخ مهددا متوعدا ، منذرا بالعاقبة اذا ما تمادى المعتدي في تسلطه وصلفه :

لم تـــزل اســـــيافنا مســـــلولة	للعــــــوادي ماضيات الشـــفرات
فلقـــت هـــام الالـــى من قبـــلكم	وهي في هاماتكـــم في المقبـــــلات
قـــد بلـــوتم من شـــــباها ضربة	تقصـــم الظهر وتغـــدو بالحصاة
فلـــــــير الظـــــالم حــــده	وليقـــــــف لا يتعـــــــــــده
ان مــــن صـــــعر خـــــده	نتـــــولى نحـــــــــن رده

ويتوجه عبد الرحيم لنداء العرب ، وفي ندائه حزن غاضب ، ومأساة ثورية ، وحس نضالي صاف ، يدعوهم للثورة والانتقام ، والمبادرة لاخذ الحق من مغتصبيه بالقوة ، يدعوهم : ان اغضبوا ، وحطموا قيـــود العبودية ، وأنيروا ليل الظلم بوهج الحرب .. وهكذا يقف الشاعر من شعبه موقف المبصر والقائد الذي يرى الخطر فينبه اليه :

أيهـــــا العـــرب وانتـــم أمــــة	لم تنـــم يـــوما على ســـوم الاذاة
قـــد تصبرتم طـــويلا فاغضـــبوا	وتأنيتـــم كفـــى لات أنـــــــاة
فاتكـــــم بالحــــلم بعض المبتغى	فتـــلافوا بعضـــه قبـــل الفوات
من دجــــــا بالظلم ليلـــــه	فلينــــــــره بالحــــــراب
من شـــكا قيـــــدا فحلـــه	عنـــــد أطـــــــراف العضـــاب

ونلاحظ ان عبد الرحيم في مواقفه الملتزمة هذه يحاول ان يشيد بمفاخر العـــرب ، ويدعو لاستلهامها بوعي ليتخذها وسيلة للرفض والمقاومة .

ويقسم الدكتور عز الدين اسماعيل الادب الثوري للشعوب العربية في القارتين : اسيا وافريقيا الى ثلاث مراحل متداخلة :

١ ــ مرحلة الايقاظ الجماهيري وتبصير الشعب بحقيقة الواقع الاليم الذي يعيشه ، وتفهم ابعاد هذا الواقع السياسية والاجتماعية ، والعوامل التي شكلته على ما هو عليه .

٢ ــ مرحلة الرفض والاحتجاج الصارخ ثم التمرد .

٣ ــ المرحلة التي تصحب الثورة المسلحة في كثير من الحالات ، وتعبر عن اهدافها التحررية وعن مضامينها السياسية والاجتماعية . (١)

والدارس المتتبع لشعر عبد الرحيم يلاحظ أن شعره يكاد يمتد على هذه المراحل الثلاث ويعبر عنها ، وان كان يمثل المرحلتين الاوليين خير تمثيل ، فهو شعر ايقاظ جماهيري ، وشعر احتجاج وتمرد ورفض ومواجهة في كل مواقفه ، وان لم يكن من اهدافه رسم الاهداف التحررية ، وطرح المضامين السياسية والاجتماعية لهذه الثورة بصورتها الفكرية المحددة ، ففلسفة الثورة لم تكن من مهمات شعره الاساسية ، لانه شعر نابع من ساحة القتال .

الارض : يتخذ مفهوم الوطن عند عبد الرحيم اكثر من شكل ولكنها تلتقي في مجموعها عند كلمة (فلسطين) ، فهي أولا البلاد التي يقدم الشاعر روحه من أجلها :

أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى (٢)

وهي العرين التي يفديها الشهداء العرب :

هذي البلاد عريننا وفدى لها من نسل يعرب كل سد هصر (٣)

---

١ ــ الشعر في اطار العصر الثوري ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤ ، ص ١١٢ .

٢ ــ الديوان ، الشهيد ص ١٣ ، وانظر ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٢٠ .

٣ ــ المرجعان السابقان ، ص ٣٩ ، ص ١١٩ .

وهي منى القلب التي يحرص الشاعر على سلامتها وحمايتها ، لانهـا همه الشاغل ، وهدفه السامي ، كمـايدفعه هذا الحرص الى أن يسعى اليهـا ليعلن عـن صدق انتمائه لهـا ، وعن تقديس كل ذرة من ترابها الطهور ، فالوطن هو قبل كل شيء الامنية الغالية التي يحرص الانسان عليها ، وهو بمائه العذب ، وخيراته المتدفقـة رمز للعطاء والخير ، لذا فان الشاعر حريص على كل ذرة من تراب هـذا الوطن الغالي ، يحن اليه ، ويطلب عناقه بشـوق ولهفة ، يقـول :

يا بـلادي يا منـى قلبـي وان	تسـلمي لـي انـت فالدنيا هدر
يا بـلادي ارشـفيني قطـرة	كـل مـاء غير ما فيك كـدر
ليـت من ذاك الثرى لي حفنـة	اتملى من شـذا التـرب العطر (١)

وانه يمازج هنا بين المفهوم الجمالي للارض ، والمفهوم الوطني باعتبارها البقعة التي تشكل عنده الوطن الغالي ، ولا يكاد هذان المفهومان ينفصلان بل يتضحان من خلال رؤية رومانسـية .

وحين يصبح الوطن حياضا ، فان الشاعر يحميه بحد حسامه ، ليعلن عن نفسه بأنه الفتى الذي يرضي طموح قومه :

واحـمي حيـاضي بحد الحسام	فيعـلم قـومي بأنـي الفتى (٢)

وعندما يرى وطنه حرما مستباحا ، فانه يتألم بمرارة الغيـور على شـرف هذا الحـرم ، وقد رآه نهبـا للغـزاة الطامعين :

حرم تبـاح لكل اوكع آبـق	ولكـل افـاق شـريد اربعه (٣)

ويأخذ الوطن شكل (الحمى) ، الا ان الحمى يأخذ بعـدا جديدا ، هـو في ذاته

---

١ ـ الديوان ـ حنين إلـى الوطـن ، ص ١٧ .

٢ ـ الشـهيد ، ص ١٣ .

٣ ـ نجم السـعود ، ص ٤١ .

أعمق من مجرد البقعة الجغرافية ، الا انــــه الارض ذات الحدود بحرمتها المقدسة ، يسكنها قـــوم يحرصون على كرامتهم وشرفهم ، فهـــو مرة يقول :

والحمى قد ريع يا ذخـــر الحمى وغـــدا بعدك منقوص الحـــدود (١)

واخـــــرى :

اتقعـــد والحمى يرجـــــوك عونا وتجبـــن عن مصـــاولة الاعادي (٢)

ويصبح الوطن في مواضع اخرى هو الارض كما في قوله :

امـــــة ليســـــت تهـــــــون ولهـــــــــا متـــــــــــن ازل
ارضــــــها غــــاب مصـــــون وحــــــرام لا يحـــــــــل (٣)

ويدعو الى الالتصاق بهذه الارض ، لان صاحبها العامل أحق بهـــا ، فهـــو ســـيدها وحاميهـــا :

أنـــت الـــذي زرع الحيـــاة ءمن شريكك في حصادك
واحكم بأمـــرك في بـــلادك لا تغـــرب عن بلادك
يا عامــــل (٤)

ويكاد مفهوم (الوطن ــ الارض) يبرز من خلال شعر شاعر اخر هـــو ابراهيم طوقان الذي يعد احد ثلاثة (٥) مثلوا وجدان الشعب الفلسطيني في الثلاثينات وحملوا الوطن في اشعارهم باعتباره أعـــز بقعة يجـــدر بالانسان أن يحافظ عليها حتى اللحظة الاخـــيرة .

---

١ ــ البطل الشهيد ، الديوان ، ص ١٢ . وانظر ايضا ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٢٩.

٢ ــ الديوان ، دعوة الى الجهاد ، ص ١٥ وانظر ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٤٠ .

٣ ــ انظر اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبة بلدية نابلس ، ص ٦٣ .

٤ ــ المرجع السابق ، ص ٣٤ .

٥ ــ ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) .

يقــول طوقـــان :

فكــر بمــوتك في أرض نشأت بها واترك لقبــرك ارضا طولها باع (١)

وتعود هذه المفاهيم الضمنية للوطن لتلتقي في كلمة (فلسطين) باعتبارها لوطن الذي يعلن عنه الشاعر عبد الرحيم في صراحة ووضوح ، وتأخذ الكلمة بعدها الجغرافي والحضاري والسياسي والوطني ، ويحذر الشاعر من ضياع هذه الوطن بقوله :

اذا ضـــاعت فلسطين وانتـــم على القيــد الحياة ففي اعتقادي
بـــأن بنـــي عروبتنـــا استكانوا وأخطـــأ ســـعيهم نهج الرشاد (٢)

وفي اللحظـــة التي يحس فيهـــا الشاعر انه عائد الى أمـــه الارض في رحلتـــه الابـــدية الى عالم الشـــهادة والخلود ، يصرح باسمها ، ويدعو ر اق النضال ، أن :

احمـــــلوني احمـــــلوني واحـــــذروا ان تتركـــــوني
يا فلســـطين وداعـــــا خالصـــــا مـــن كـــل قلبـــي
وخـــذوني لا تخـــــافوا واذا مـــت ادفنـــــوني (٣)

---

١ ــ انظر ديوان ابراهيم طوقان ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

٢ ــ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، ص ٦٣٥ . وانظر ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٤٠

٣ ــ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، ص ٦٢٣ .

٣ ـ الغربة والحنين

١ ـ الغربة النفسية :

الغربة قاسية ، احس بها الانسان منذ أن درج على هذا الكون ، وهي أقسى ما تكون عندما يعانيها الشاعر وهو يعيش بين أهله وعلى أرضه ، فيحس عندها أن نفسه تنزع أبدا الى حياة اخرى أكثر كمالا ، يود لو يحقق من خلالها مطامحه وامالهء وهي في حقيقة الامر مطامح وامال جماعية ..

ويسعى الشاعر الى استكشاف هذه النفس من جديد في وسط تنمو فيه نموا طبيعيا متكاملا ، وتتحرك بحرية وانطلاق ، دون أن تكبلها مفاهيم الناس الخاطئة ، أو تقف في طريق سموها وتجلياتها .

وغربة الشعراء أصعب من سواها ، فهم في طبيعتهم المتفردة ، واحساسهم المرهف ، يحسون بوطأة هذه الغربة ، ولا سيما اذا كانوا في وسط لا يفهمهم ولا يقيم لهم وزنا ، عندها يسعى الشاعر منهم الى محاولة لاعادة صياغة واقعه من اجل اصلاح المجتمع والنهوض به ، أو الى أن يتمرد على هذا الواقع من خلال نقده وتوجيهه ، لشعوره بقوة شخصيته التي ترفض الذوبان والاستسلام .

احس عبد الرحيم محمود بمرارة هذه الغربة في نفسه ، وهو يباشر الحياة بين الناس الذين اختلفوا عنه في التفكير والسلوك .. وليس هذا الاحساس ـ في نظرنا ـ الا نوعا من الانفراد في الشخصية ، والتميز في الشاعرية .. وهو في غربته يعبر عن ضجره وضيقه .. ولكنها ، على أية حال ، ليست نوعا من العزلة والانطواء على الذات ، ونحس بهذه النزعة ونحن نقرأ قوله :

والى من هادم جسمي فتاتا	فجابل طينتي فمعيد سبكي
فيعبكني بهذا الناس اني	غريب بينهم فيجيد عبكي
فانهم راوا ورايت شيئا	فراحوا يضحكون ورحت ابكي

كأني من روايتهـــم نشــــاز سها الراوي فلم يحفــل بحبكي (١)

ففي قوله : « راوا شيئا ورايت شيئا ، فراحوا يضحكون ورحت ابكي » اشـــارة الى هذه الغربة التي يعيشها الشاعر ، وهي غربة نفســـه التي تختلف في طبيعتها عن بني قومه وعمن يتعامل معهم من خلال مجتمعه .

ومع الغربة حزن ، ومع الحزن الم تنطق به كلماته .. الا ان هذا الحزن لا يـــرد الشاعر الى الانكفاء على ذاته ، أو الهروب السلبي خارج اطار علاقاته الاجتماعية .

وهو حين ينظر الى الناس نظرة تأمل يلمح الاختلاف الكبير بينه وبينهم فيـــورثه هـــذا الاختلاف غربة ، ذلك ان قلبه الرقيق وشعوره المرهف لا يأتلفان مـــع فظاظة الناس وقسوتهم ، فيعمد الى التساؤل ، وفي تساؤله نوع من الاستغراب والدهشة :

لماذا غلظ هـــذا الناس قلبـــــا ورق لكـــي يعذبني شـــعوري ؟!

يرون فلا تهيـــج لهـــم دمـــاء مشاهد ناكئات بـــي نعـــوري

ولي اذن ذعـــور ليـــت أذنـــي من النشجات ليست بالذعـــــور

رمت نفسي سهالتهـــا بكـــرب وأنفسهم نجـــون مـــن الوعور (٢)

هذا التباين النفسي بين الشاعر وبين الناس جعله يتألم ويحزن حين يرى الخطأ فلا يستطيع السكوت عليه ، فيصرخ بأعلى صوته ، بتساؤل يحمل دلالات هجـــومية واضـــحة .

وفي (حالة غضب) (٣) يثور الشاعر على سوءات مجتمعه ، وتناقضاته ، فيـــود لو يخلى لهم هذه الحياة ، ويغمض عينيه عن هذا العالم السائر الـــــى الضـــلال والفساد ، وغربته هنا نوع من التمرد الاجتماعي :

---

١ ــ انظر اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٤٧ . وانظر كذلـــك ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٨٣ .

٢ ــ اعلام الفكر والادب ، نابلس ، ص ٤٧ .

٣ ــ المرجع السابق ، ص ٥٦ .

متى أراني بت طي الثرى | يسحقني بالكلكل الساحق
وأغمض العينين عن عالم | لا يعتلي فيه سوى الفاسق
يحظى به الكذاب والمشتهي | والتعس للمخلص والصادق

فالشاعر يتمنى الموت ، وهو في تمنيه الموت أو في اغماض عينيه عن مساوىء المجتمع لا يقف موقفا سلبيا ، ولكنه يعود فيرسم صورة لمجتمعه كما يريدها هو فيتساءل بلهفة الشاعر الحريص :

متى أرى الحق وأصحابه | يعلون من أدنى الى شاهق
وأبصر الشر وأربابه | يهوون من أعلى الى ساحق

وتكاد غربة الشاعر تأخذ ملامحها الانسانية ، وتتجسد بشكل واضح ، وهو يسقطها على غربة حمال ميت رآه ملقى في أحد شوارع حيفا ، والى جانبه حبله وسله ، والناس يمرون به ولا يأبهون لمنظره ، فيعتصر الشاعر من ألم ، ويشعر أنه والحمال – في هذه الدنيا – سواء ، غريبان غربة حياة وموت ، فيقول :

قد عشت في الناس غريبا ، وها
قد مت بين الناس موت الغريب

وفي حالة من الوعي الصادق ، يحس الشاعر بغربته رغم أنه من الناس ، الا ان رقته وحساسة تقصيانه عنهم ، فيتمنى فراقهم ، ويعبر عن ذلك ببساطة شعبية :

اني من الناس ولكنني | في رقتي عنهم بعيد جنيب
أبكي على الظالم من رقة | وخنجر الظالم مني شريب
فراق هذا الناس عيد فلا | تجزع وذي الراحة بعد اللغوب (١)

والبعد عن الاهل غربة ، وهي شعور طالما احس به الشعراء الكبار وهم يؤكدون عظمتهم وتفردهم في مجتمعاتهم الانسانية التي تخطىء تقديرهم في كثير من الاحيان ، فأبو تمام يقول :

---

١ – الديوان ، ص ١٨.

غربتـــه العـــلا على كثرة الاهـــ ـــل فأضحى في الاقربـــين جنيبا
فليطل عمره فلو مــــات في مــر ومقيما بهـــا لمـــات غريبـــا (١)

والمتنبي يؤكد عظمة الغريب ، ونفاسته بقوله :

وهكذا كنت في أهلي وفي وطنـــي ان النفيس غريب حيثما كانـــا (٢)

وتكاد غربة عبد الرحيم محمود النفسية تتشكل من خلال احساسه بعدة قضايا أهمها :

أولا : خطر الاستعمار المتمثل في شخص حكومة الانتداب البريطاني ، والصـــهيونية هذا الخطر أورث الشاعر قلقا دائما ، وحيرة مستمرة ، والمـــا مصدره الحرص على مصير شعبه وأرضه .

ثانيا : التمايز الطبقي الذي يشكو منه المجتمع ، والحالة الاقتصادية الصعبة التـــي الحقت بالناس فقرا وضياعا .

ثالثا : مطامحه التي تدعوه دائما الى البحث عن عالم أكثر عدالة واكتمالا . .

رابعا : العيوب الاجتماعية ، التي كان يعاني منها المجتمع الفلسطيني في تلك المرحلة من تاريخه .

خامسا : طبيعة عبد الرحيم محمود الانسانية التي أوجدت عنده احساسا عميقـــــا بضياع الانسان الفلسطيني .

٢ ــ الغربة المكانية والحنين الى الوطن :

يقول الدكتور ماهر حسن فهمي : « كان الاغتراب المكاني اغترابا فرديا ، تخلع القبيلة فردا أو ينفي الحاكم فردا أو تضطر الظروف الاقتصادية أفرادا الـــى الرحيل ،

---

١ ــ ديوان ابي تمام ، المجلد الاول ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعـــارف بمصر ١٩٥٧ ، ص ١٦٩ــ١٧٠ والابيات من قصيدة يمدح فيها ابا سعيد محمد بن يوسف الثغري .

٢ ــ ديوان المتنبي ، الجزء الثالث ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ص ٣٥٤

اما اليـــوم فتتسع الدائرة وتصل الى حد غربة شعب بأجمعه مثلما حدثفي فلسطين»(١)

وتكاد قصيدة (حنين الى الوطن) (٢) لعبد الرحيم محمود تمزج بـــــين غربته الحقيقية عن وطنه ، وبدايات حنينه اللاهب الى هذا الوطن ، واذا كـــان الشاعر قد انتقل بجسده مكرها الى العراق ، مارا بالصحراء ، حين طاردته قوات الانتداب البريطاني ، فان روحه ظلت متعلقة بارضه التي أحبها . ولقــد حمل الشاعر (الارض ـ الوطن) في صدره ، وأخذ مفهومها يزداد عمقا واتساعا ، فهي ـ قبل كل شــيء الوطن الذي يحس بأهميته لشعبه ، وهي الام التي يرتاح اليها ، والحبيبة التي تدعوه أبدا لعناقها ، وهي بعد ذلك القضية الكبرى التي يسائل عنها ، وهو يرصـــد هذا الزحف الاستعماري عليها .

ومن هنا جاء شعره في الحنين مضمنا الرغبة الصادقة لمعاودة النضال ومد الثورة ، كما جاء مؤكدا عشق الشاعر لهـذا الوطن ، ومؤكداً هيامه الروحي بسحــر الارض الفلسطينية وجمالها . . فلا يلبث صوته أن ينطلق برومانسية ، يقــول :

تلك أوطاني وهذا رسمهـــا ... في سويــداء فـــؤادي محتضر
يتراءى لي على بهجتهـــا ... حيثمــا قلبــت في الكــون النظر
في ضياء الشمس في نـــور القمــر ... في النسيــم العذب في ثغر الزهر
في خرير الجــدول الصافي وفــي ... صخــب النهر . . . وأمواج البحر
في هتــون الدمع من هــول النوى ... في لهيب الشوق في قلبي استعـــر
دقة الناقــوس معنى لاسمهـــا ... واسمهــا ملء تسابيــح السحر

وهكذا استخدم الشاعر عناصر الطبيعة للتأكيد علــى ابراز المفهوم الجمالي للوطن واستطاع ان ينقل القارىء الى جو يتوزع بين الغربة القاتلة والشوق الكبير

---

١ ـ الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : معهد البحوث والدراسات العــربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠م ، ص ٥ .

٢ ـ الديوان ، ص ١٧ ، وديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٢٦ ، انظر القصيدة كاملة .

من خلال رؤية رومانسية . واذا كانت الغربة تزيد من جمالية الوطن بشكل خـــاص ، فانها تعزز أيضـــا تعلق الانسان به وحنينه اليه .

ويرى بعضهم : أن « الحنين يأتي هنا من واقع بالغ الخصوصية ، فالشـــــاعر مطارد في العراق ، والوطن في شعر عبد الرحيم هو اساسا ميدان الصراع هـــذا ، لكننا نتوقف عند هذه القصيدة ، لانهـــا تحمل خصوصية انعكاس التيار الرومانســـي بشكل واضح على الشعر الفلسطيني ، هنا يتحرر هـــذا الانعكاس من ضغط الممارسة المباشرة فيأخذ مداه المتكامل ، ويرتفع صوت الشاعر في أنين رومانسي خافت ، هذه البساطة التعبيرية التي تقترب من النثر في مخاطبة رومانسية ، وتفتقـــد الصرامة والمراجع التراثية التي يمتليء بهـــا شعر عبد الرحيم محمود ، تتحـــول في قصـــــائد اخرى الى صخب عنيف ، ممتلىء بارادة القتال وبالدعوة اليه » . (١)

ونقف عند هذا الحديث لنناقش بعض المســـائل التـــالية التي اوردها اليـــاس خوري في تعليقه على هذه القصيدة ونوضح بعضها الاخر :

١ ــ اقترابها من النثر في مخاطبة رومانسية .
٢ ــ افتقارها للصرامة .
٣ ــ افتقارها للمراجع التراثية .

فبالنسبة للمسألة الاولى نؤكد أن القصيدة غنية بجوها الموسيقي الذي يبعدها عن النثرية ، والقاريء لهـــا يدرك مدى توفر الموسيقى الخارجية التي شحنها بهـــا بحر الرمل والقافية الموحدة ، بالاضافة الى وجود الموسيقى الداخلية المتأتية من حسن انسجام الكلمات والحروف ، بحيث تولد همسا داخليا يريح النفس ويشعر بجـــــو غنائي ساعدت عليه كذلك رومانسية القصيدة .

أما القضية الثانية ، فاننا نوافق الياس خوري على ما قاله عن افتقادها للصرامة ذلك ان افتقاد القصيدة للصرامة والصخب أمر طبيعي يتناسب مع طبيعة الموضوع ،

١ ــ الياس خوري ، شؤون فلسطينية ، ص ٣٦٩ .

ومع الحالة الشعورية عند الشاعر ، فعبد الرحيم يحسن المؤامة بين تجربته الشعورية والشعرية ، لان حنينه الى الوطن ، وتشوقه الملتاع اليه ، لا تناسبه الصرامة والصخب . البوح الحزين والنفس الهادىء همـا اللذان يصلحان لهذه المناجاة الناعمة، التي هـي أشبه بالعناق الصوفي الحار .

وتبقى قضية افتقاد القصيدة للمراجع التراثية ، فالحقيقة أن القصيدة تؤكد استلهام الشاعر لتراثه الديني بشكل واضح وان لم يظهر الا في قوله :

هي في دنياي سر مثلمـا　　　قد غـدا اسم الله سرا في السور

وفي قـوله :

لا أرى الجنـة ان أدخلتهـا　　　وهي خلو منـك الا كسقـر

ويزداد مفهوم الوطن ارتباطا بالارض ، باعتبارها المكان الذي نشأ عليه الشاعـر ويرفعها الى مكان القداسة فيقـول : (١)

فيصلي القلـب في كعبتـه　　　وتضـم الـروح قدسي الحجـر

فالكلمات : اسم الله ، السور ، الجنة ، سقر ، الكعبة ، قدسي الحجر ، اشـارات واضحة الى عودة الشاعر للقران الكريم واستلهام هذه المعاني الدينية منه ، في حين أن قوله « فيصلي القلب في كعبته » منتهى العشق الصوفي .

وفي القصيدة يحتل الوطن ذاكرة الشاعر وخياله ، وتشكل بلاده منى قلبه ، وهمه الشاغل ويتمنى لها السلامة وأن يعـود اليها ليمتع فيها حسه وأمنيته في غربته : بأن يلقى بلاده بعد اغترابه القاسي ، وقبل ان يموت فيشبع ناظريه من جمالها فيقول :

فكـرة قد خالطـت كـل الفكـر　　　صورة قد مازجت كـل الصـور
هي في دنيـاي سر مثلمـا　　　قد غـدا اسم الله سرا في السور

---

١ ــ الحنين والغربة في الشعر العربي ، ص ٧٣ .

يا بــلادي يا منــى قلبـــي ان   تسلمي لي أنــت فالدنيــا هــدر

منيتي في غربتي قبــل الــــردى   أن أملي من مجاليـــك البصـــــر

وهو هنـــا يؤكد جانبين :

أ ــ حرصه الكبير على وطنه .

ب ــ رغبته الصادقة في العودة اليه .

ان عشق الشاعر الذي لا ينتهي يلهب حنينه ، ليحول هذا الحنين الـــى موقف ثوري ينبض بالنضال والرغبة في الالتصاق بالارض .

وعندما يتصور عودته الى بلاده ، فانه يرسم لذلك مشهدا يطفح بالحنان والدفء الارض أم أو حبيبة تمر بيدها على جسده المضنى ، فتمسح عنه اثار التعب والسهر :

وتمريـــن بيمنـــاك علـــى   جســد أضنـــاه في البعد السهر

والشاعر يجد في أرضه متنفسا ، فهو يبثها شكواه وألمه كالولد الذي يعود بعـــد فراق ليجد في حضن أمه الدفء والحنان ، ويحدثها عن عناء الرحلة ، ومتاعب السفر . . كما أن تمازج الارض مع المرأة في هذه الصورة اشارة مبكرة الى تطوير عبد الرحيـــم لمفهـــوم الارض . . والواقع ان شاعرا مثل محمود درويش وهو أبرز شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة استطاع أن يغني هذا المفهوم (الارض ــ الحبيبة) بشـــكل عميق وناجح ، حين تمازج في كثير من أشعاره الوطنية صوتان : صوت الحبيبة وصوت الوطن. يقول في قصيدة : « يوميات جرح فلسطيني » المهداة الى الشاعرة الفلسطينية فـــدوى طوقـــان :

« آه يا جرحي المكابر

وطني ليس حقيبــــة

وأنا لست المســـافر

انني العاشق والارض حبيبة » . (١)

---

١ ــ محمد درويش : يوميات جرح فلسطيني ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢ .

ان عودة عبد الرحيم الى الارض ، تعني عودة الانسان الى أصله ، كما تعني احتفاء هذه الارض وما عليها من عناصر الطبيعة ، وموجودات الكون : الطير ، الشجر، الريح ، الزهر ، الانسام ، الاحباب .. الخ ، بهذه العودة التي يرى الشاعر فيها التئام الشمل ، كعلامة لانتصار الشعب الفلسطيني في معركته المصيرية ضد التسلط البريطاني والهجمة الصهيونية ، يقول الشاعر :

ويغني الطير في أشجاره نغما يرقص أعطاف الشجر
خبر تنقله ريح الصبا ويذيع الزهر أنسام الخبر
ويلاقي كل الف الفه ويلمان الشتيت المنتشر

وحنين الشاعر في غربته هو حنين الشعب الفلسطيني الى أرضه والى حريته سواء أكان هذا الشعب مغتربا بالفعل أم يحس بالغربة على أرضه التي يحتلها المستعمر ويعبث بمقدراتها ومستقبلها .

ويصل الحنين عند الشاعر الى درجة كبيرة من الاستبصار ، نحس معه بالروح الايجابية التي تبدو بعيدة عن اجترار الذاتية ، ومغايرة لصورة الانكفاء على النفس فينادي :

يا بلادي أرشفيني قطرة كل ماء غير ما فيك كدر
ليت من ذاك الثرى لي حفنة أتملى من شذا الترب العطر

ان تراب الوطن يشكل قيمة كبيرة ايضا عند الشاعر .. فالتراب هو الوطن في ذاته ، والمحافظة عليه تعني المحافظة على الوطن في كل معانيه ، ومن هنا ازداد مفهوم الوطن ارتباطا بالارض التي نشأ فيها الشاعر ، حتى يرفعها الى مكان القداسة . ولا شك ان المغترب اكثر احساسا بهذا المفهوم من القيم في ارضه وفي بلده . (١)

ويحس عبد الرحيم بالوحدة ، والوحدة تولد الشعور بالغربة ، وتجعل الانسان اقدر على التفكير والتأمل ، فحين مر الشاعر بحجر في كثبان رمل في ذلك المهمه الذي قدر للشاعر أن يفلوه طريدا ، وجد نفسه غريبا غربة هذا الحجر ، فاسند رأسه اليه وراح يفكر فيه وهو يؤكد أن الحجر دله أخيرا على الطريق (٢)

١ — الحنين والغربة في الشعر العربي ، ص ٧٣ .
٢ — الديوان ص ٢١ ، قصيدة حجر في كثبان رمل .

ويذكر جبرا ابراهيم جبرا ان الشاعر ضل الطريق الى فلسطين فتاه في بادية الشام ، قبل ان يهتدي الى الطريق التي عادت به الى فلسطين . (١)

ويعمد الشاعر الى اسقاط غربته وضياعه على غربة هذا الحجر وضياعه ، وكأنه يجد فيه أنيسا من وحشة الصحراء وهو التشرد ، فترتاح اليه نفسه ويرى صورة هذه النفس المحبة للمغامرة والتفرد ، المتمردة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية الحاضرة ، فيتوجه الى هذا الحجر في تساؤل يخفي وراءه بعدا من أبعاد نفسه الحائرة :

فيم انفرادك لا أنيس تراه في القفر المخيف ؟!
في ربقة الوهج الحرور وغل عاصفة عصوف
وصبرت للهوج اللوافح في الضحى صبر الانوف
أرضيت بالصحراء عن ظل المنمقة الغريف ؟
وطلبت وحدة راهب فيها وعزلة فيلسوف ؟!

فالوحدة الرهبانية ، والعزلة الفلسفية التي يراها الشاعر في الحجر هي في حقيقة الامر وحدة الشاعر وعزلته ، وكأنه أحس فيها خلاصا من ظلم المستعمر وسوءات المجتمع ، ولكنه ليس هروبا طوعيا ، لان حكومة الانتداب البريطاني كانت قد طاردته وشردته حين رأت فيه خطرا على سياستها .

ويصرح الشاعر بأن وحدة هذا الحجر شبيهة بوحدته فيقول :

أنت الوحيد هنا وما لي لا أقول أنا الوحيد ؟
هيمان لا أدري الغداة طريق منجاني ، طريد

ان الشاعر يبحث عن طريق يتخلص بها من ضياعه وتشرده ، فهو هائم على وجهه يبحث عن وطن يرتاح اليه .

---

١ ـ الرحلة الثامنة ، ص ٤١ .

وتدفع المغامرة الشاعر الى البحث دائما عن منفذ جديد لتحقيق مطامحه ورغائبه ، فهو يرفض الجمود والتحجر ، ويسعى للانطلاق والتغيير :

واذا قعدت كما قعد | ت أضر بالروح القعود
والروح يا بعض الجما | د عنى ومحملها يؤود
تأبى الجمود حصافة | منها ويأباها الجمود
قل لي : اذا لك مسلك | جدد ومطرق سديد ؟! (١)

والغربة عنده نوع من البحث عن الذات الضائعة ، وتكريس لمفهوم المغامرة ، كما أنها ضرب من النضال الذي يحمله الشاعر هما وطنيا في حله وترحاله .

وفي قصيدة ـ حجر في كثبان رمل ، يسقط الشاعر عبد الرحيم غربته على حجر، جاعلا منه رمزا للانفراد والغربة كما يحسها الشاعر ، غير ان المباشرة طغت على القصيدة بالرغم من صدقها ، فافقدت الرمز الكثير من ايحاءاته . (٢)

ومع انه ليس من مهمة الشاعر في هذه المرحلة النضالية من مراحل الشعر الفلسطيني اللجوء الى الرمز ـ لانه شعر المهمات المباشرة ـ ، الا ان القصيدة لم تخل من الرمز الكلي والدلالة الشاملة على الغربة والتفرد والضياع ، كما صورت القصيدة بعض عيوب المجتمع .

وقبل أن نترك هذه القصيدة نقول : ان احساس عبد الرحيم بالغربة وهو في الصحراء وحيدا مع حجره ، هو احساس يتأتى من تغير طبيعة المكان ما بين فلسطين بجمالها وحسن مناظرها والصحراء الموحشة المقفرة ، كما قد يكون وقوف الشاعر عند هذا الحجر ومناجاته امتدادا للوقوف على الاطلال ومناجاتها كما هو الشأن في المقدمات الطللية ، ومهما يكن من أمر فان شعور عبد الرحيم بالغربة وهو يخاطب

---

١ ـ المصدر السابق ٢١ـ٢٢ .

٢ ـ خالد علي مصطفى : الشعر الفلسطيني الحديث من سنة ١٩٤٨ـ١٩٧٠م ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

الحجر عائد الى وحدته الموحشة في الصحراء والى اغترابه المكاني القاتل عن وطنه واحبابه وأهله وتشوقه اليهم جميعا ، كمـا هو عائد في نظرنا الى حنينه اللاعج الـى أيام النضال والى تصميمه على تكريس نفسه للمشاركة القتالية لحماية الارض والانسان، وربما كان احساس عبد الرحيم بالغربة وهو في هذه المهمه وحيدا وحزينا قريبا الـى حد ما من احساس امرىء القيس الذي هام شريدا في محاولة للبحث عمن يسـتعين به في استرداد ملك أبيـه والاخذ بثأره ، حتى وصل الى بلاد الروم حيث أحس بدنو اجله بعـد ان امتلا جسمه بالقروح وفي ذلك يقول : (١)

أجارتنـا ، ان المـزار قريـب   واني مقيـم ما أقـام عسيب
أجارتنـا ، انا غريبـان هاهنـا   وكـل غريب للغريـب نسيـب

وهنا فارق بين الاثنين في أن عبد الرحيم كان في غربته المكانية يحس بأنه عائـد الى فلسطين ليمتع فيهـا حسه ، ويشارك المناضلين في نضالهم ، ويعانق (الارض ــ الوطن) التي هي أصله ، وهمه الاكبر ، أمـا امرؤ القيس فاحساسه احساس مـن فقـد الامل بالحياة ، لانـه يشعر بدنو أجله ، فغربته تتضاعف لتتخذ شكل الحـزن الميت والامل المفقـود .

ولكن هل قام (حجر) عبد الرحيم محمود مقام (نخلة) عبد الرحمـن الداخل و « حمامة » أبي فراس الحمداني اللتين ذكرتا بغربة الشاعرين ؟ فقد يكون ذلك ممكنا من حيث أن كلا من هذه الاشياء الثلاثة « الحجر والنخلة والحمامة » تذكر بالوطن ، والاهل وتضاعف الحنين اليهما ، فالحجر وحيد ضائع بين الرمال الواسعة ، والوحدة والضياع في وسط غريب غربة ، وكذلك شأن عبد الرحيم فوحدته وضياعه في صحرائه، قد أورثاه قلقا ، وحزنا ، وغربة ، واذا أضفنا الى هذا الاغتراب ، اغتـراب الشاعر عن ارضه ووطنه ، أدركنا بأن مأساته ليست مأساة شاعر مشرد طريد بقدر مـا هي مأساة شعب ، وأمة ، ووطن بكامله . (٢)

---

١ ــ ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، ص ٣٥٧

٢ ــ راجع الحنين والغربة ، ص ٩ وما بعدها .

ويكاد الحنين في شعر عبد الرحيم يشكل امتدادا واستكمالا للحنين في الشعر العربي القديم مع الاختلاف في الظروف التاريخية والسياسية والنفسية فالشاعر القديم كان يصدر في حنينه عن مفهوم وظيفي ونفعي للوطن ، فالتقاليد الاجتماعية، والقيم الاخلاقية التي تمارسها القبيلة على الانسان العربي كانت تضطره في كثير من الاحيان الى الارتحال عن ارض القبيلة ، ويتولد عنده حنين لاعج للحبيبة التي خلفها وللديار التي ترك فيها ذكرياته ، أما شاعر فلسطين في العصر الحديث ، فان احساسه بقلقه وتشرده وتمزقه قائم منذ اللحظة الاولى التي وطئت فيها أقدام المستعمر أرضه الطيبة ، فهو في اغترابه هذا ضائع ، موزع العقل والفؤاد .

كما يختلف حنين عبد الرحيم محمود ـ باعتباره يمثل حنين الانسان الفلسطيني الى أرضه ـ عن الحنين القادم من المهجر الامريكي ـ وان كان موضع التفاته ، فشعراء المهاجر عائدون يوما الى اوطانهم ـ ان ارادوا ـ ، وسينعمون بخيراتها من خلال امتلاكهم لحرياتهم الشخصية والوطنية ، وهم فوق ذلك يحسون براحة نفسية ، لان أسباب التواصل لم تنقطع بينهم وبين من يحبون ، كما أن حياتهم في غربتهم محفوفة الى حد كبير بنعيم الحياة ورغد العيش ، بخلاف الانسان الفلسطيني الذي يحمل وطنه على ظهره ، ويشعر بالاضطهاد والنفي والعذاب داخل هذا الوطن وخارجه ، بيته خيمته ، وحياته لون من الموت البطيء المتوزع ما بين الرجاء واليأس .

ان الشعر العربي في فلسطين ـ وشعر عبد الرحيم جزء منه ـ ينقسم الى ثلاثة اقسام : تظهر في التشرد والحنين الى الوطن وفي الاحساس بالغربة في الخيمة ، وفي التخلص من الاغتراب بالعودة . والمأساة التي يطرحها عبد الرحيم في شعر الغربة ، ليست مأساته هو بقدر ما هي مأساة الارض ومأساة الشعب عليها .

والحديث عن غربة الشعب الفلسطيني حديث ممزوج بعذاب لا نهاية له ، وبحنين لا يهدأ ، ولا يقر له قرار ، انه ليس بالنفي ولا بالهجرة بل مأساة أمة بكاملها ، ولذا فجراح الغرباء تشكل نزيفا لا يجف ، وسيظل التساؤل الذي يطرحه الشعراء

عن مأساة الشعب الفلسطيني يحمل سمات الحيرة التي تتفجر في وجه الانسانية كلها (١)

ولقد أورث الاحباط السياسي والوطني عبد الرحيم أسى ومرارة ، وانعكس اثر الثورات الدامية على شعره فاحسسنا معه بالالم الا ان شعره حتى في حالات الحنين التي نتحدث عنها لم يفقد روحه النضالية الثائرة ، ولم ينطفىء في صوته الامل الذي كان يشده دائما لمواصلة المغامرة والكفاح ، من أجل العودة ، ومن أجل تحرير الارض، وهو لم يفقد صوته الغاضب وروحه المعنوية العالية حتى في اخر عهده بالحياة .. وان صدرت من شعره اشارات تنبىء بالمأساة وحدوث النكبة .

ان اغتراب شعب فلسطين كان معادلا لاغتراب الشعب العربي كله الذي كان نائما في عصر اليقظة ، مغرقا في عصر التجمع ، ضعيفا في عصر القوة ، متقوقعا في عصر الانفتاح ، مقلدا في عصر التجديد ، لقد كان غريبا فعلا بمقياس العصر اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا . (١)

٤ ـ الرؤية المستقبلية والحس النقدي

تبرز نبوءة الشاعر ، ورؤيته الواعية للمستقبل من خلال المواقف التي طرحها في شعره ، وذلك حين تنبه للخطر والمصير اللذين يهددان العرب ، فأشار الى ما تبينه بريطانيا والصهيونية من الرغبة في السيطرة العسكرية على الارض الفلسطينية ، واقامة الوطن القومي اليهودي عليها .

والشاعر القادر على رسم ابعاد المستقبل من خلال نظرته الواعية في الواقع هو الشاعر الذي يمتلك بعدا في النظرة ، وعمقا في التفكير ، وهو الشاعر الذي يتخطى حدود الواقع ويسبق عصره ببصيرة ووعي .

---

١ ـ المرجع السابق ص ٧٥ـ٨٦ .

١ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٣ .

ونبدأ بقصيدة (نجم السعود) (١) التي قدمها الشاعر بين يدي الامير سعود بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت ، عندما زار فلسطين ، ومر بعنبتا قرية الشاعر في الرابع عشر من اغسطس سنة ١٩٣٥م (٢) ، ونزل في القدس ضيفا على سماحة المفتي ، ورحب أهل فلسطين بالامير سعود ترحيبا عظيما واستقبلوه بحماسة ، وكان المفتي والقادة الوطنيون قد اعدوا برنامجا لزيارة سمو الامير جميع أنحاء فلسطين ، ولكنه لم يستطع ذلك لضيق الوقت الذي حدد لزيارته ، ولانه آثر قضاء معظم أيام الزيارة في القدس . وقام الامير بجولة زار خلالها اللد والرملة ويافا وطولكرم ونابلس ورام الله وبيت لحم ، فجرت له فيها استقبالات شعبية ضخمة ، وأدى سمو الامير فريضة الجمعة في المسجد الاقصى المبارك فغص المسجد على رحبه بألوف المصلين ، ولما انتهت الصلاة خرج المطون بمظاهرة عظيمة ابتهاجا بزيارة الامير وطافت به ساحة الحرم المقدسي الشريف ، واحتشد في صحن الصخرة المشرفة الالوف من العرب لمشاهدة الامير الضيف والاحتفاء به ، وألقى عدد من العلماء والقادة خطبا حماسية في الحشود المجتمعة كما القى الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود قصيدة عصماء خاطب فيها الامير والعرب والمسلمين وحثهم على نجدة فلسطين ونصرة القدس ، ولما وصل الى قوله :

المسجد الاقصى أجئت تزوره   أم جئت من قبل الضياع تودعه

بكى الامير وبكى الناس معه . (٣)

وقبل ان نمضي الى كشف جوانب هذه الرؤية المستقبلية عند الشاعر في هذه القصيدة نشير الى الاختلاف الحاصل بين روايتي : السوافيري والغوري : فالاول يقول ان القصيدة القيت في « عنبتا » ، ونفهم من رواية الغوري أنها القيت في صحن الصخرة في وسط حشد كبير من المصلين والعلماء والقادة .. ويفهم من هذا أنها القيت في القدس . واغلب الظن أن عبد الرحيم قد ألقاها في حضرة الامير وهو يمر في عنبتا في طريقه الى القدس ، وهذا ما أكدته رواية مكتبة بلدية نابلس العامة : « القيت

---

١ — الديوان ، ص ٤١ .

٢ — انظر ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١١٣ .

٣ — اميل الغوري : فلسطين عبر ستين عاما ، ج ١ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ، ٧٢—١٩٧٣م ص ١٩٨ .

هذه القصيدة في « قرية عنبتا » بين يدي سمو الامير سعود بن عبد العزيز ، الـــذي مر بها الى القدس في الرابع عشر من فلسطين سنة ١٩٣٥ » (١)

ونعود الى قصيدة نجم السعود لنقول : انهـــا جاءت في وقت كانت فلسطين فيه على ابواب بركان ثائر ، فالاجواء تمهد لثورة الـ ١٩٣٦ الكبرى ، بينمـــا حكومة الانتداب تسعى بالتعاون مع دولة العصابات الصهيونية لكسب مزيد من الارض ، وموجـــات الهجرة اليهودية في تدفق مستمر ، والبلاد في وضع يغلي بالثورة ، ويعج بالنقمة والحقد.
ونطرح قصيدة عبد الرحيم محمود : (نجم السعود) المسألة الفلسطينية مـــن خلال وعي هادىء يبدأ في تلمس المسألة أو بعض أطرافها على الاقــل . فهـــي تبدأ بشكل تقليدي ، بالمدح . لكـــن المدح يخفي وراءه انتقادية بالغة الدلالات . (٢)

نجم السعود وفي جبينك مطلعـــه
أنى توجـــه ركب عـــزك يتبعـــه
سهـــلا وطئت ولو نزلت بمحمل
يومـــا لامرع من نزولك بلقعــــه
والقوم قومـــك يا أمير اذا النوى
فرقتـــه آمال العروبـــة تجمعـــه
مالوا اليـــك وكـــل قلب حبـــة
يحدو بـــه شوقـــا اليـــك ويدفعه

ويمتزج هم الشاعر الخاص بهم الجماعة والوطن ، فيتنبأ بالكارثة قبل وقوعها ويرى ضياع البلاد ، وفي مقدمتها المقدسات ، فيصرخ في وجه الامير ، بصوت يحمل وعيا مأساويا ، وسخرية مرة تدين هذا الواقع السياسي الذي تمر فيه فلسطين .

يا ذا الامير أمام عينك شاعـــر
ضمت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الاقصى أجئت تـــزوره ؟
أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟!

---

١ ــ اعلام الفكر والادب ، نابلس ، ص ٢٧ .
٢ ــ الياس خوري : شئون فلسطينية ، ص ٣٧٢ .

هذه النبوءة الشعرية تأخذ طريقها الى المستقبل العربي بوعي ، وعقلانية ، وذلك حين يرى الشاعر نكبة فلسطين قبل حلولها بثلاثة عشر عاما ، وحين يأتي صوته جريئا وصادقا يحمل نقدا لاذعا للعرب ، وتعريه فاضحة لمواقفهم من القضية .. والشاعر هنا قادر على كشف المساوىء ورسم الصورة الراهنة للواقع ، وتجسيد المطامع الاستعمارية الرامية لابتلاع الوطن الفلسطيني .

وقد أثارت هذه القصيدة اهتمام الكتاب والادباء والدارسين فتناولوها ، ووقفوا على ابعادها السياسية ، ومدلولاتها الوطنية .

يعلق ايلس خوري من خلال البيتين السابقين بقوله :

« هذا البعد الانتقادي الذي يكشف عن نفسه في هذين البيتين ، يبقى مضمرا في ثنايا القصيدة ، فاضماره يدل على وعي سياسي فرض عليه النظر الى (الخارج العربي) وبطريقة متسامحة ، هذا التسامح في الوقت نفسه جزء من ضرورات أو اشكال التعبئة السياسية التي يقوم بها عرب فلسطين عبر طموحهم لتجنيد هذا (الخارج العربي) في خدمة قضيتهم وعبر الدورين : المعنوي والمادي الذي يستطيع هذا النوع من الامتداد ان يقدمه في سبيل التعبئة الداخلية في صفوفهم » . (١)

والقصيدة على هذا الاساس تطرح أكثر من قضية :

— فهي — أولا — تشير الى وعي انتقادي ، واخر سياسي .

— وهي — ثانيا — تحمل نبوءة شعرية تتركز حول وضع الوطن الفلسطيني من خلال النظرة البصيرة في الاطار العربي ، والسياسة الاستعمارية المتمثلة في حكومة الانتداب ، ودولة العصابات الصهيونية .

— وهي — ثالثا — تميل الى استقطاب الرأي العام ليقف الى جانب القضية الفلسطينية ، عن طريق الشكوى المرة والالم الواخز من المصير المرتقب .

— وهي — رابعا — وأخيرا تشير الى هذا الحرص البالغ الذي يحمله الشاعر من أجل قومه ومستقبل بلاده .

---

١ — المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

أمـــا الدكتور عبد الرحمن ياغي فيقــول :

« هذا هو الشعر حين تمتزج فيه التجربة النضالية ، فيتفاعل بهـــا ويقوم بالدور الدافع للحركة الثورية ، فهــو يمثل التيــار الايجابي في البرجوازية الشريفة ، وهو تعبير عن طمــوح الطبقة المتوسطة التي خلفتها الظروف ما بين الحربين في حبهـــا للاستقلال والتخلص من ضغط الاستعمارين الاوروبي والصهيوني » . (١)

ونخلص الى مـــا يلي :

١ ــ استغلال الشاعر للمناسبات الوطنية والتعبير عنها ، وتصوير الواقع والمستقبل من خلالها .

٢ ــ امتزاج تجربته الشعرية بتجربته النضالية .. وامداد الثورة بطاقة معنوية قوية .

٣ ــ يمثل عبد الرحيم هموم الطبقة الوسطى .. ويسعى للتخلص من كل القـــــوى الاستعمارية .

ويرى خليل العبويني في عبد الرحيم محمود شاعرا للثورة والالتزام ويكشف عن نبوءة الشاعر وحسه النقدي الواعي « وهناك حقيقة أسجلها للتاريخ وهي أن الثائر عبد الرحيم محمود على ضوء الظروف الراهنة التي عاشها في فلسطين قد تنبـــأ بنكبـــة العرب ، وضياع فلسطين ، فعلى الرغم من ظروف القهر والارهاب التـــي مارسها الاحتلال ضد القوى الوطنية الشريفة ، فقـــد صرخ الشاعر في وجه الامير ســــعود بن عبد العزيز بتاريخ ١٤/٨/١٩٣٥ عندما زار فلسطين صرخة الوطني الغيور الذي توقع ثورات المستقبل من خلال اوضاع الحاضر » . (٢)

واذا كان عبد الرحيم قد توقع ثورات المستقبل من خلال أوضاع الحاضر ، فهـــو في الحقيقة قد أشـــار باصبع الاتهـــام الى الوضع العربي المتردي الــــذي تقـوده

---

١ ــ حياة الادب الفلسطيني ، ص ٢٧٣ .

٢ ــ جريدة الرأي الاردنية ، الثلاثاء ٢٨/١٠/١٩٧٥ ، الصفحة السابعة ، عمان ، وجريدة الاتحـــــاد ابو ظبي ، الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ١٩٧٥ .

القيادات العربية الى الهاوية ، كما توقع المصير الانهزامي ، والفشل المحفوف بالندم لكل الامة العربية .

ونعرض هنا لرأي اخر أورده الدكتور كامل سوافيري في سياق حديثه عن عبد الرحيم ورؤيته الشعرية يقول فيه : « وعجيب أن يتنبأ الشاعر بالكارثة قبل حدوثها بثلاثة عشر عاما فتصدق نبوءته حين يخاطب الملك سعود في قصيدته نجم السعود سنة ١٩٣٥ قائلا : » :

المسجد الاقصى أجئت تزوره   أم جئت من قبل الضياع تودعه؟

ان روح الشاعر قد شفت فكأن الحجب المسدلة قد انكشفت له وتراءت أمام ناظريه فلسطين وقد اغتصبتها العصابات الصهيونية ، وشردت أبناءها تحت كل كوكب ، واستولت على مقدساتها ، ومن بين هذه المقدسات الاقصى الذي بارك الله حوله »(١)

ولا وجه للعجب والاستهجان هنا ، ما دامت رسالة الشعر الحقيقية هي استبطان الاشياء ، واستشراف افاق المستقبل . فالشعر ليس وصفا تسجيليا للواقع ، أو نقلا (فوتوجرافيا) له ، بل هو فوق ذلك رؤية المستقبل من خلال نبوءة صادقة ، والشعراء الجديرون بحمل رسالة الشعر هم اولئك الذين يسبقون عصرهم ، ويكشفون برؤاهم خبايا المستقبل .. واذا عرفنا أن الشاعر كان يعيش الاحداث السياسية والوطنية في فلسطين حدثا حدثا ، وساعة ساعة ، ويشارك فيها بشعره وبنضاله ، أدركنا أنه كان قادرا على أن يزيح عن الابصار سدفة الليل ، وأن يريها حقيقة الغد .. كما أن عبد الرحيم لم يتفرد بمثل هذه النبوءات ، والرؤى المستقبلية فقد شاركه فيها معظم الشعراء الذين عاصروه وكانوا يتنفسون من مناخ سياسي ووطني واحد . فهذا ابراهيم طوقان مثلا يقف منبها العربي الى مستقبله الصعب ، ومصيره المؤلم ، محذرا من مغبة التهاون والتخاذل في هذا الوضع الذي يتصرف فيه المستعمر متمثلا في بريطانيا والكيان الصهيوني فيقول :

---

١ ـ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ٩١ وما بعدها .

أمامك أيها العربـي يــــــوم تشيب اهولــه ســود النواصـي
وأنت ، كما عهدتك ، لا تبالــي بغير مظاهــر العبــث الرخاص
مصيرك بــات يلمســه الادانــي وسار حديثــه بـين الاقــاصي
فلا رحب القصور غدا ببــــاق لساكنها ولا ضيــق الخصــاص
لنا خصمان : ذو حول وطــول وآخر ذو احتيــال واقتنــــاص
تواصوا بينهـــم فأتــى وبــالا واذلالا لنا ذاك التواصـــــي
مناهج للابــادة واضحــــات وبالحسنى تنفــذ والرصاص (١)

كمــا تنبأ الشاعر برهان الدين العبوشي بوعيه القومي بمصير الوطن ، ونبــه لذلك ، وربــط بين مصير العرب المسلمين في الاندلس ، ومصيرهم في فلسطين ، فقال :

يا ابن البلاد وأنت كل رجائهــــا يوم الجلاء اسمع نعيــق غرابــه
ما مس أنداسا يمســك مثلـــه فابذل لــــه تلحقه قبل ذهابــه
قد شردوا العربي عن أوطانــه قد جردوا العربي من أثوابــــه (٢)

ومن يتتبع تاريخ فلسطين الحديث يقف أمــام حقيقة أشار اليها عبد الرحيم فــي شعره وفي قصيدة « نجم السعود » ذاتها ، حين تنبأ بالنكبة ، وقد تحققت نبوءته ، ومرت النكبة بمراحل انهزامية ثلاث :

الاولى : في حرب عام ١٩٤٨م حين هزمت الجيوش العربية ، واجبر السكان العــرب على مغادرة أرضهم تحت وطأة القوة العسكرية والهجوم المسلح وكانت النكبة التي شرد فيها ما يزيد على مليون فلسطيني .. توزعوا على الاقطار العربية المجاورة في حالة من الضياع والمرض والفقر .

---

١ ــ ديوان ابراهيم طوقان ، قصيدة مناهج ، ص ٨٧ .

٢ ــ ديوان جبل النار ، برهان الدين العبوشي ، بغداد ، ١٩٥٦م ، قصيدة « الوطن المبيع » ص ١٧ .

والثانية : في حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م حـــــين اضافت اسرائيل الى مكتسباتها ما تبقى من فلسطين وأجزاء أخرى من أرض سورية « الجولان » « ومصر سيناء » وطردت أفواجا جديدة من عرب فلسطين .. وكان عدونا المزدوج يتمثل هذه المرة في شخص الولايات المتحدة الامريكية والعصابات الصهيونية الطامعة في بقيـــة الارض العربية ..

اما المرحلة الثالثة : كانت يوم احراق المسجد الاقصى المبارك علـــى أيدي اليهود في الحادي والعشرين من اغسطس سنة ١٩٦٩ .. وبذا امتدت يد الصهاينة الى المقدسات وتمادت في تشويه تراثنا ، غير ان مطامعهم ما انتهت الـــى هـــذا الحد ، فمن مخططاتهم الاستيلاء على أرض عربية اخرى . (كما هو الشأن في الاحتلال الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢) .

ويقـــول عبد الرحيم في ختـــام قصيدته :

ويقرب الامـــر العصيب أسافـــل	عجلوا علينا بالذي نتوقعـــــــه
قوم يضل لدى السداد حصاتـــه	ويسيطر العـــادي عليه ويخضعه
سل سادني الاقصى أكون مجمع	في الحرب أم متناثر لا يجمعـــــه
سل سادني الاقصى أيعهد لمرىء	عهدا أمام الله ثم يضيعـــــــه
صح يا أمـــير به غربة صيحـــــة	من فيـــك تجدى أن تشأ وتسمعه
شكوى وتحلو للمضيـــم شكاتـــه	عند الامير وان ترقـــرق أدمعـــه
سر يا أمير ورافقتـــك عنايـــــة	نجم السعود وفي جبينك مطلعه

وحين يرى الشاعر المستقبل ، فانه ينتقد الواقع الراهن ، ويصور عيوبه بوضوح وجراءة . دون مهادنة أو خوف .. فالمعروف عن الشاعر انه امتاز بالجراءة في الرأي والنضال . ففي قصيدته « ذكرى الهجرة » يبرز حس الشاعر النقدي كعلامة ايجابية للمد الثوري الناضج من خلال قوله :

ونرى الماكـــر في أمجادنــــــــــا	ثم لا نفسد للشقـــوة مكـــــره

ونرى حد حمانا ناقصـــــــــــــا كــل يوم شطرة من بعـــد شطره
ولنا في كــل يـــوم قالـــــــة فأرونا فعلـــة في العمـــر مـــره

وهو هنا يصور الوضع العربي الايل الى الضعف والعجز ، والاشتغال بالقـــول دون الفعل ، على الرغم من أن الظروف التي يمـــر بهـــا الوطن تتطلب تسخير كافـــة الامكانات المعنوية والعسكرية لامداد الثورة ، والاخذ بأسباب القوة .

ويتألم الشاعر عندما يصل الماضي بالحاضر ، ويحس بالخطر المحدق بالوطـــن ويتخذ من هجـــرة الرسول « صلى الله عليه وسلم » عبرة ، ومن الاندلس عظة وحكمة ويحذر من خطورة الموقف فيقـــول :

هاجر الهادي الى رجعى فـــان نحن هاجرنا فماذا بعد هجـــره ؟
قد خرجنا الامس مــــن أندلس ودخلنا بعد في نيران حســـــــره
واذا نحـــن خرجنـــا في غـــــد هل يحن الناس للاقصى بـــزوره

واذا كان الشاعر قد انتقد التهويش والخصومة بين العرب ، وحمل على فرسان الكلام في أكثر من مكان فهـــو يعاود هنا انتقـــاد هذا الموقف السلبي واسقاطه ، ويدعو الى الاستعاضة عنه بواقع نضالي يستمد عناصره من القوة والتحدي لاخذ الحق .

ان لــــم تكـــن ذئبا تخـــــــا ف فرتك أنيـــاب الذئـــــاب
ذشل الــذي تخـــــذ الكـــلا م مجنـــة تحمــــي وخــــاب
مـــــن عاش ما بـــين الوحــــو ش يكـــن لــــه ظفـــــر ونـــاب (١)

في هذه الابيات الثلاثة يقـــرر الشاعر أمورا مهمة من تجارب حياته النضالية :

١ ــ دعوة العرب الى التماسك ، والاخذ بأسباب القوة .

٢ ــ تعرية المزايدين بالكلام في أوقات النضال ، وفي زمن الثورة اذ يصبـــح الكلام الهامشي ضربا من الهروب ، ووضعا متخلفا لا بد من تجاوزه .

---

١ ــ اعلام الفكر والادب ، نابلس ، قصيدة الشعب الباسل ، ص ٢٥ .

٣ – ضرورة مجابهة التحدي الاستعماري ، والرد عليه باسلوب العنف الثوري والمواقف الهجومية .

وعندما يتحدث الشاعر عن ذكرى الجامعة العربية ويستحضر في ذهنه صورة للواقع العربي ، بما فيه من خلاف وخصام ، تحس بالصوت الانتقادي اللاذع ، وقد تمازج مع ألم الشاعر الدفين ، وحزنه الثوري فهو يقول : (١)

حفي اللسان وجفت الاقلام	والحال حال والكلام كلام
مرت بنا الايام لم نسلك بها	جدد الصواب ومرت الاعوام
والزورق التوهان سار محيرا	فوق الخضم دليله الاوهام
وتخاصم القواد بين مشرق	ومغرب وتقطعت أرحام
فاذا المنابر صاخبات حفل	يرغى بها التهويش والايهام
واذا الضلال له هناك سرادق	مضروبة عبدت بها أصنام
والحر وابن الحر ليس مطية	يمطى ويكبح اصغريه لجام
فيقول حقا ليس يخشى لومة	والحق اروع ما حوى الاسلام

وفي أبيات عبد الرحيم السابقة جملة حقائق :

– فهو – أولا – يصور لنا بعينه اللاقطه ، وبحسه الانتقادي اللاذع الوضع العربي القائم على عدم المبالاة ، وعلى عدم الاستفادة من الواقع الصعب .

– وهو – ثانيا – يضعنا أمام وضع مزر ، احترفه زعماؤنا وقادتنا حين تفرقوا أيدي سبأ ، فتقطعت بين أبناء العروبة الاسباب .

– وهو – ثالثا – يشكو الضلال السياسي والانحلال الاخلاقي في محاولة اصلاحية ترمي الى التحرر والانطلاق الفكري والعملي .

– وهو – رابعا – وأخيرا يسجل لنا حقيقة مفادها : أن الحر لا يخشى في قول الحق وفعله لومة لائم ، لان الحق أروع ما حوى الاسلام على حد تعبير الشاعر نفسه

١ – ديوان عبد الرحيم محمود – دار العودة ، ص ١٤٥ وما بعدها .

وتكاد الحملة على القادة والزعماء ، وعلى ما يلقون من الخطب الجوف والكلام الفارغ ، تنطلق من حناجر الشعراء الفلسطينيين الذين آلمهم هذا الوضع فقاموا يحذرون من نتائجه ويدعون رجال البلاد وقادتها الى تغيير سياستهم ، وتأييد القول بالفعل .(١)

ويبرز هذا الوعي النقدي ، في صورة من السخرية التي يصبها عبد الرحيم على العرب الذين تنطلي عليهم حيل الدول الاوروبية ، والاعيبها السياسية .. فيرسم الحالة العربية في محاولة للنفاذ الى الحقيقة .. واصلاح الوضع ، بالتمرد على هذا الواقع بما فيه من احباط وتخلف . ويضع الشاعر نفسه في مقام المسؤول عن مقدرات هذا الشعب ، حين ينبه الى الوعود الكاذبة التي قطعها الانجليز للعرب من أجل حريتهم وسيادتهم ، ويتألم شاعرنا لوضع العرب الذين تنطلي عليهم مثل هذه الوعود والاوهام دون أن يتنبهوا اليها فيقول باسلوب تهكمي لاذع :

مرت بنا الايام بين تعلل	بغد فضاعت بالرؤى الاحلام
ظلنا نقول غدا غدا هل حققت	للآئبين على غد أحلام ؟!
ظلنا نقول غدا يفيق ضمير من	فقد الضمير ويعدل الظلام
ظلنا نقول حبائب ضرباتهم	مقبولة ما ان لهما أيلام
ظلنا نغرر بالوعود وينطلي	كذب ويفعل فعله الايهام
خرجوا لنا (بالسحب) من اقسامنا	يا ويلنا ان الهوى أقسام (٢)

واذا كان العرب قد خدعوا بوعود بريطانيا ، وضللتهم القيادات والزعامات التي تحرص على مناصبها ، فانهم يوشكون ان يقعوا في خطر تقليد الغرب بعاداته السيئة وانحلاله الاخلاقي ، فيحاول الشاعر أن ينفذ بوعيه النقدي الى صميم المشكلة ويحذر منها :

---

١ — انظر ديوان ابراهيم طوقان ، قصيدة — يا رجال البلاد — ، ص ٥٥ .

٢ — الديوان : قصيدة عيد الجامعة العربية ، ص ٢٥ ، وديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص١٤٦ وما بعدها .

للغــرب عــادات كفازات سرت في الشرق مسرى الــداء بالاجسام
لا تأمنــوا المســتعمرين فكم لهم حرب تقنع وجههــــا بســلام (١)

والحرب التي يقصدها الشاعر ، حرب معنوية تتركز على محاربة العربية والنيل منهــا ، وفي ذلك يقــول:

حرب على لغــة البلاد وأرضــها ليســت تشــن بمــدفع وحسام

وعندما فشلت لجنة « بيل » الملكيــــة في الوصول الى اسباب ثورة ١٩٣٦م ، واقترحت انشاء مجلس تشريعي حمله المندوب السامي (آرثرواكهوب) عائــدا مــن (لندن) نبه الشاعر بوعي وتبصر الى حقيقة الامر ، وصور وضع الشعب الفلسطيني المغلوب في محاولة لرصد الواقع السياسي بحس تهكمي يمتلىء بالمرارة والحزن علــى مصير الشعب ومستقبله ، فقــال :

يا مــــن تــوله بالحبيــــب (م) هنــــاك قــد رجـــع الحبيب
لقـــد انتظـــــرت ايابـــه شـــوقا فهــا هو ذا يـــؤوب
لــك في حقيبتـــه نصيـــب (م) فاخر بئـــس النصيــــــــب
فلتنتظــر غـــــدا « الكراسي » (م) ســــاكتا وغـــــدا قريــب (٢)

وحين يتحدث بلسان العمال ينبجس وعيه متفجرا بالانتقــادية والسخرية ، فمن عادة المصائب أن تجمع المصابين ، ولكنه يراها عندنا تفــرق .. وتخلف مرضا اجتماعيا يسري في جسد الامة العربية ، فتلمس الشاعر اسبابه ، ودعا الى تجاوزه وتخطيه لواقع يستند الى العدالة الاجتماعية والحرية الوطنية فقــال :

ومن العجائب في المصائب فرقة والهم واحد
نقضي الحياة على خصام بين ذمام وحامد

١ ــ الديوان : قصيدة بين الشرق والغرب ، ص ٤٤ .

٢ ــ نفسه : الــى كل متهــاود ، ص ٣٨ .

راجت اباطيل التبجع بيننا والفضل كاسد

والخير بات ضحية ما بين هدام وناقد (١)

واذا كان عبد الرحيم قد نعى على الزعماء والقادة العرب تقصيرهم الوطني والسياسي وانتقد سلبيتهم ازاء القضية الفلسطينية ، فان ذلك لم يمنعه من أن يقف موقف المعجب الفخور بملك عربي رأى فيه الاخلاص والوطنية الصادقة .. فرثاه بصدق .. حين بيتت له بريطانيا مؤامرة واغتالته ، يقول اميل الغوري :

« كان غازي من أشد ملوك العرب وطنية وصدقا واندفاعا في خدمة فلسطين والدفاع عن قضيتها ومساعدة ثورتها ، وأبى المهاجرون أن يصدقوا أن وفاة غازي جاءت نتيجة لحادث سيارة عادي ، بل اعتقدوا بعمق وقناعة بأنه حادث مدبر ، لحرمان العرب وفلسطين من حمية غازي وغيرته ، وثباته في ميدان الدفاع عن فلسطين ونصره الامة العربية » . (٢)

رثى عبد الرحيم الملك غازي رثاء نابعا من ايمان الشاعر بموقفه الوطني ، وصدق غيرته على قضية فلسطين فوصفه بالقوة والمضاء والعزيمة والجراءة والكبرياء ، والشاعر بهذه الصفات يحاول أن يجسد بعض المفاهيم الوطنية ، والقيم العليا التي افتقدها في كثير من قادتنا وزعمائنا من جهة ، كما أنه يأمل في ظهور زعيم عربي مخلص ، قادر على رأب الصدع وتخليص الامة ، وهو ينطلق في رؤيته المستقبلية وحسه النقدي من خلال رثائه الى رصد الواقع الاسن لتحريكه وتغييره ، ولرسم مستقبل عربي اكثر حرية وانطلاقا ، يقول الشاعر في رثائه : (٣)

كان نجما يهتدي الساري به ... في دياجير الليالي الحالكات

كم قلوب رقصت خفاقة ... حينما لاح ، بديع الخفقات

---

١ ـ نفسه ، قصيدة نحن المصادر والموارد ، ص ٢٤ .

٢ ـ فلسطين عبر ستين عاما ، ج ٢ ، ص ٢١١ . والمهاجرون هم مهاجرون عرب كان المؤلف قد التقاهم في رحلته الى امريكا الشمالية .

٣ ـ انظر الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، مكتبة بلدية نابلس ، قصيدة « كان غازي » ص ٦٦ .

أدخـــل النـــور علـــى افئـــــدة كـــن من نـــور الامـــاني مقفرات

كـــان نجمـــا ثم غـــاب

وتوارى في التراب

لهـــف قلبي

نفخ المـــوت عليـــــه فانطفـــــا وانطـــوت أنـــواره في الظلمـــات

ورنـــت أبصـــارنا كيمـــا تـــرى مأفـــــل النجـــم فـــردت غرقات

الى ان يقـــــول :

كان غازي .. كان غازي لهبـــا صلـــي المحـــرق منـــه كل عـــات

شـــعت القـــوة من أنفـــــاسه وتملـــى صـــدره بالعـــزمات

وروينـــا عنـــــه ايات ســـــنا وأحاديث ثنـــــــاء مســـندات

كان للعـــادي الشـــهاب

وله تحنى الرقاب

لهـــف قلبي

وتحمل هذ هالقصيدة أكثر من دلالة نوجزها فيما يلي :

١ ــ الصدق الفني النابع من حسن المواءمة بين تجربته الشعرية والشعورية ، وتفاعله مع الحدث .

٢ ــ تلخيص صفات المرثي : فهو نجم يهتدي الساري به ، وهو أمل الامة واللهب الذي يصب على الاعداء .. فيه قوة وعزم ، وبلاغة وسيادة .

٣ ــ الشمولية الواعية في النظر ، والاحاطة بقضايا الوطن العربي ، وهو يتنـــاول في مرثيته ملكا عربيـــا مخلصا من العراق .

٥ ـ الرغبـــة في الشـــهادة

لــم تكن رغبة عبد الرحيم في الشهادة هروبا من الحياة ، أو عجزا عن مواجهة مصاعبها ، والا كانت لونا من الجبن والهروب ، والاعتراف بالهزيمة امـــام متطلبات الشهادة ومتاعبها ، كانت رغبته في معانقة الموت صلابة في وجه التحديات ، وامنيـــة سعى الشاعر لتحقيقها في تجربته النضالية والشعرية ، فهـــي المعبر الذي ينفذ منه الشاعر لتحـــرير الوطن وتحقيق الحياة الحرة الكريمة ، كمـــا انهـــا تطهير للجسد ، وانتقـــال بالروح الى عالم الخـــلود .

أحس عبد الرحيم بأن التصاقه بالارض قدر ، فهـــو أولا ابن الطبقة الوسطى التي تتجذر في الارض وتستميت في الدفاع عنها ، وهو ثانيا المثقف الثائر الذي يدرك بوعيه أبعاد المؤامرة الاستعمارية . كان دائـــم التحنان الى الارض ــ الوطـــــن ، نيسقط على أديمها شهيدا ، فيحقق الهـــدف الذي طالما حلم به وهو يرافق الثـــوار في جبال فلسطين ، ويخوض معهم معارك النصر والتحرير .

وفي قصيدته «الشهيد» (١) يلخص عبد الرحيم سبب رغبته في الشهادة ، يقول :

سأحمـــل روحي علـــى راحتـــي ... والقـــي بها في مهـــاوي الردى
فامـــا حيـــاة تسر الصـــديق ... وامـــا ممـــات يغيـــظ العـــدا
ونفس الشـــريف لهـــا غايتان : ... ورود المنـــايا ونيـــل المنـــى

والشاعر هنا يحدد موقفه الثابت ، ومفهومه الواضح للحياة والموت والشرف ، فالحياة الحقيقية هي حياة الحرية والكرامة التي يرتاح اليها هـــذا المجتمع المتمثل في (الصديق) ، والموت عنده بديل عن هذه الحياة واختيار طوعي ، وحلم جماعي ينفذ من خلاله الى قهـــر العـــدو وتحقيق النصر ، أمـــا الشرف فيرتد في حقيقة الامر الى مفهومي الحياة والموت كمـــا حددهما الشاعر في أبيـــاته .

ان الموت على هذه الصورة بطولة ، وهي بطولة من نوع فريد ، ذلك لانهـــا

١ ــ الديوان ، ص ١٣ ، وانظر قصيدة « الشهيد » ايضا في ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العـــودة ، ص ١٢٠ ومـــا بعدها .

تلخص قيمـــا يرتضيها المجتمع الانســـاني فيســـارع هذا الشاعر الى تنفيذها بجراءة واقـــدام .

ونعتقـــد ان عبد الرحيم يلتفت في فكرته السابقة الى قول ابي الطيب المتنبي :

عش عـــزيزا أو مت وأنت كريم بـــين قطعن القنا وخفق البنود (١)

وكلا الشاعرين من طبيعة متشابهة ، فهمـــا طموحان مغامـــــران ، يعشقان الفروسية والحرب والشعر ، ويسعيان دائما لتحقيق انبـــل الاهداف ، وأســــمى المراتـــب .

« لقد كان شعر عبد الرحيم صنو حياته ، كلاهما مليء بالكبرياء والشجاعة ، ولم يكن غريبا على عبد الرحيم ان يسمي ابنـــه البكر بالطيب ، لكي يكنى بكنيــــة الشاعر الذي كان يهـــواه ويحتذيه : أبي الطيب المتنبي ، ففي شعر عبد الرحيم نفس المتنبي ، ولئن عرف المتنبي غربة الطموح الذي تخشى الناس طموحه فقـــــد عرف عبد الرحيم غربة الثائر المتمرد الذي تخشى السلطات ثورته وتمرده » (٢)

ويحلل محمود درويش استشهاد البطل بقوله : « ان البطل الذي لا ينسى ولا ينتهي هو ذلك الرجل الذي تعامل مع الموت على أرضه ، وعلى ارض بعيدة ، ولكن حبنـــا لهذا البطل يصدر عن كونه رجلا يدافع عن قضية شريفة ، يصبح الموت عنده جسرا أو حالة أو شكلا قاسيا وجميلا من أشكال البحث عن حياته ، وحياة الاخرين المنحـــدة فيه ، ويصبح هـــو شهيدا . ان موت الشهيد موت مثير وجميل ، لانـــــه لم يمض ســـدى ، وكل جندي يمـــوت دفاعا عن وطنه ، أو دفـــاعا عن قضية نبيلة يتخذ موته مبـــرر الحماس والاعجاب .. ويصبح الحزن عليه طاهرا من الندم » .(٣)

---

١ ــ ديوان المتنبي ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، الجزء الثاني ، ص ٤٥ .

٢ ــ جبرا ابراهيم جبرا ، الرحلة الثامنة ، ص ٤٠ .

٣ ــ **محمود درويش** : شيء عن الوطن ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ١٥٣ .

واذا كان محمود درويش قد حدد مفهومه للبطل الشهيد استنادا الى تعامله مع الموت على ارضه .. ، دفاعا عن قضية شريفة ، وبحثا عن حياة حرة نبيلة له وللاخرين ، كما اكد ارتفاع شأن الشهيد في نظر الجماعة الانسانية ، لان موته عرس جميل ، فان عبد الرحيم محمود هو البطل الشهيد الذي استطاع ان يحقق هذ هالمفاهيم بأمانة وصدق ، وزاد عليها بموهبته الشعرية التي تعزز في نفسه صفة البطولة ، ذلك أن (الشاعر والبطل توءمان) .

وينظر الياس خوري الى تجربة عبد الرحيم محمود مع الموت على أنها :
« أولى النماذج الشعرية والادبية التي تطرح هذه المسألة ، بتلك الروحية الشاملة . فالموت هو الاطار النهائي الذي تصب فيه تجربة عبد الرحيم محمود الشعرية ، وتشحنه بدلالاتها الخاصة ، ليصبح جسد الشاعر حين يسقط في معركة الشجرة ، عنوانا نضاليا خاصا . فهو في طليعة الجسد الادبي الفلسطيني الذي تلون بالدماء ، واصبح عنوانا للكتابة التي تمزج الممارسة السياسية بالابداع ، فالثقافة ليست عالما غائما من الصور المثالية التي لا يستوعبها احد ، وليس المثقف هو الذي يكتب ، بل المثقف هو من يبحث عن عضويته ، داخل الممارسة الجماهيرية التي تصنع التاريخ وكل مجد ثقافي » . (١)

ان تجربة الشاعر م عالموت حالة متقدمة من البطولة والتضحية ، وامتزاج فريد من التجربة النضالية والشعرية عنده ، ونضيف الى هذا انها صورة صادقة وواقعية لنضال الشعب الفلسطيني وكفاحه الدامي ، ومثال رائع للتبرع الواعي بالنفس في سبيل الوطن .

وهنا يتحول الشاعر الى فدائي ، ويدعو غيره الى الفداء . يبدأ بنفسه ليكون جسده بوابة للعبور الى النصر أو الشهادة ، وهذا مطلب جماعي يسارع الشاعر المناضل الى تحقيقه ، لانه المبتغى :

لعمرك اني أرى مصرعي	ولكن أغذ اليه الخطا
أرى مقتلي دون حقي السليب	ودون بلادي هو المبتغى

١ ـ شؤون فلسطينية ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

ويقبل الشاعر على الموت برغبة ، لانه يرى مقتله دون حقه السليب ، ودون بلاده هدفا يجب ان يسعى اليه في حماسة واقدام ، ولا يتردد في سبيل تحقيقه . ومن خلال واقعه الثوري المصبوغ بالدم يبدأ برسم صورة مأساوية للشهيد ، وهي صورة نابعة من ضمير المجتمع الفلسطيني نفسه .

يلذ لاذني سماع الصليل	ويبهج نفسي مسيل الدما
وجسم تجدل في الصحصحان	تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لطير السماء	ومنه نصيب لاسد الثرى
كسا دمه الارض بالارجوان	وأثقل بالعطر ريح الصبا
وعفر منه بهي الجبين	ولكن عفارا يزيد البها
وبان على شفتيه ابتسام	معانيه هزء بهذي الدنا
ونام ليحلم حلم الخلود	ويهنأ فيه بأحلى الرؤى

ولعل هذا التشريح لجسد الشهيد على هذه الصورة لون من الاعتراف والتمجيد للطريقة الرائعة في الموت ، كما أن هذا الفهم يشير الى اكثر من دلالة يطرحها عبد الرحيم في شعره وهو يقبل على الموت :

- فالموت مؤثر ارادي وحدث اجتماعي ـ سياسي .
- وهو مؤثر جماعي من خلال ممارسة فردية أداها الشهيد على هذا النحو .
- وهو ممتلىء بمأساوية عاشها الشعب الفلسطيني وهو يتعامل مع هذا الموت ، ويمارس بدايات نهضة حقيقية ، كما ان هذا الموت يحمل دلالة تحريضية ، تشكل فعلا متكاملا يؤديه الشهيد .

ويقف عبد الرحيم في قصيدته هذه موقفا حاسما وهو يتحدث عن الموت الحق (موت الرجال) ، ويدعو اليه ، لانه (الموت ـ النموذج) ، الذي تتكافأ فيه الرغبة في تحقيق الشهادة مع الرغبة في تحقيق الشرف والكرامة الانسانية ، فيقسم :

لعمرك هذا ممات الرجال	ومن رام موتا شريفا فذا
فكيف اصطباري لكيد الحقود ؟	وكيف احتمالي لسوم الاذى ؟
أخوفا وعندي تهون الحياة	وذلا وانــي لـرب الابا ؟!

ويستمر تأكيد الشاعر على موقفه الملتزم من الوطن والحياة والموت .. حتى نهاية القصيدة ويصل به الاندفاع الى الذروة في مواجهة العدو بقلبه القوي ، ليحقق الموت ــ الحلم ــ ، وليرسم للشعب الفلسطيني درب الثورة والنصر ، وليؤكد دور الشاعر المناضل وهو يرضي مطامح قومه الجماعية بشجاعة تنال اعجابهم ، وهنا يصرخ :

بقلبي سأرمي وجوه العداة فقلبي حديد وناري لظى
وأحمي حياضي بحد الحسام يعلم قومي بأني الفتى

لقد استطاع عبد الرحيم في « الشهيد » أن ينقلنا الى عالم الشهادة بفضل صدقه الشعري ، وتزاوج تجربته الفنية مع تجربته النضالية .

ولست أبالغ اذا قلت ان قصيدة الشهيد هذه قد أكسبت عبد الرحيم شهرة أدبية تساوي ما أكسبه اياه باقي شعره ، لانها اصبحت نشيدا جماهيريا يردده الشعب ، ومنشورا ثوريا للاحرار والوطنيين . ولقد حفظناها في سني دراستنا المبكرة ، وبهذا يكون عبد الرحيم محمود قد اضاف الى خلود روحه ــ وهو يسقط شهيدا في الشجرة ــ خلودا في فنه الشعري .

وقد نالت هذه القصيدة استحسان النقاد والدارسين والادباء ، لما حملته من معان عميقة ، ومواقف شريفة ، واداء جميل مؤثر ، فيخص الدكتور شوقي ضيف عبد الرحيم محمود بحديث يمجد فيه شعره وبطولته باعتباره الشاعر الفارس الذي غذى الثورة الفلسطينية بشعره النضالي الجريء ، ويعد قصيدته هذه من الشعر المؤثر المثير فيقول : « وما زال يخوض مع العدو المعارك وهو يتغنى بالاشعار المثيرة ، حتى سقط في معركة الشجرة بجبال الجليل كاتبا بدمه على ثرى وطنه الحبيب أروع قصيدة مؤثرة محققا بذلك ما تمناه في بعض قصائده من استشهاده في سبيل بلاده » . (١)

---

١ ــ البطولة في الشعر العربي ، دار المعارف بمصر ، يوليه سنة ١٩٧٠م ، ص ١٤٣ .

وأورد الدكتور شوقي ضيف ستة أبيات من قصيدة الشهيد بدأها بقوله :
« أرى مقتلي دون حقي السليب .. وانهاها بقوله : « ومن رام موتا شريفا فذا » ويعلق عليها الدكتور ضيف قائلا : « وهو يتمنى أن يقتل ويسفك دمه دفاعا عن حقوق بلاده السليبة ، وقد أصبح يستشعر في قوة غريزة الثأر وحب الدم المسفوح والتشفي برؤيته حتى ليفرحه صليل السلاح ومسيل الدماء ، وان يرى من حوله الشهداء وقد تناثرت اشلاؤهم وتناهبتها نسور السماء ووحوش الارض ، وسالت دماؤهم القانية وتناهت رياح الصبا عطورها ، وتعفر جبينهم البهي بالتراب عفارا يزيد في بهائه وجماله ، فذلك في رأيه هو الموت الشريف موت الرجال الاحرار » . (١)

أما جبرا ابراهيم جبرا فتثيره قصيدة الشهيد لعبد الرحيم محمود ويعجب بالبيتين الاولين :

سأحمل روحي على راحتي	والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق	واما مما تيغيظ العدا

ويعده الشاعر الاول والاكبر في الشعر العربي الحديث ، وفي ذلك يقول خبرا :
ومجابهة الموت ، كما يفعل معظم الشعراء ، بل كان الشاعر الاول والاكبر في
« لقد اشتهر عبد الرحيم محمود بهذين البيتين ابان حياته ، ولعلنا نعجب بأي شاعر يقول مثل هذين البيتين ، مهما تكن الظروف التي يقولهما فيها . غير أننا ، منذ سبعة عشر عاما ، كلما رددنا هذين البيتين ، لم يكن احساسنا اعجابا وحسب بعبد الرحيم محمود ، به أنه ايضا اكبار واجلال له . لقد حمل هذا الشاعر روحه على راحته كما وعد والقى بها في مهاوي الردى . لم يكتف بالكلام عن الشجاعة ومجابهة الموت كما يفعل معظم الشعراء ، بل كان الشاعر الاول والاكبر في الشعر العربي الحديث . لقد قضى حياته نضالا مسلحا من أجل فلسطين وكما جاشت عواطفه كلاما لاهبا وشعرا لاظيا ، اتبع القول بالفعل ، وحمل بندقيته ودخل سوح القتال . الى ان استشهد في شهر تموز عام ١٩٤٨م . وهو يقاتل اليهود ، في معركة عند قرية الشجرة على مقربة من مدينة الناصرة بفلسطين وكان يومئذ في الخامسة والثلاثين من عمره » . (٢)

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

٢ ــ الرحلة الثامنة ، ص ٣٩ وما بعدها .

وتطالعنا رغبة الشاعر في معانقة الموت في أكثر من موضع شعري ، نلمسه وهعو يقبل على الموت اقبال القانع الراضي ، فيحدد غايته بقوله :

غايتي ألقى المنايا عاجلا — في مجالي العلم أوساح النضال
فابسمي يا أم عبد انه — زف للحور وولى وهي عال (١)

الشهادة هي الغاية ، والموت هو الهدف ، كلاهما حركة داخلية تنمو في وجدان الشاعر وعقله ، وتتسع لتغطي معظم مواقفه ، ذلك أن طموحه الدائم لاحراز تقدم علمي ونضالي ، يدفعه لمتابعة الغاية وصولا الى الهدف .

وكثيرا ما يحمل الشاعر روحه على راحته ، ليلقي بها مرة في مهاوي الردى، واخرى في ميدان الجهاد . وهنا يتخذ الموت شكل الدافع والمحرك ويصبح تقريع الشاعر للجبان المتقاعس عن خوض المعركة نوعا من التعبئة المعنوية ، لحشد الجماهير الشعبية وتقديمها للمعركة استعدادا لنيل الشهادة :

حملت على يدي روحي وقلبي — وما حملتها الا عتادي
وقلت لمن يخاف من المنايا — اتفرق من مجابهة الاعادي ؟
أتقعد والحمى يرجوك عونا — وتجبن عن مصاولة الاعادي ؟
فدونك خدر أمك فاقتحمه — وحسبك خسة هذا التهادي (٢)

انها سخرية مرة من الجبناء ، واثارة عنيفة لهمم القاعدين ، في سبيل عون الوطن ، ومقاتلة الاعداء ، وهذا الغرض المزدوج الذي يحمله الشاعر شعره ، دليل على وعيه ، وشجاعته ، واستبساله الفعلي لنيل الشهادة .

وتذكرنا رغبة عبد الرحيم محمود في معانقة الموت ، والاستغناء الطوعي عن روحه في سبيل نصرة وطنه وقومه ، برغبة أبطال الخوارج وشعرائهم الذين تفانوا في سبيل المبدأ وقدموا انفسهم لتحقيق أهدافهم ، فعشقوا الموت ، مع فارق في الظروف السياسية والوطنية والاجتماعية والدينية بين كل من عبد الرحيم محمود وشعراء الخوارج .

---

١ — ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٥٦ .
٢ — المرجع السابق ص ١٤١ .

وعندما يرثي شاعرنا رفيقه في النضال القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد ، تقف لنا هذه الرغبة الصادقة في ملاقاة الموت ، علامة ثورية بارزة عند الشاعر ، فهو في استحضاره لسيرة هذا الشهيد يؤمن بالطريق التي سلكها قبله عدد من شهداء فلسطين كعز الدين القسام وفرحان السعدي وغيرهما ، وهو يتخذ من رفيقه وقائده مثلا يحتذى في الشهادة ، لانه اختار الطريق الصحيحة التي آمن بها الاحرار وأيدها الشعب الثائر :

يا شهيدا قد تخذنا قبسا   منه يهدينا الى النهج السديد (١)

ويعاف الشاعر روحه ، ويود لو يلقيها عن عاتقه ، لانها تثقله ، وتأخذ رغبته في الاستغناء عن روحه هذه المرة مفهوما اخر نابعا من كره الشاعر لهذا العالم ، ومن ضيقه بالدنيا التي امتلأت بالشرور والاثام وهو يصدر في ذلك عن فلسفة خاصة مردها غربة نفس الشاعر داخل مجتمعه .

وهنا يعلن الشاعر :

روحي عبء مثقل عاتقي   ايان التي العبء عن عاتقي ؟

تغلو على الناس ولكنني   أبيعها للناس بدانق (٢)

---

١ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٣٤ .

٢ ـ الديوان ، ص ٢٠ .

تعقيب

والسؤال الذي تبقى لنا الان ونحن بصدد دراسة شعر عبد الرحيم محمود الوطني هو : أكان الشاعر يصدر في اشعاره الوطنية هذه عن اقليمية فلسطينية ضيقه ، وانزواء جغرافي صغير ؟ أم أنه كان يشعر بانتمائه العميق للوطن العربي الكبير ، وبحرصه البالغ على كرامة الانسان العربي وحريته ، من خلال انتمائه الصادق لوطنه الصغير (فلسطين) ؟

والحق أن عبدالرحيم كان يحس بالشمولية العربية ، والالتزام الوطني الواسع، كما كان يؤمن بالوجدان القومي ، ويعبر عن كل ذلك في مواقفه الشعرية والنضالية، وقد لمسنا ذلك عندما وسع الشاعر دائرة نضاله فانتقل الى العراق وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز .

واذا كان عبد الرحيم يطالب بتحرير الارض الفلسطينية ، وتخليص انسانها المظلوم ، والوقوف في وجه الموجة الاستعمارية الخطرة ، فذلك جانب من دفاعه عن الوطن العربي ، وانسانه ، لان الاطماع الاستعمارية والصهيونية لا تتوقف عند حدود فلسطين ، بل تطمع دائما في امتلاك الاراضي العربية الاخرى ، فتلك سياسة اسرائيل ، وحدودها المرسومة (من الفرات الى النيل) ، تسعى دائما لتحقيقها ، وقد لمسنا ذلك حقيقة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م ، حين اغتصبت اسرائيل اراضي عربية جديدة وباشرت على الفور باقامة مستعمراتها عليها .

ويؤكد عبد الرحيم انتفاء الحدود بين اقطار الوطن العربي الواحد من جهة ، كما يؤكد المشاركة الوجدانية والوطنية القائمة بين شعبه :

فاذا تشكى النيل من آلامه ... شقت مرائر دجلة الالام

واذا تنادى المغرب الاقصى لدى ... جلى استجابت للنداء الشام

ذهبت خرافات الحدود فكلها ... وطن لنا لوصحت الافهام (١)

---

١ ــ الديوان ، عيد الجامعة العربية ، ص ٢٥ .

ونستطيع القول : لقد كان عبد الرحيم محمود انساني النزعة ، عربي الدم ، فلسطيني التربة ، ظهر ذلك في قصائده : (بين الشرق والغـــرب) ، (الشهيد) ، (انشودة التحرير) ، (عيد الجامعة العربية) ، (يا عامل) ، (الشعب الباسل) ، (ذكرى الزمان) و (رثاء حمال) وغيرها وقـــد اوردنا منهـــا نماذج شعرية فـــي مواضعها من هذا البحث .

« ولقد اولى الشعراء عنايتهم بالواقع الفلسطيني بهـــذا القدر أو ذاك ، غـــير انهم لم يجعلوا من هذا الواقع وجودا قائمـــا بذاته منعزلا عمـــا يحيط به ، لقد رأى الشعراء الى ان هذا الواقع جزء من كل يتأثر به ، ويؤثر فيه .

الوطن وطبيعته ليسا بقعة جغرافية فحسب ، بل امتداد نفســـي يكشـــف عن صلة الانسان بالارض ومصيرها المفجع ، فالنضال الوطني الفلسطيني كان في أساسه نضالا قوميا جعل الشاعر الفلسطيني بالضرورة شاعرا قوميا .. وكانت الامـــة حية في ضمائرهم يتغنون بامجادها وانتفاضاتها ومستقبلها ، ويعبرون عن طمـــوح أبنـــائها في الاستقلال والتحـــرر والوحدة ويرفضون التجـــزئة وحواجز الحدود التي وضعها المستعمرون » . (١)

وهكذا وقف عبد الرحيم مواقف ثورية في شعره الوطنـــــي ، وأكدها بجـــراءة نادرة ، واحساس صادق ، وهي على أية حال مواقف متداخلة ومتعانقة ، تشـــكل شخصيته الوطنية وتعبر عنها .

---

١ ـــ خالد علي مصطفى : الشعر الفلسطيني الحديث ، ص ٢٩ .

الفصل الثاني

شعر عبد الرحيم محمود في الإطار الاجتماعي والانساني والتأملي



عبد الرحيم محمود شاعر الفقراء

١ ـ الطبقة الكادحة :

اذا ادركنا قبل كل شيء أن السمو بالحياة البشرية ، والغاء حواجز الوطن والجنس والعصبية والدين نزعة انسانية ، وان الحام في عالم الحق والخير والابتعاد من عالم الشر والمادة نزعة انسانية ، وأن فكرة الرحمة بالضعيف ومواساة العاجز الفقير ، والوقوف بجانب الطبقة الكادحة والعمال ، والارتقاء بالحياة البشرية لدفع الضرر والتعاطف والتازر والتعاون ، نزعة انسانية ، واذا ادركنا اخيرا أن حب الانسان لوطنه ولبني جنسه ، وان الايمان بالانسان وبعقله ايمانا لا حد له نزعة انسانية كذلك ، (١) فاننا نقف وجها لوجه أمام انسانية شاعرنا ، وصدقه الراسخ في التعبير عن الانسان والحب والوطن ، وهو ينادي بحقوق الانسان ويؤكد سلامة الوطن واستقلال كيانه .

ولعل نشأة عبد الرحيم في ريف فلسطين ، وطلوعه من رحم الطبقة الوسطى قد ساعده على معايشة الفلاحين والفقراء والكادحين والعمال ، فنقل احساسهم وحمل همومهم الجماعية في شعره ، منذ حياته الاولى في القرية ، حيث انخرط في مجتمعها البسيط الساذج فسرى شيء من ذلك في دمه ورحل معه وهو ينتقل الى مجتمع المدينة المتناقض ، فأدرك الفوارق الطبقية بين حياة القرية وحياة المدينة ، فهذه نابلس مدينة تضج بالحركة والتجارة ورؤوس الاموال ، والناس فيها طبقات ، « وليس للبائس فيهم نصيب » على حد تعبير شاعرنا .

وكان لا بد لشاعرنا من أن يلاحظ الامراض الاجتماعية التي تسللت الى جسد المجتمع الفلسطيني في أريافه وحواضره وبواديه ، فصدم بالنظام الاقطاعي الذي تمارسه الفئات المترفة المالكة ، كما فجع بالممارسات غير الانسانية التي تصدر عن حكومة الانتداب البريطاني وعن العصابات الصهيونية في فلسطين آنذاك ،

---

١ ـ د. شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٨

كاستلاب الاراضي العربية ، وتملكها ، ثم هاله ذلك الوضع الاجتماعي الذي يمنح بعض القطاعات السكانية فرض نظام رهيب من التجويع والاهانة والاهمال لاستخدامها في تحقيق مطامع استعمارية خطيرة .

نظر عبد الرحيم فرأى الغني المترف ، والفقير المعدم ، والعامل الكادح ، والفلاح القانع المؤمن بربه وأرضه ، ثم رأى الى جانب ذلك المستعمر المتجبر يسعى لابتلاع الوطن والانسان والقيم والعادات ، راى شاعرنا ذلك فتألم ، ونزف حزنا وهو يبصر حمالا ميتا في أحد شوارع حيفا والى جانبه سله الذي يتخذه وسيلة للكسب ، فيرتقي بانسانيته وهو يرسم لنا صورة كئيبة مؤلمة لهذا الحمال الذي لفظه المجتمع، فعاش غريبا ومات غريبا .. انها غربة مزدوجة قاسية يعبر عنها الشاعر بهذا الحزن المأسوي الذي يطلع من مقدمة القصيدة : (١)

قد عشت في الناس غريبا ، وها	قد مت بين الناس موت الغريب
والناس مذ كانوا ذوي قسوة	وليس للبائس فيهم نصيب

انها صرخة احتجاج على الذين لا يرحمون الضعيف ، ولا يأخذون بيد الفقير بل يتركونه يموت جوعا وتعبا على قارعة الطريق .

ويثور عبد الرحيم على المجتمع بسوءاته وتناقضاته ، لانه مجتمع يحترم الغني القوي ، ويدوس الفقير الضعيف ، ولانه مجتمع مريض منافق ، منكر القيم الانسانية ، ويحاول شاعرنا برؤيته الانتقادية التي تحمل حسا انسانيا أن يرسم صورة لمجتمع صالح من خلال هذه الدلالة الانتقادية للواقع الاجتماعي ولو كان الحمال المسكين صاحب سطوة وجاه ، أو كان ميسور الحال لاحتفل به الناس ولشيعوه ، وبكوه بحرارة ، ولكنه من عامة الناس عاش غريبا ومات غريبا ، فوقف الشاعر متعاطفا معه ، راثيا لحاله من خلال التهكم اللاذع والشكوى المرة ، فيقول :

لو كنت في حبلك شناتهم	لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
أو كنت من « سلك » رزاقهم	لقام عند السل الفا خطيب

١ ــ الديوان ، ص ١٨، ١٩ ، وانظر قصيدة « رثاء حمال » في : الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، مكتبة بلدية نابلس ، ص ٣٣ وما بعدها ، وفي ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٦٤ .

ونزهــوا حبلك عــن عيبـــــه وبللـــوا السـل بذوب القلـوب
لكنــك الحمال ، لـم يطمعـوا فيـك ولم يخشوا أذاك الرهيب

وينادي عبد الرحيم بفكرة « الحياة للاصلح » من خلال تصويره الواقعي لهــذا الحمال الميت الذي كان يحصل على قوته من عرق جبينه ، ونزف عيونه ، فانــه أحق بالحياة من اولئك الذين يعيشون على مصائب الاخرين والامهم ، ويتخذون الســلب والنهب وسيلة غير مشروعة للكسب ، أن الحمال انسان كادح ، يعــرف الحــق فيمضي اليه ، ومع ذلك يسلب هذا المجتمع الظالم حقوقه ، ولقد مضى هذا الحمــال دون وداع لان مجتمعه نبذه ، فمر الناس عليه دون أن يأبهــوا بمنظره ، يقــول عبد الرحيم مصورا وضع هذا الحمال الميت :

رغيفــك الطــــاهر غمســـته من عــرق زاك ودمــع صـبيب
ما كنــت ســلابا اخا غصــبة بل كنــت ذا حــق سليب غصيب
فرحت ، لم يســكب عليك امــرؤ دمعا ، ولا قلــب رفيــق يلـوب
ولم يودعك حبيــب ، وقــد يهــون الصعب وداع الحبيب

وفي هذا كله حملة على مجتمع المدينة ، بما فيه من تباين طبقي ، واغفال لــدور الطبقة الكادحة ، تلك التي داستها أقــدام الاثرياء في شوارع حيفا .

والمظنــون أن مــوقف عبد الرحيم هذا من الحمــال يرتد في حقيقته الى منحى اشتراكي لا يلبث أن يتسامى الى نزعة انسانية تثور على المستغلين والاغنيــاء ، وتدعو الى احترام هذه الشريحة الاجتماعية المظلومة ، التي يتوقف عليهــا بنــاء المجتمع واســعاده .

ويتحدى الحمال الموت في ساعة موته ، بمــا لديه من حبل وسل ، وهمــا وسيلتــاه للكسب ، وطريقه الشريفة للحياة . ان موت الحمال على هــذه الصورة

شهادة ، فهو رمز للصبر والتحدي والاحتمال ، كما انه عنوان للرفض والاحتجاج في وجه هذا المجتمع الظالم ، يقول عبد الرحيم :

حبلك والسل ، لقد أوديا بهيبة الموت الوقور الرهيب
وفيهما – لو أنصفوا – رفعة وشاهدا فضل وخير وطيب

ويمضي شاعرنا تحدوه عاطفة انسانية صادقة متوهجة ، ويدفعه احساس واع وهو يصور كفاح الانسان الشريف في سبيل لقمة الخبز حتى الموت ، معلنا النقمة على الناس والمجتمعات المريضة ، وثائرا على الطبقة الاقطاعية ، فيقول :

قد مر أهل الدرب لم يأبهوا للمهمل المطروح فوق الدروب
كم قد سألت الناس ماء فلم يجبك في النزع شفيق مجيب
أو استعنت الطب لكنما لم تملك الاجر فعز الطبيب
أو ربما أوصيت ، أو شئت ان توصي فلم يسمعك حان قريب

ويصور عبد الرحيم مأساة هذا الحمال وقد خلف وراءه اسرته الفقيرة المعدمة ، تصويرا يستدر العطف : طفل صغير جائع ينتظر عودة الاب الكادح ، ليدفع عنه شبح الجوع ، لكن طال الغياب وعز الاياب :

رب صغير لك خلفته منتظرا اياك حتى تؤوب
يرجوك للجوع الذي شفه يا غائبا عنه .. وطال المغيب

وبهذا ينفذ شاعرنا الى ضمير الاسرة الفلسطينية ليجوس في واقعها الاجتماعي ، واضعا يده على امراضها داخل البيت الواحد ، ولا عجب فهو واحد من هذه الطبقة التي مارس عليها الاستعمار – ممثلا في حكومة الانتداب البريطاني والصهيونية العالمية – عوامل القهر والاستلاب والقتل ، كما مارست الطبقات الغنية دورها الفوقي وهي تتعامل مع هذه الطبقات الكادحة ، فكان الحمال ضحية من ضحايا هذا المجتمع .

ويتعاطف شاعرنا مع الفقراء بصدق ووعي وانسانية ، فيشـاركهم همـومهم ، ويعبر عن مصائبهم ، ويستلهم من هذه المواقف مادة لشعره الغاضب وهو يرى في هذا الحمال الميت جمالا يفوق كل جمال ، بينمـا يرى فيه الاخرون قبحا واشمئزازا ، فيزوون عنه ، ويهملونه .. هذا الموت الجميل في نظـر الشاعر رمز للتضحية والبذل ، كمـا انه مدعاة لنقمته على هذا المجتمع :

ان قوافي علـى قحطهـا ... تلقـى بمـرآك المجال الخصيب

بـرودك الهـادىء قد هاجهـا ... فجـررت غضبى ذيـول اللهيب

يا مـوقظ النقمـة في أضـلعي ... بشعت في عينـي الجمال العجيب

ويستمر الشاعر في تفصيله لهيئة الحمال ، فيعرض لثوبه البالي ، وجسده الهامد وصمته الرائع ، ويكره لاجلها الاثواب الحريرية ، والاغصان الرطبة ، والاصوات المطربة ، وان مفهـوم الشاعر للجمال مفهوم نابع من معين انساني ، وما ذلك الا لان الشاعر يومىء الى القيم العليا اذ يقـول متمثلا القيم في هذا الحمال :

لثـوبك الـرث واخـلاقه ... كرهـت اثـواب الحرير القشيب

والجسـد الهـامد في يبسـه ... كـره لي الغصن الطري الرطيب

وصمتك الرائـع يا موحشـي ... بغض لي الصوت الحنون الطروب

ويعـري عبد الرحيم مجتمعـه ، ويحمل على الذين فقدوا كـل احسـاس ، حين تخلـوا عن هـذا الانسـان الكـادح وهو يسـعى جاهدا لتـأمين قوته ، وكانت حياته مأساة قدم في نهايتها روحه ، لكن دون أن ينـال من هـذا الجمهور المشاهد دمعة حزن صادقة ، والشاعر يقف هنا موقفا انتقاديا من الانظمة السياسية والاوضاع الاجتماعية المتردية ، والممارسات الطبقية غير العادلة ،يقف في صف هـذا الحمال بحسبانه ممثلا للطبقات الفقيرة المعدمة ، ويصرخ الشاعر من أعماقه قائلا :

حيـاتك المأسـاة مثلتهـا ... ذروتهـا الفصـل الاخير الكئيب

وراقـب النـاس تفاصيلها ... لكنـه ما ان وعـاها رقيـب

يا حســـرتا قـــد فاتنـــي بدؤها وأســـدلت قبلي عليهـــا الحجوب
أو . . ، لا ، فلو ابصرتها كلهـــا لكنـــت من وجدي وحـــزني أذوب

وما مأساة الحمال هذه الا مأساة الطبقات المظلومة في فلسطين آنذاك ، بـــل في أنحاء العالم كله ، وما هذه النزعة التي تنطلق من لسان الشاعر ووجدانه الا النزعة الانسانية العامة ، تحركت في ضميره بعـــد أن تشربها من مجتمعه .

ويعلن الشاعر تمرده على مجتمعه ، وعلى الناس من حوله ، فيصـــرح بغـــربته القاسية المرة ، وانهـــا لغـــربة الشعراء الذي ينزفون لمراى الظلم ، ويصرخون فـــي وجه الاستغلال والعبودية ، فيـــود الشاعر لو يفـــارق هذا المجتمع وما به من خلق لان فراقهم عيـــد كمايقـــول .

فعبد الرحيم محمود يتفاعل مع مجتمعه من حيث : علاقاته بالناس وانصهاره مع قضايا وطنه ، يتنفس من رئة متصلة برئة هذا المجتمع ، يحس فيكتب ، يتألم فيصرخ ، يغضب فيثور ، ويحس الاغتراب والنفي في مجتمعه ، فيتسامى ، ويتفرد ، ويـــزداد التصاقه بهمـــوم الجماعة والوطن ، ويحمل همـــا جماعيا يطغى على همه الفـــردي، وهو دءوب للتعبير عن هذا الهم ، في محاولة لاعادة تشكيل هذا النظام الاجتماعـــي داخل الوطن .

٢ ــ **العمـــــال :**

جسد شاعرنا صوت العمال في أكثر من موضع في شعره ، وأبرزهم على مسرح المجتمع شريحة مظلومة ، كمـــا ابرز دورهم القيادي في حركة التحرير الوطنية ، وفي بنـــاء المجتمع الانساني ، وتشكيل كيانه القوى ، ورسم لهم صورة زاخرة بالعطـــاء والامل ، وهو في ذلك يسعى الى تحديد ملامح هذه الطبقة وتوجيه انظـــار المجتمـــع اليهـــا ، نظـــرا لخطورة واهمية الدور الذي تمارسه ، فهـــو يشيد بمواقفهم البناءة،

ويكتب على لسانهم شعرا يفيض بمعاني الايثار والتضحية ، ومن ذلك قصيدته « نحن المصادر والموارد » (١) يقول في مطلعها :

نحن المصادر والموارد وسلاحنا فتل السواعد

هاماتنا ــ للمجد يــر سو حين نبدعه ــ قواعد

وقلوبنا نبع المكـا رم ليس ينضب والمحامد

ودماؤنا الحمراء للـ (م) حرية العليا روافد

وحين يتحدث الشاعر على السنة العمال يعد نفسه واحدا منهم ، فهو معهم في معاناتهم القاسية ، ودأبهم المتواصل لتحقيق مجتمع يقوم على تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية ، كما أنه حريص على المطالبة بحقوقهم ، وتكوين كيانهم المستقل .
يقول عبد الرحيم ممجدا العمال :

ولنا الايادي البيض لا ينسى الايادي غير جاحد

وبناء اذا تدهو الشدائد (م) كان تفريج الشدائد

وللعمال في كل المجتمعات الانسانية مكانة ، ودور ، وهم في المجتمع الفلسطيني كذلك ، الا ان القوى الاستعمارية قصدت الى احباط مساعي العمال في تحقيق حياة فضلي ، وفرضت عليهم ضغوطا شديدة من البطالة والتجويع والاهمال ، فاحس شاعرنا بذلك فثار معهم راسما هدفهم في مكافحة الظلم والافتراء والكسل والجبن والتخاذل ، وأبرز دورهم الثوري المتمثل في مشاركاتهم النضالية في ثورات فلسطين المتلاحقة في محاولة لتحقيق ذاتهم .

ويمضي الشاعر في تصوير الاوضاع الاجتماعية المريضة على لسان العمال ، وهو تصوير فيه من التهكم والغضب ، بقدر ما فيه من الغيرة الوطنية ، والرغبة في اصلاح الاوضاع المتردية ، ويبرز احساس الشاعر الاجتماعي والوطني وهو يختم قصيدته بأبيات أربعة تحمل وعيا انتقاديا عميقا ، وتدعو الى وحدة الصف ، فيبدأ برصد الواقع المر بما فيه من تناقضات مؤلمة : فرقة وخلافات ، وخصومات ، وأباطيل، وانتفاء لعوامل الخير والفضل ، بينما المصير واحد والهم واحد ، فيقول :

---

١ ــ الديوان : ص ٢٤ .

ومن العجائب في المصائب (م) فرقة والهم واحد
نقضي الحياة على خصا م بين ذمام وحامد
راحت أباطيل التبجح (م) بيننا والفضل كاسد
والخير بات ضحية ما بين هدام وناقد

وينظر عبد الرحيم الى العامل في مكان اخر من شعره نظرة اجلال وتقدير ، ويخلع عليه صفة التفاني في العمل ، والايثار الاجتماعي ، وفي قصيدة له بعنوان « يا عامل » (١) يرى هذا الانسان هو الباني والصانع لمجد الامة ، لكنه يبني لغيره ، ويعمر لسواه ، منه العرق والتعب ولغيره القصور الشاهقة والاشجار الباسقة ، يقول عبد الرجيم في ذلك :

هذي القصور وأنت رافع سمكها هل هن لك ؟
والدوح من حول القصور زرعته هل ظللك ؟
والنور من يدك الصناع فما حياتك في الحلك ؟
الحسن أنت خلقته لكن سواك له ملك ؟

وان شعور عبد الرحيم بضياع العامل وانسحاقه في اطار المجتمع الكبير ، واحساسه الواعي باهدار حق هذه الفئة وتناسي حقوقها دفعه الى الوقوف بجانب العمال ، مؤكدا انتصارهم في النهاية ، ومشيرا الى الحتمية التاريخية التي تقضي بسيادتهم ويقول :

لا تأس فالدنيا تصير اليك ان دار الفلك
يا عامل

ويرتفع العامل في نظر الشاعر الى مرتبة قدسية ، فالله خالق الكون ، وواهب الحياة للموجودات . والعامل قادر على تفجير الماء من الارض الصخرية ، وهو بجهده ودأبه يبعث في الارض الصماء خضرة وحياة ، ولعل

١ ــ الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، مكتبة بلدية نابلس ، ص ٣٤ وما بعدها .

الخلق المقصود هنا هو قدرة العامل ــ المستمدة ــ من قدرة الله ــ على الابداع والعطاء والبناء . واحياء الارض بتفجير مائها وخيراتها ، يقــول الشــاعر :

الله في الدنيــا وانــت الخــالقان مــن القــدم
أولست ، ان تضرب يسل ماء من الصخر الاصم ؟
واذا نفحت بتــربة ، حييت بنفحتــك الامــم
الصــرح ان ترفعــه يرفع .. أو تهــدمه انهدم
فاعرف مكانك في الــورى واعلمــه أنــت بــه علم
يا عــامل

ويبدو أن عطف ضمير المخاطب « انت » العائد على العامل ــ علــى لفظ الجلالة فيه مغالاة مقيتة ، ومــن هــذا المنطلق يــرى الشاعر انــه اذا كــان العــامل قد جعل من الارض الموات حياة وخصبا ، ومن الركام قصورا وصروحا ، فهــو في ثورته العارمة ، ونضاله القوي ، قادر على أن يفني كل من يعترضه ، أو يحول بينه وبين تحقيق مراميه وسيادته على هذه الارض ، لانه ابنهــا الذي لا يفارقها ، وهو سيدها وحاميها وزارع الحياة في أحشائها ، ومن هنــا فاننا نجــد عبد الرحيم يعطي العــامل حرية مطلقة في شق طريقه ، وتحديد أهــدافه ، والوصول الى مطامحه وآمــاله بكل قــوة وعنف وتصــميم .

يقول الشاعر في القصيدة نفسها مخاطبا العامل بثورة غاضبة :

اطــرق بمطرقك الرؤوس اذا تمــادت في عنــادك
واحصد بمنجلك الرقــاب اذا حرمنك مــن مرادك
واحكــم بأرضــك في بــلادك لا تغرب عن بلادك
أنــت الذي زرع الحياة فمن شريكك في حصادك
يا عــامل

ولعل اهتمــام عبد الرحيم بالعامل الى هذه الدرجة يرتد ــ في نظرنا ــ الــى اكثر من ســبب :

اولهــا : وضع الطبقة العمالية في فلسطين ، في المراتب السفلى مــــن المجتمع ، وهضم حقــوقها .

وثانيها : الدور الايجابي الذي يقوم به العمال في الحركات الوطنيــــة والاجتماعية والاقتصادية والاهمية التي يمكن للعامل أن يؤديها ان أوتي حظا وافــرا من الحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وتكافؤ الفرص .

وثالثهما : ايمان الشــاعر نفسه بدور العمال الطليعي ، وتعاطفه معهم .

ورابعها : ذلك الصراع العنيف الذي عاشه الشاعر مع واقعة الاجتماعيوالاقتصادي والطبقي والحضاري بشكل عام .

وخامسها : تشكل غالبية المجتمع الفلسطيني ــ في الفترة التي كتب فيها عبد الرحيم شعره ــ من الفلاحين والعمال والطبقة الوسطى التي تعاني مــن ظلم المستعمر ، واغفال الفئات الغنية لحقوق هذا القطاع البشري الفقير بعامة.

٣ ــ مواقــف انســــانية :

يقف الشاعر مواقف فكرية واعية حين ينتقــد الاوضاع الاجتماعية المتردية ، يرى المتناقضات والسلبيات ، فيغضب ، ويثور على مجتمعه ، وحين يضع يده على العلة التي ادت بهذا المجتمع الى التدهــور والانحطاط ، لا يتوقف عنــد هذا الحد السلبي، ولكنه يعمد الى وضع حل جذري يغير به المفهومات الخاطئة ، وليحل محلها الحــــق والعدل ، فلقد كره العالم ، وضاقت في وجهه الدنيا ، انــه يتمنى الموت ، لانــه لا يريد أن يرى عالمــه الذي يعج بالفسق والنفاق ، وها هو ذا يعيد رســم صورته المتناقضة فيقـــول :

متــى اراني بــت طــي الثــرى   يســحقني بالكلــل الســاحق ؟
واغمــض العينيــن عن عــالم   لا يعتــلي فيــه سوى الفاسق
يحظــى بــه الكذاب بالمشــتهى   والتعس للمخــلص والصــادق (١)

ويتتبع الشاعر سقطات مجتمعه ، ويرصد بعينه اللاقطة عيــــوبه وأمراضه ، ويعزوها لاولئك الناس الذين قلبــوا المفهومات وشوهوا المجتمع بأساليبهم الملتوية ،

١ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٧٨ .

حتى محق العدل ، وهنـــا يثور الشاعر ويتمنى أن يمحق أهل الارض جزاء ظلمهم ، وتجاهلهم ، وانحرافهم ، فيقـــول :

الخـــير والخبـز غـدا حكره — لبعضـهم والويـــل للسـارق
هم اوجـدوا السارق من حاجة — وقيـــل هـذي قسـمة الخالق
يا منطقـــا لم يـرو عـن عاقل — العـي خــير منــه للنـاطق
قد محـق العـدل فـلا عـادل — امـا لاهـل الارض من ماحـق ؟

واذا كان الشاعر قد أدرك العلل الاجتماعية في عصره وشكاها متذمرا ناقدا فانه يضع حله الجذري في هذين البيتين :

متـى أرى الحـق واصـحابه — يعلـون من أدنـى الى شـاهق
وأبصـر الشـر وأربابـه — يهـوون من أعـلى الى ساحق (١)

ان تعامل عبد الرحيم مع واقعه الاجتماعي على هذه الصورة يشير الى امتداد التزامه الحقيقي الى قضايا مجتمعه وشعبه ، هذا الشعب الذي تكالبت عليه القوى الطامعة ، حتى هدمته ، ونشرت فيه الامراض الاجتماعية الخطيرة التي استشرت في جسده وراح ضحيتها الفقراء والمظلومون . الا ان مواقف الشاعر تدفعه دائمـا الى ان يكـون الواعي لمشكلات امته ، والقـادر على نقـدها وتوجيههـا وجهة سليمة .

لم يكن عبد الرحيم متفرجا ، ولكنه كان مصلحا اجتماعيا في شعره ، بحيث جاءت كلمته جريئة ، صادقة ، ساخرة من العيوب والاباطيل التي تغير وجه الحقيقة ، وقـد استطاع الشاعر أن يتدخل في وجدان المجتمع ، ويكشف الغطاء عن أوجاعه وآلامه ، فيقول بسخرية تخالطها المرارة والتهكم :

بغى في قسـمة الارزاق نـاس — وقالوا : هكـذا قسـم الالـه
وقالـوا ان احب اللـه عبـدا — برزقتـه المقـدرة ابتـلاه
دعـونا ان يكـن هـذا صحيحا — يـر الفقـراء معبـودا خـلاه
رأيـت القلب امـا ضـاق صبرا — بمحبـوب لحـرمان سـلاه
لقـد وصـفوا الاله بشر ظلـم — بمـا كذبوا : تنـزه في عـلاه (٢)

١ ــ الديـوان ، ص ٢٠ .
٢ ــ نفســه ، ص ٢٩ .

والمتتبع اليقظ للاحداث التي تعاقبت على فلسطين في الفترة التي عاشها عبدالرحيم محمود ، يلحظ ما احدثته من تشويه في كيـان المجتمع الفلسطيني آنذاك ، فالاوضاع السياسية كانت عبئا على الانسان ، لمـا فرضته عليه من قيود ومظالم ، والاوضـاع الاقتصادية قسمت الناس الى طبقات ومراتب ، والحالة الاجتماعية تردت تبعـا لذلك حتى امتـلأ المجتمع بشتى المساوىء والعيوب ، ويحس شاعرنا بذلك ، ويمتص شعره نقمة المجتمع الانساني ، ليعـود ويصـوغ هـذه النقمـة صـراخا عنيفـا ، محـاولا انصاف المظلوم ، وتحقيق العـدالة الاجتماعية بين الافـراد بصـورة تمثل انسانيته الرفيعة ، وحدبه الواعي على مصير الشعب الفلسطيني صاحب الحـق يقول في قصيدة بعنوان « انصفني فانا اخوك » : (١)

أتينـا للحيـاة فلـي نصيـب	كمـا لك أنـت في الدنيـا نصيب
فلـم تعـدو وتغصبني حقـوقي	وتطلـب أن يسـالمك الغصيب ؟
أعدلك قـال أن أسـعى وتجني	وأطلـب المعـاش فـلا أصيب ؟
فانصفني ولا تجحـف فانـي	أخوك اذا دهـا الخطب العصيب

واذا عرفنـا ان الثـورة الوطنيـة ، كانـت بعـض دمـه ، فقـد كانت ثورته الاجتماعية على الظلم والظلام هي الاخرى كذلك ، وهـو في ثورته هـذه ينـدد بالمستعمر الذي يسعى دائمـا لخنق صوت الحرية في حناجر الشعراء والاحرار والمناضلين ، ويهاجمه معريا ادعاءاته الباطلة ، وسياسته المضللة ، يقول في قصيدة اخرى بعنـوان « هـل هـذا كلام ؟ » : (٢)

وقـال الظالمون وقـد تمـادوا	بظلـم النـاس غايتنـا السلام
فامـا رام طـرح القيـد عبـد	وفـك قيـوده غضـبوا ولامـوا
وقالـوا : ثائـر يبغـي اهتزاما	لعـالمهم ، فهـل هـذا كـلام ؟

ويتحدث الشاعر عن العيد ، يفهمه على صعيد اجتماعي انساني ، فالعيد عنـده رقة في الاحساس ، وسمو بالحرية ، وتحقيق للاماني والرغائب ، وهو تجسيد لمطامح

---

١ ، ٢ ــ الديـوان ، ص ٢٩ .

الانسان ، واستيعاب لمتطلباته في الحياة الكريمة ، هذا المفهوم للعيد ، هو في حقيقة الامر مفهوم للحياة ، ومفهوم للانسان ، يقول عبد الرحيم في « العيد » : (٣)

اذا رق احساسنا في الوجود	وفاضت أحاسيسنا الشاعرة
اذا ما صهرنا قيود العبيد	بنار من القوة القاهرة
اذا ما نعمنا بلقيا المنى	وقرت رغائبنا الحائرة
اذا كان هذا فثمة عيد	وتلك مظاهره الساحرة
وثمة يحسن وجه الحياة	فتصبح فتانة ناضرة
وتجمل دنيا زهدنا بها	والا فموعدنا الاخره

لقد افتقد شاعرنا الحياة بجوانبها الايجابية المشرقة : من رقة الاحساس بالوجود، وجمال الاستمتاع بالحرية ، كما حرم من تحقيق الاماني والرغائب ، فقام يطلبها من خلال عيد يحلم به ، وهو على أغلب الظن عيد الانسان المظلوم ، حين يصهر قيود العبودية ، ويسمو بالحياة الى مرتبة الكرامة والحرية .

---

٣ ــ الديوان ، ص ١٤ ، وانظر الملحق .

٤ ــ وقفــات تأمليـــــة :

يرتد الشعر التأملي في جوهره الى نظر الشاعر للكون والوجود والحياة والانسان بمنظار فلسفي عميق ، تعززه قوى العقل والوجدان ، وتدفعه الى النفاذ في سر الاشياء، وسبر أغوار الحياة الانسانية .

والكون الواسع مجال خصب للنظر والتأمل ، وهو على رحابته معرض لمختلــف الصور والاشكال التي تخفي وراءها مدلولات كثيرة يسعى المفكرون دائما للوصــــول اليهــا وفك مغــاليقها .

ولم يكن عبد الرحيم بعيدا عن الحياة ، ولكنه باشرها بفهــم ووعي وعقلانية ، وتعامل معها بحس الشاعر ، وعين الفنان ، وعقل المفكر ، ونظــر الفيلسوف ، فقرأ ما وراء أشيائها من معان ، وسجل كل ذلك في شعر صاف ، ورؤية عميقة .

فحين يقف الشاعر وحيدا أمام حجر في بادية الشام ، يحس بالتئام غربته الى غربة هذا الجماد ، ويرى فيه ثورة وتمردا على أوضاع المجتمع ، لقــد آثر الحجــر الوحدة في وسط الرمال ، معتزلا حياة الناس ، وصخب المدينة ، ولعــل ضـــياع شاعرنا في وسط هذا المهمه الواسع ، وافتقاده للانيس قد دفعاه الى أن يبث هــذا الحجر همومه ومتاعبه ومغامرته ، ظانا أنه هداه في النهاية الى طريق فلسطين ، فراح يســند رأســه اليه ، وعلى لسانه تساؤلات تخفي وراءها حقيقة الشاعر نفسه ، وتصور وحدته وغربته ، يقول في مخاطبة « حجر في كثبان رمل » (١)

ويستنطق الشاعر الحجر ، ويرى فيه احتجاجا صارخا على الاوضـــاع الاجتماعية المعيبة ، ورفضا واضحا لحياة الزيف والبطلان والرياء ، فيعاف هــذا الجماد الحياة الصاخبة اللاهية ، ويهرب من عالم الزور والتضليل والرذيلة متمــردا طالبا حيـــاة الصحراء بديلا ، وهنـــا يقف عبد الرحيم قائــلا :

هل كنــت يومــا في القصور وعفــت ضـــافية القصور ؟
وأبيــت ان تبنــــى عليـــك صــروح بهتــان وزور
فنجـــوت للصـــحراء من صخب المزاهر والزمـــور

---

١ ــ انظــر الديوان ، ص ٢١ ، ٢٢ .

تعلـــو على نغــم الانـــين ونشــجة القلـــب الكســـير
أم كنـــت شـــاهد مصـــــرع الاخلاق في البيـــــت الكبير ؟
فهـــربت ، انك في الجمـــاد اذن لذو أســـمى شـــــعور

ويرى عبد الرحيم في هذا الحجر صورة نفسه التي تمردت على الواقع الاجتماعي المريض ، ويسقط احتجاجه على الحجر ، وهـــو في تســـاؤلاته يحـــاول أن يعكـــس حسا رومانسيا على عناصر الطبيعة لتشاركه همومه وغربته ، في محاولة للنفاذ الـــى جوهر الاشياء وقراءة أبعـــادها .

ولا يقف الشاعر في حياته عند الظواهر السطحية ، ولكنه يتعداها نافـــذا الى اعماقها ، وجذورها ، متأملا العلاقات الاجتماعية من خلال صلته بالطبيعة . (١)
ويستمر شاعرنا في رسم المعاني التي يلهمها اياه هـــذا الحجر ، فيرى فيه ابعادا انسانية تقـــوم على صد الظالم والوقوف في وجـــــه المعتدي ، واحباط مساعيه ، وتتجسد في كون هذا الحجر معلما من معالم الهداية ، يسترشد الناس به في ضلالهم ، ويفتقد الشاعر في الناس ما يراه في هذا الجماد من معان سامية ، وقيم عليا ، فيفضله على بعض بني البشر ، وفي ذلك يقـــول :

هل كنـــت قـــط مجنـــــة — من كيـــــد بـــاغ ظـــــالم ؟
وحميـــت هامـــــة مبتـــلى — وفلقـــت هامـــة غاشـــم
وجثمـــت فـــــوق عظـــامه — فصـــرخن تحـــت الجـــاثم
هل كنــــت ســـــدا فوقـــه — تكبـــو مطـــــايا القـــاحم ؟
وعلـــى المهـــــامه صـــوة — تهـــدي ضـــلال الهـــائم

ان كنــــت ذاك ، بـــــذذت في الاحســـــان خلفـــــة آدم

وفي هذا الموقف التأملي من الحجر نفاذ الى دواخل الاشياء ، واسقاط للطبائع البشرية والعلاقات الاجتماعية على عنصر من عناصر الطبيعة وهو الجماد ، والشاعر لا يأخذ

---

١ ــ د. عبد الرحمن ياغي ، حياة الادب الفلسطيني ص ٢٦٩ .

بظواهر الاشياء ولكنـــه يسعى الى الولوج في أعماقهـــا ، وتحليلها ، ولعــــل وجود الشاعر وحيدا في الصحراء الى جانب الحجر قد منحه مثل هذا التفكير ، فمـــن خــلال الصحراء بامتدادها الواسع ، والصمت الذي يملأ المكان ، تغـــدو النفس الانســانية اقـــدر على الانطلاق من عقالها ، وكأنها تمنح حسا واعيا لتـــأمل موجودات الكون ، واستشراف مكنوناتها .

ويعالج الشاعر ، في مكان اخر من شعره ، قضية المعاني والافكار حين تتوالد في ذهن الانسان فتكتمل ، فاذا ما حاول التعبير عنها بالشعر ضاعت في زحمة القصيد ، يقول من قصيدة عنوانها « مشكلة القوافي » : (١)

أرى المعنـــى بقلبـــي جـــد واف   وان أنظمـــه يصـــبح غـــير واف
فابحـــث عن بقـــاياه فألقـــــى   بقـــاياه بأســـــــنان القـــوافي

والشعور الرقيق يعـــذب الشاعر ، لانـــه مرهف الحس ، بينمـــا بنـــو عصره قساة غلاظ ، وفي تساؤله عن هذا السر معنى تأملي يقف عنده الشاعر وقفة متأنية .

ونلاحظ ان مــــواقف الشاعر نابعـــة مـــــن احساس بالســخط والغضب ، حتـــى ليصـــل بـــه تصـــــوره في كثـــير مـــن المـــرات الـــى يأس من اصـــلاح ما افســـده الناس ، ولكـــن هـــذا اليأس لا ينسحب على شعر الشاعر التـــأملي ، فنحن نعثـــر له على وقفات يدعو من خلالها الى التفاؤل والاقبال على الحياة في مـــرح وسرور ، وذلك حين تطالعنا دعوة الشاعر الى التبسم من خلال رسالة الى صـــديق ذي عبوس ، يقول عبد الرحيم في قصيدة عنوانها « تبسم » : (٢)

ان تجـــد باب الامـــاني مغلقـــا   لا تكشـــر أو تلـــم من ســـــكره
ان بـــواب الامـــــاني مـــــرح   يبغـــض اليـــأس ويخشى الكشره

فتبســـم يا عـــزيزي

ويبرهن الشاعر على جدوى البسمة ، وعبث الكشرة من خلال عرضه لاثـــــر كل منهمـــا في حياة الانسان ؛ يقـــول في ذلك :

---

١ ـــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص١٨٤

٢ ـــ انظرها في المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ وما بعدها .

يا عزيزي هـل تـرى الكشرة قد أرجعـت من فائت بعـد فوات ؟
بينمـا البسـمة أدنـت قاصـيا أو ما جـربت سحر البسـمات ؟

فتبســـــــم

هذه الدعوة الى البسمة ، هي دعوة الى التعامل الطيب مع الناس ، لتسـهيل علاقاتهم الاجتماعية ، وتحقيق مجتمع تسـوده المحبة والمؤاخاة .

ويحدد الشاعر طريقين للعيش : الضحك الجاد ، والبكاء الجاد وهمـا يرتدان في حقيقة الامر الى منهج الجـد القائم على فهم الحياة بروح متفائلة ، قوية ، وما بـين الضحك والبكاء ، والفرح والحزن ، تبـرز الانماط السلوكية داخل المجتمع الانساني، ونحن نرى شـاعرنا يرجح الطرف الايجابي للمعادلة « الجد في الضحك » ويعـده لونـا من تحـدي المصاعب ، وتخطي المصائب بـروح الفرح الصـادر عن نفـس جادة حازمة ، والانسان قادر على ان يختار طريقه بحرية تستند الى الفهم القـائم على حسن تقدير الامور وتصريفها ، يقول عبد الرحيم في القصيدة نفسها :

ان للعيـش طريقـين همـا (م) الجـد في الضحك وجد في البكـاء
لا تقـل أجبـرت في شرهمـا فلـك الخـيرة فاختـر ما تشاء

ياعـــــزيزي

ويستمر عبد الرحيم في تشريح العواطف الانسانية ، وعرض دلالاتها الاجتماعية، بصورة تدفع الانسان الى مباشرة الحياة بنفس راضية طيبة ، وروح متفائلة تنـزع دائما الى تحقيق الوضع الافضل في الحياة ، وينفذ الى تحليل طبائع البشر من خـلال فرحهم وغضبهم ، فيحمل على المتشائمين ويدعو الى تفسير الاشياء تفسيرا جميـلا ، لان الانسان صانع ظروفه فيقـول في هذا المعنى :

ثم ما سـاءك من هـذى الدنى ما الـذي رد لك الطـرف كليلا ؟!
ان دنيـاك التي تصنعهـا فسـر الاشيـاء تفسيرا جميـلا

وتبســم يا عــزيزي

واكبر الظن ان عبد الرحيم يلتفت هنا الى تفاؤلية شعراء المهجر ، والى قول « ايليا ابي ماضي » :

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الحياة شيئا جميلا (١)

ولعله ملتفت ـ ايضا ـ الى تفاؤلية استاذه « ابراهيم طوقان » الذي يقول :

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل
وانهض ولا تشك الزمان ، فما شكا الا الكسول
واسلك بهمتك السبيل ، ولا تقل كيف السبيل
ما ضل ذو امل سعى يوما وحكمته الدليل
كلا ، ولا خاب امرؤ يوما ومقصده نبيل (٢)

ويقدم عبد الرحيم محمود في موقع اخر من قصيدته السابقة صورة واقعية لتعامل الانسان مع الاخرين ، فاذا كان الناس في تقلبهم وتلونهم لا يثبتون على حال ، فبوسع الانسان الواعي أن يحسن اختيار من يحب ، واستبعاد من يكره ، دون أن يلجأ الى الانزواء والانطواء على نفسه ، فالقلب الكبير الرحب ، قادر على التجدد ومباشرة الحياة في ثقة وامل وعطاء .

ان يكن خانك الف في الهوى وتذوقت مريرا غدره
فهو اعفاك واخلى عامدا شقة في القلب اسكن غيره
وتبسم يا عزيزي

ان تفاؤلية عبد الرحيم محمود مؤشر ايجابي واضح في طريق حياته النضالية ، والاجتماعية ، يبتعد بها عن اليأس القاتل ، والقنوط الذي يهدم النفوس والعقول ، ذلك ان بوسع الانسان التعامل مع الاخرين بروح متفتحة حية ، وبقلب مستبشر ، وبوسعه تحويل ظلام حياته الى واحة للنور والسعادة ، وهو في تفاؤله لا يغرق في خياليته ، ولا يذهب بعيدا عن واقعه ، ولكنه يستمد نظرته التفاؤلية هذه من علاقاته الحياتية مع الانسان والكون ومن خلال تجاريبه ، وتعامله الصادق مع الواقع .

---

١ ـ ايليا ابو ماضي ، شاعر المهجر الاكبر ، تقديم جبران خليل جبران ، تصدير د. سامي الدهان ، دراسة زهير ميرزا ، دار اليقظة العربية ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م ، ص ٦٢٤ .

٢ ـ ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته ، ص ٢٨ وما بعدها .

الفصل الثالث

شعر عبد الرحيم محمود في الإطار الوجداني



منهـــج الشـــاعر في الغـــزل

نستطيع ونحن نتحدث عن تجربة عبد الرحيم محمود مع المرأة — ان نعـــرض للخط العريض الذي يرسم وجدانه ، ويحدد له اطار شخصيته الغزلية ، ذلك ان علاقة شاعرنا بالغزل جاءت الحاحا داخليا ، وتعبيرا عن شعور عاطفي يدفع الشاعر الـى البحث عن المرأة ، ليقـرأ فيها صور الجمال الحسي والمعنوي ، وليحقق لذة الحـب في عهـد الشـباب .

الا ان مسيرة شاعرنا مع الحب تأت بخطوط مستقيمة ومستوية دائما ، ولا هـو ارادها ان تكون كذلك ، فكثيرا ما يتمرد الشاعر على حبه ، وكثيرا ما يثور علـى صاحبته بكبرياء الفارس ، وعنفوان الشاب المترفع الذي ينكر الغدر ، ويهوى الوفاء .

لم يكن عبد الرحيم في حبه متذللا أو ضعيفا ، أو قانعـا بالقليل ، كمـا لم يـرد لحبـه أن يكـون رخيصا ، أو فاترا ، أو مشوبا بالخيانة والخديعة ، فحاول أن يكون واضحا مع من يحب ، مخلصا الى أبعـد الحدود ، وفيـا الى اخر الشوط ، وكثيرا ما كان يفتقـد صور الوفاء في صاحبتـه ، فيتـألم ويغضـب ويثور مفرغا شحنته الانفعالية في قصيدة تحمل عواطفه الصريحة والمكشوفة بدون تزوير أو تغيير .

أراد أن يكـون سيد عشقه ، كمـا أراد لصاحبته ان تكـون له دون شريك ، ومن هنا فكثيرا ما كان حبه ينتهي الى الفرقة والفشل والى القطيعة والهجران .

كمـا غلب على غزله طابع العتاب ، وظلت روح الشاعر المناضل بادية فـي أشعاره الوجدانية ، وكأنه أراد لغزله أن يكـون نظيفا طاهرا متألقـا مثل نضـاله ونفسـيته وحياته ، فافتقـد هذه الصفات في عالم المرأة ، وهو ان سكن اليهـا حينا من الدهر ، أو التذ بقـربها ونعم بلقياها والاستمتاع بهـا فترة وجيزة ، فلا يلبث أن يتعكـر صفوه ، بسبب غدرها وخيانتها وغرورها .

ومهما يكن من أمـر ، فان شاعرنا قد خاض هذه التجربة ، وعبر عـن ذاته ، بأشعار وجدانية ، رسمت نفسه ، وعبرت عن شخصيته . ونستطيع أن نرى الشاعر من خلال حديثه عـن :

١ — لذة الحب .

٢ — كبرياء الحب ولذة الخمر

١ ـ لـذة الحـب :

للحب عند العاشقين لذة ، تحلق فيها النفس الانسانية الى عوالم حالمة مـن المتعة والنشوة ، وتسبح الخواطر في واحات رحبة من الصفاء والسعادة ، ولـذة الحب تتأتى من حالات الوصل والهجران ، والنيل والحرمان ، وممـا يعتور المحب من لحظات الاستمتاع بجمال محبوبته والعيش على ذكراها .

وقد احتلت الحبيبة في قلب شاعرنا مكانا كبيرا ، فهـام بجمالها ، ووصـف حسنها ، وشكا صدها وتمنعها وغدرها ، وفي ظل هذه التوترات الوجدانية نشـأ شاعرنا رقيـق الاحساس ، مرهف المشاعر ، يهفـو قلبه الى الجمال ويتعشقه أنى رآه ، لقـد تفـانى في حبـه ، واخلص له اخلاصا كاد يوصله الى الموت ، ولا عجب، فهـو عاشق للموت في حبه وحربه ، وكثيرا ما حمل على عذاله للومهم اياه علـى حبه هذا . وشاعرنا يعجب لموقف هؤلاء العذال الذين يعمدون دائما لافساد حبه ، وانتزاعه من لحظة هيامه ونشوته فيقـول من قصيدة له بعنوان (السكر شغلي) : (١)

قالـوا سـيقتلك الغـرا	م فقلـت مالكـم وقتـلي
ان كنـت أرضى المـوت فـي	حبـي دعـوا لـومي وعـذلي
قالـوا : الا تصـحو لنفسـ	ك قلـت : ان السكر شغـلي

وهو ينتشي من ريق حبيبته ، ومن سحر نظراتها ، ولطافة دلهـا ، ومـن أجل ذلك سعى الحاسدون للتفرقة بينه وبين من أحب ، يقول عبد الرحيم :

نشـوان مـن ريـق الحبيب (م)	وسـحر الفـاظ ودل
هـم يا حبيبـي يبتغـون (م)	فراقنـا . تفـديك أهـلي

هذا الالتحام الوجداني مع الحبيبة ، علامة اخلاص ووفاء ، يتخذها شـاعرنا نهجـا له وهو يدعوها لان تبادله حبا بحب ، ووفاء بوفاء ، فيقول :

لقـد اعتصمت بحبـك حبـك (م)	فاعتصـم حبـا بحبـلي

وتبدو حيرة الشاعر حين توصد في وجهه الابـواب ، ويجتمـع عليـه اللوام ليصرفوه عن حبه ، فيعمد الى بث شكواه ، ووصف هواه ، وفي كلا الامرين لـذة

---

١ ـ الديـوان ، ص ٢٤ .

يستشعرها وهو يعاني من لوعة الحب والحرمان ، يقول عبد الرحيم :

قد سددوا العالم في وجهه ... وارحمتا للعاشق المستهام
مقطع القلب اذا لمه ... عادوا فخلوه كسيرا حطام
لم يتركوا المسكين في همه ... بل حملوه كل عبء الملام
يالائمي في الحب دعني فقد ... يزداد باللوم سعير الغرام
تريد ان تطفيء نار الجوى ... فتغرق الصب الدموع السجام (١)

وفي حالة ضعف وضياع ، ينادي الشاعر حبيبته « سلمى » لتنقذه من وضعه هذا، ولتخلصه من ظلمة سدت دربه ، انها النور المشع من عينيه ، والقلب الخفاق في صدره ، فيقول :

سلمى ـ لقد تهت ـ فهذي يدي ... سلمى ، ةقوديني عبر الظلام
انت بصيص النور في ناظري ... والخافق الثائر بين العظام

والابيات السابقة صورة وجدانية لحيرة العشاق ، واضطراب أمرهم ، كما أنها رصد نفسي للعذال الذين يفسدون على المرء عشقه ، ويزرعون الشوك في دربه .

أما سلمى التي يناديها الشاعر هنا ، فأغلب الظن انها محبوبة رمزية ، أطلق عليها هذا الاسم ليخفي شخصيتها الحقيقية .

وكثيرا ما يطلب شاعرنا المزيد من محبوبته ، فهو في غزله ملتمس ان تنظر اليه بعطف ودل ، وأن تغمره بحنان ، وأن تبسم له ، ففي ابتسامتها تكمن امانيه ، ومنها تتولد لذته ، وتعظم نشوته ، ومن هنا نسمع صوته المليء بالرغبة في تحقيق ملذاته الحسية ، وهو يقول : (٢)

انظري لي واجعلي العطف يسل من نظراتك
واغمزيني فلقد طال انتظاري غمزاتك
وابسمي لي يا حياتي فالمنى في بسماتك

---

١ ـ الديوان ، ص ٣٥ ، انظر قصيدته (لقد تهت).
٢ ـ الديوان ، ص ٣١ ، انظر قصيدته (يا حياتي).

وهو حريص على أن تظل قريبة منه ، ليمتع بهـــا حسه .

ودعـــي صدي ، فما كالصد بالعشاق فاتك
لا تناسيني فانســـى بالهوى من ذكرياتـــك

هذه الرغبة الملحة في الحصول على مكاسب عديدة من الحبيبة مصدرها الحرمان الذي يعـــانيه شاعرنا .

ولنا وقفة مع الشاعر في كبريائه ، وعفته ، وعناده ، حين تنأى عنه المحبـــوبة وتغدر بــــه فيعافها ويتمرد عليها ، الا اننـــا نعثر له على مواقف توسل وتــــودد ، يتحرق فيهـــا أمام حبيبته في محاولة للاعتذار ، والتكفير عن ذنوبه ، ليعود اليهـــا ، وينعـــم بلقيـــاها :

افرضيني آدمـــا أخطـــأت لكني أتـــوب
قد تعذبت فأيـــان لفردوســـــي أؤوب
أو ترضـــين لقلبـــي يتقـــلى ويلـــوب ؟
وشبابي بهيـــامي ، ذيك يذوي ويذوب ؟

هذا بوح شعري رقيــــــــق ، واعتراف بالذنب ، لكـــن الالحــــــــــاح في طلب الحبيبة يبقى في اطـــار النظرة باعتبارها مفتاح القلب ، فعبد الرحيم شـــــديد الاعجاب بالعيـــون لما تحمله من جمال . العينـــان مدخل لاستكنـــاه النفـــــس ، واستكشاف خبايا الذات ، وهمـــا عنده حياة وموت ، جنة ونـــار ، يقـــول عبدالرحيم مشـــيرا الـــى ذلك في قصيدة « يا حياتي » :

انظـــري لي واتركينــــــي اجتلـــي ســـر الفتـــون
يالعينيــــك ويالــــــي بهمـــا جـــن جنـــوني
فيهمـــا ما لم يكـــن هـــاروت يـــدري مـــن فنـــون
انظـــري لـــي واغـــرزي الاهـــداب في قلبـــي الطعـــين
اذبحينـــي بلحـــاظ وادفنينـــــــي في الجفــــــون

ان استمتاع شاعرنا بجمال العيون جعله يغرق في لذة التأمل ونشوة الاعجاب الى هذا الحد الذي رأينـــاه ، فهمـــا سر افتتانه وجنونه ، وموطن فنـــونه ، لا يبالي ان

سقط قتيل العينين ، او قضى مذبوحا بسحر النظرات ، والموت في ظل الجفون حب يطلبها الشاعر ويحرص عليها .

ونجد لشاعرنا أبياتا اخرى يتحدث فيها عن غزالته الجميلة ، فيصف حدقه الفتان ، ويرسم صورة طريفة للاحورار والكحل حتى تفوق الريم ، وفي ذلك يجد الشاعر نشوة يذيبها في هذه الكلمات :

يا غزالا صدني ما أجملك !	مبدع الاكوان ربي عدلك
فيك معنى كل حسن رائع	عرف الجنة من قد قبلك
هذه الريم فسلها هل لها	مقل حوراء تحكي مقلك ؟
هي من جنسك ـ طبعا ـ انما	كحلها ليس يضاهي كحلك (١)

ان افتتان الشاعر بجمال العيون أمر طبيعي ، فهي أجمل ما في الوجوه ، وادل على شخصية المرء ، وقد تفنن القدامى والمحدثون في تصوير جمال العيون وذهبوا في الحديث عن اثرها في العشاق كل مذهب ، ونذكر هنا على سبيل المثال أبيات « جرير » المشهورة في العيون :

ان العيون التي في طرفها حور	قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به	وهن اضعف خلق الله أركانا (٢)

وشاعرنا حساس للجمال ، يتفاعل معه ، ويلتذ في تذوقه والسفر في رحابه ، وكثيرا ما كان يرتجل بعض القصائد القصيرة يعبر فيها عن حبه وغزله ، ويصف فيها سحر العيون وأثرها في قلوب الناظرين يقول : (٣)

أودى بقلبي خدك المتورد	وسهام لحظك للقلوب تسدد
هاروت أنت رسوله لعباده	ورسالة العينين ليست تفـ ـ

وأغلب الظن ان شاعرنا لم يقصر حبه على امرأة بعينها ، فلذة حبه تدفعه لان

---

١ ـ انظر ملحق البحث .

٢ ـ ديوان جرير ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ، ص ٩٤٢ .

٣ ـ نشرة مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٣٩ .

ينتقل بقلبه النازف دائما من موطن الى اخر ، ومن حبيبة الى اخرى ، سمعناه يتحدث عن سلمى مرة ، وها هو ذا يتغزل ثانية في ممرضة لبنانية كانت تعمل في مستشفى بمدينة نابلس ، فيهديها شاعرنا دمية من شمع ، ويكتب لها أبياتا شعرية تحمل اسم « لعبة » (1) ، يقول فيها :

لعبة تهدى للعبة	من فتى يكتم حبه
انت لو ترضين شيئا	غيرها أعطاك قلبه
فاذكريه فهو قد أشغل في ذكراك قلبه	
ربما ساءك ما قلت	فجاوبت بغضبه
ان تشائي فهو صدق	أو تشائي فهو كذبه

وتظهر في الابيات رهافة حس الشاعر ، وطرافة موضوعة ، وصدقه العاطفي في رصد وجدانه ، والتعبير عن خلجات نفسه ازاء موقف من مواقف الغرام ، ولا ندري فربما كانت مجاملة لمعروف اسدته اليه هذه المرضة ، فقام يكافئها بالدمية والشعر .

ولعل الدارس لغزل عبد الرحيم تطالعه رغبة شاعرنا القوية في تقصي الجمال وتتبعه والالتذاذ به ، كما يحس القارىء بصدق شاعرنا وتفانيه في حبه ، الذي اعتاد أن ينكر على صاحباته صدهن وهجرهن وغدرهن ، كما أنه يترجح في مواقفه الغرامية ما بين الكبرياء والترفع والعناد مرة ، والتوسل والتلذذ والبوح العاطفي الرقيق مرة اخرى .

وهو لا يخدش في غزله حياء صاحبته ، ويندر أن يفحش لها القول ، بل يبقى في دائرة الذوق والاحتشام ، حرصا منه على مكانتها ، ورعيا للعادات والقيم التي تحكم المجتمعات العربية المحافظة .

وكثيرا ما تضوع في غزلياته رائحة العتاب المر ، والشكوى اللاذعة فتتصاعد منها تباريح الشوق ، ومرارة الحرمان ، فيحسسنا بالالم يموج في ثنايا أبياته . ففي حوار

---

١ ـ الديوان ، ص ٣٣ .

شعري يعقده شاعرنا بينه وبين قلبه عن فتاة مسيحية ـ فيما يبدو ـ يحاول عبد الرحيم أن يقنع قلبه بالابتعاد عنها ، لانها كافرة ومتقلبة متناقضة ، لا يقر لها قرار ، ولا تهدأ على حال ، لكن قلبه المتيم لا ير عوي عن مواصلة عشقها ، ويصر عليها لانها زهرة ناضرة ، وكل ما فيها جميل مليح ، وهو يدرك ان القلب اذا ما عصفت في حناياه رياح الحب ، لا ينظر الى دين أو جنس أو عرق ، يقول في قصيدة « بيني وبين قلبي » : (١)

قلت لقلبي انها كافرة	تعبد يا قلب صليب المسيح
في حمأة من شرها سادره	تطيع من ضل وتعصي النصيح
وقلبها كالريشة الحائرة	تنأى على ريح وتدنو بريح
تبيع للسائح كالتاجره	وتنثني تطلب بيع البريح
فقال : هذي حجة قاصرة	ليس بها يشفي المعنى الجريح
بل هي عندي زهرة ناضرة	وكل مافيها جميل مليح

لم يهتد القلب ولم يسمع

ان حوار الشاعر مع قلبه ، ضرب جديد من غزله ، استطاع ان يرسم به صورة نفسية لعشقه ، كما تمكن الشاعر من أن يلج الى نفسه ونفس من احب ، وان يعرضهما في هذا القالب الشعري ، في حين تظل المتعة الحسية العارمة وراء هذه المحاورة .

الا ان الشكوك تفرد ظلها على تجربته الغزلية هذه ، فيرى صاحبته انسانة لعوبا ، تحسن تصيد الرجال ، والعبث بقلوبهم ، ومع ذلك يهفو قلبه اليها ويمعن في حبها ، فيقول : (٢)

وقلت لكن زهرة شمها	قبلك يا قلب كثير العدد
يا رب ذي وجد لقد ضمها	فارتاح بالضمة مما وجد

---

١ ، ٢ ــ الامالي البيرونية ، السنة الاولى ، عدد ٨ ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٥/٢٣٢ ، وانظر الملحق .

أولــت لــه في صـبوة جسمها ونولــت ما لم ينــول أحـــد
حتــى اذا ما أفــرغت شمهــا تتركــه يشــقى شــقاء الابــد
شيطانة قــد شــابهت أمهـــا يابئســـت الام وبئس الـــولد
قالت وان هــولت لــي ذمهـــا « فحسن في العــين ما قد تــود »
لم يهتــد القلــب ولم يسمع

وينطلق الغزل على لسان عبد الرحيم ، فيكشف عن رهافة في الحس ، وجمـال في التصوير ، وعذوبة في الكلمة ، فحين يكتب قصيدته « جيش الحبائب » يرقى الـى مستوى الشعراء الكبــار ، فيختار الشاعر جيشه من الحسان اللواتي ســحره جمالهن ، ويمضي في عرض صفات هذا الجيش الغريب وما يتميز به من عناصر الحس والاثارة والجاذبية ، والفتك ، فيقــول : (١)

حــي الظبــاء الباديات كواكبــا المورثــات العــاشقين مصــائبا
المحــرقات بنـــارهن قلوبنـــا والاخذات من اللحــاظ قواضــبا
والســـارقات من الرياض لذاتها ورضــا بها وشذا الورود الساكبا

ان افتتان شــاعرنا بالحسان ، منحه نفــاذا الى اعماقهن ، فرسم لهــن أوضاعا موحية من التسلط التام على قلــوب الرجال ، وهو عندما ينتقل الى تفصيل صورة هذا الجيش في زحفه وتقــدمه ، فانــه يستعير لذلك مصطلحات حربية في محاولــة لاسقاطها على العنصر النسائي ، ويبرز سلاحهن القادر على حرب الرجال ، وهــو سلاح انثوي يقــوم على استخدام الجمــال ، وابراز الفتنة :

أقبلن أســرابا كأسراب المهـــا متقسمـــات للقتـــال كتـــائبا
أعــددن للحــرب العوان ضــفا ئر الشعر الجثيل لقيدنا وذوائبــا
وتخذن في حرب الرجال سلاحهن (م) خدالجـــا وروافــدا وحواجبـــا
الله أكبــر قد قســمن صفوفهن (م) طوالعـــا وأواســطا وجــــوانبا
ورســـمن خطة كرهــن وما فطــن لفرهن ومـــا حـــذرن عواقبـــا

---

١ ــ المرجع السابق ، العدد التاسع ، ص ٢٧٩/٩ ، وانظر الملحق .

أرأيت إلى شاعرنا كيف يعمد الى تحليل نفـوس النساء ليكشف عن طبائعهن ، وليرسم لنـا صـورا بالحياة والحركة يعززها اختصاص النســاء بأساليب الاغراء والسحر والجاذبية ؟ ممـا يقـود الرجال الى السقوط في شراكهن ، وهنــا يعلن الشاعر عن انتصارهن وتفوقهن في هذه الحرب فيقـول في القصيدة نفسها :

الله ها ســمر القنا مالــت وأضحى القلب في تقبيلهن الراغبا

ومددت عنقي للقواضب كي تحز (م) ولسـت فيهـا خائفـا أو راهبا

وفتحت في الهيجـاء قلبي للواحظ (م) مطلقـات فيـه ســهما صائبا

ويعلن الشاعر توبته بعـد اعـلان استسلامه في نهـاية هذه المعركة التي أدت الى هزيمته ، ويشيـد بجيش الحبائب هذا ، ويعجب به ، لانه جيش قوامه المهــا والكواعب ، وهـو قادر على أن يفتتح بـه البـلاد من أقصاها الى أدناها لنفـاذ سطوته ، وشـدة جاذبيتـه :

رحمـاك يا جيـش الحبائب قد رفعت الراية البيضا وجئتـك تائبـا

لـم تنظـر العينـان جنـدا مثل جنـدك من رأى جنـدا مهـا وكواعبا

أواه لو لي مثـل جيشـك كنت أفتتـح البـلاد مشـارقا ومغاربـا

وبعد ، فقد جـاء غزل عبد الرحيم صورة عن طبيعة هـذا الشاعر ، كمـا أنه صورة للحياة التي عاشها ، عبر فيه عن خلجات نفسه ، وعن صدى علاقاته مـع من أحب ، واستطاع ان يحدد الملامح النفسية للمرأة كمـا رآها بنـاء على تعامله معها ، وان يصور العاشق من خلال نفسه ، وهي صورة لونتهـا عناصر الكبرياء والانفـة والاباء ، وان تخللتهـا بعض المواقف الغرامية الشاهدة على تذلله لصاحبته وتـودده لهـا في حالات الاستسلام والرضا .

وقد تميزت غزلياته بالرقة والعذوبة وبساطة التعبير ، فابتعد عـن التعقيد والاغراب والتكلف ، الا أنـه كان مقـلا في هذا المجال كما هو الشأن في اجتمـاعياته وانسانياته ولعل ذلك عائد الى طبيعة المرحلة التي أخضعت البلاد لاجـواء نضالية ، وظروف سياسية دفعت الشعراء ـ ولا سيما عبد الرحيم محمود ـ الى المشـاركات النضالية بالقلم والبندقية ، فأصبح الهم الوطني هو القاسم المشترك الاعظم لحياتهم ،

وان ظل الغزل واحة يرتادها الشـــعراء في حالات الصفاء الوجداني ، والبوح العاطفي في حين تفــوق بعض شعراء فلسطين في هذه المرحلة في اللون الغزلي كابراهيم طوقان الذي عد فارس الغزل في هذه الاونة بالاضافة الى تفوقه في مضمار الشعر الوطني .

ومع ذلك نحس ونحن نقــرأ شــعر عبد الرحيم محمود الوجداني اننـــا أمام شاعر عذب الشاعرية ، مرهف الحس ، صافي الوجدان ، ولكنه مع ذلك لم يصـــل بشعره الغزلي الى مستوى شعراء الغزل الكبـــار أولئك الذين قصروا معظم همهم عليه ، فأكثروا فيـــه القـــول حتى مهروا فيه شكلا ومضمونا .

هذا من الناحية العامة ، لكـــن لعبد الرحيم خصيصة في الغزل والعشق جعلته يتمرد على المراة حين نأت عنه واعرضت ، مما ندرسه فيما يلي :

٢ ـــ كبـــرياء الحـــب :

عشق شاعرنا المراة ، وجاء شعره نفســـا صادقا من روحه الحســـــــاسة وعواطفه الحـــارة .

واذا كنـــا قد عرفنـــا عبد الرحيم شاعرا ومناضلا ، عشق الارض ، لانها وطنه ، وحن اليهـــا في غربته ، ثم عاد في النهـــاية ليسقط على اديمها شهيدا ، فاننا نراه الان مستجيبا لدواعي قلبه ، باحثا عن الجمال ، متعشقا ضروبه ، نحس بذلك ونحن نقف له على قصائد وجدانية تصور طبيعة الشاعر الغزلة ، وترسم خطه العاطفي . واذا كانت ثمة أمارات تشعر القارىء بفشل الشاعر في حبه ، فهـــي على أية حال معـــالم تدلنـــا على الطريق التي نهجهـــا شاعرنا في غزلياته .

عشق عبد الرحيم الفتاة التي حملت قدسية هذه الارض التي نذر حياته من أجلها ، لذا جـــاء عشقه ساخنا وصادقا ، نقيـــا ومتوهجا ، استطاع ان يمارس من خـــلاله كبرياءه وانفتـــه ، وان يبقي على ماء وجهه مصونا امـــام ترفع الحبيبة ودلها ، فنراه في كثير من مواقفه الغزلية رافضا لاشكال الاسر والتسلط حتى لو كانت من حبيبتـــه التـــي وقف عليهـــا حبه .

والقارىء لشعر عبد الرحيم محمود يدرك روح الرفض والكبرياء والترفع تتسلل من خلال شعره ، فهـــو يهـــدد بأن يدوس أحاسيسه ، وان يسحق قلبه ، اذا أدى به

حبه الى اهدار كرامته على اقــدام صاحبته ، لانه لا يرضى لقلبه الثائر ان يذل أو يهون في موقف غزل ، ولا يقبل لنفسه المتمردة أن تذعن لاوامر المرأة ، أو أن تدخــل مدجنة العشيقة ، فهــو يثور عليها حين تغــدر به ويطلب اليهــا أن تخلي بينهــا وبينه، لانها اثارت اساه ، وجرحت قلبه الدامي فهــو يزجرها بقوله : (١)

دعينيفقد ايقظتبي كامن الاسى	وهجت جراح الحب في قلبي الدامي
غدرت وجئت الان تستغفرينني	لنقضك عهد الحب من بعــد ابرام
دعيني :ـلا قلبي عليك بعــاطف	حنانا ولا دمعــي لدى فرقة هــام

فالشاعر ــ كما راينــا ــ غير نادم على صاحبته ، لانهــا نقضت عهــــده ، وخانت حبه ، وهــو كاره للغــدر والخيانة ، حتــى لو جاءت ممن احبها واخلص لها.

ويعترف عبد الرحيم بتأثيرها عليه في يوم ما ، حين سلبته عقله ، وملكت عليــه قلبه ، لكنــه يثــوب الى رشــده في موقف عقلاني ، فيحس بالالم والنقمة عليها ، ويلج في عتابها بعــد ان اهتدى في النهاية الى طريق الصواب :

لقد ضل عقلي فيــك يوما وها انا	عرفت سبيل الحب من بعد تهيامي
ربيت على روحي ، نعم، وعلى دمي	ولكن ســدى ضاعت بحبك أيامي

هذا الندم الواخز في قلب الشاعر يمتزج بالغضب العاتب حين يتذكر اعراضــه عن كلام العذال ولوم اللوام ، فليته استجاب لهم ، وتنكر لهــا منذ البداية ، قبل أن تتمادى في غدرها وخيانتها ، لكن انى له ذلك ؟ ، وعاطفة المحبين تسبق عقلهم ، واخضاع الحب لسلطان العقل امر خارج عن مملكة العشاق . والشاعر صادق في حبه يحــلم بالمستقبل الجميل ويبني أمانيه على قاعدة هذا الحب ، فتأتي صاحبته وتهدم كل ما بنى وتطمس على قلبه ، يقــول عبد الرحيم في عتاب مر ، وندم ظاهر :

فياليتني من قبــل صــدقت عذلي	وطــاوعت في بدء الملامة لــوامي
بنيــت واعليــت الاماني ضــلة	فهدمت لي بالغدر شامخ احلامي
طمست علي قلبي فلا اسمك فوقه	يعيش ولا زهو الهوى فوقه نــام

---

١ ــ الديوان ، انظر قصيدة « اليها » ، ص ٣٠ .

هذه الغادرة آلمت قلبه بخيانتها وصدها ، وخير له أن يثأر لقلبه المحطم بأن يسحق قلبها تحت أقدامه جزاء ظلمها وقسوتها ، فيقول لها :

وقلبك هذا يالقلبك غادرا	سأسحقه ثأرا لقلبي بأقدامي
فذوقي الذي قد ذقت أنت ظلمتني	بحبي وآمالي ولست بظلام

هذه النغمة الثائرة العنيفة في شعر الحب ، لمسناها تتردد كذلك عنده في شعر الحرب ، فعبد الرحيم رافض للغدر والخيانة ، متمرد على الاهانة والذل لان نفسه الابية ما عرفت الخضوع قط ، ولا استمرأت الهوان .

وكثيرا ما تنتهي قصة شاعرنا مع صاحبته بالخصام والهجر ، وكثيرا ما تحل القطيعة محل الوئام ، لكنه قادر على التحكم بقلبه ، فيطلب اليها أن :

روحي قد راح الذي بيننا	كالبارح السالف ما ان يعود
روحي ولا تأسي على حالتي	وانسي مواثيقي ، وخوني العهود
لا تحملي من ذكر عهد الهوى	ان الهوى صعب ، وحمل يؤود (١)

و فيكلمة « روحي » التي يكررها الشاعر في قصيدته هذه اكثر من عشر مرات دلالات :

- فهي علامة زجر ورفض ، وشاهدة على تخليه عنها .
- وهي مستوحاة من النمط الشعبي ، فهي كلمة تكرر عندما يعاف المرء انسانا فيطلب اليه الابتعاد .
- وهي علامة فارقة للنهاية الفاشلة التي يؤول اليها حبه في كثير من المرات .

ويعود الشاعر ليعزف على وتره المقطوع نغمة حزن وشكوى في حالة عتاب مر ، فاذا كانت حبيبته هذه قد أضرت به ، وادمنت اذلال دمعه ، وجرحت قلبه ، وسلبته

---

١ ــ الديوان ، انظر قصيدته « روحي » ص ٣٢ .

لبه ، فانــه يتماسك من جديد ، بعــد ان عرف قلــة وفائهــا ، وعــــــــدم التــزامها . يعــود شـــــاعرنا فيكفكف دمعــــه ، ويلملــم جـــــــراحات قلبــه ، ويطفــىء ما اشــتعل من نــار الهــوى بــين احشــائه ليســترد فـــي النهــاية عقله السليب ، يــوم اضاعه في حبهــا ، ومــا كان ليرجو استرداده من بعد:

دمعــي الــذي أذللت كفكفتــه	أواه كــم أذللت لــي من دمــوع
وجــرح هــذا القلــب لممتــه	وأطفــيء المحــرق بين الضلوع
وعقـــلي الهـــائم ارجعتــه	ولــم اكــن آمــل منــه الرجوع

روحــــــي

وفي موقف الشاعر السابق تحد وعزاء ، علــى الرغم من اعترافه بأنهــا ملكت عليه قلبه ، وذللت دمعه اكثر من مرة ، وهو يعزي نفسه بعــد ان قطعت حبل وده ، والشاعر لا يني عن زجرها وردها ، لانهــا اشركت غيره في حبهــا ، ومع زجــره وردعه انانية ، والانانية في الحب مستحبة . ان غيرته عليهــا تدفعــه الى طلب التفرد في حبهــا والاستئثار بهــا ، والابقــاء عليها بعيدة عن الانظار ، حتى لو كــان الامر من ابيها ، حين تخصه بنظرة من نظراتها ، يقول عبد الرحيم في قصيدة «روحي» السابقة:

روحي فما الاشراك من مذهبــي	ولست أرضــى في حبيبي الشريك
أنــا « اناني » ولــــم ارض ان	أرى على قلبــك غــيري مليــك
أبـــوك لو أوليتــه نظــــرة	كرهــت دنيــاك ودنيـــا أبيك

روحـــــي

واذا كانت الغيرة قد وصلت بالشاعر الى هذا الحــد من الحرص عليهــا ، فان شاعرة اندلسية ، كحفصة بنت الحاج الركونية ، قــد أكلتها الغيرة على حبيبها ، حتى وصلت بهــا الى درجة كبيرة حين خافت عليه من عيون الرقباء ، ومن زمانه ومكانه وتمنت ان تسكنه في عينيها حتى يوم القيامه ، لكيلا يضيع منها ، تقول في هذا المعنى :

أغـار عليك من عينـي رقيب ومنـك ومن زمـانك والمكـان
ولو أنـي وضـعتك في عيـوني الـى يـوم القيـامة ما كفـاني (١)

وداس الشاعر قلبها وسحقه بأقدامه وهـو يقـول :

وقلبك هـذا يا لقلبك غـادرا سـأسحقه ثأرا لقلبي بأقدامي (٢)

ومرة اخرى يدوس الشاعر قلبه ، ويحطمه ويحرقه بالنـار ان عـاود حبهـا ، لانه قـد نزع منه كل اثر للحب ، وحرمه الرجوع الى الماضي الطافح بالالم والعذاب ، يقـول الشاعر :

نزعـت من قلبـي نبـات الهوى وتحـت اقـدامي لقـد دسـته
وخفت من قلبـي ضلال الهـوى ورجعـة الماضي فحطمتـه
ان عـاد قلبي للـذي قد مضى أتيـت بالنـار وأشـعاته
روحـي (٣)

أرأيت الى العنف كيف يصل بالشاعر الى هذا الحد ؟ انه شيء من عنف المقاتل ، يتكلم بلغـة النار حين يغضب ، ويستعمل الكلمة سلاحا قاطعا حين يثور ، هكذا هو في وطنياته كما في غزلياته ، الروح نفسها تنسحب على معظم شعره ، ويبدو أن صاحبته ما كانت لتخلص له في حبهـا فهي كثيرا ما تغدر وتخون ، فيتألم ويغضب حتى تتحول كلماته الى نوع من الشتم والسباب ، وهو هنـا يقف موقف الضعيف العاجز لفشـله في امتـلاك قلبهـا واجتذابهـا اليه فقـام يدعو عليها طالبا لها التهلكة ، يقـول في موقف غضـب :

اذا تلاقينـا فلا تنظـري أرى وميـض الغـدر في ناظريك
ولا تشـيري لي ولا تومئـي وددت لـو تقطـع كلتـا يديـك
روحـي لقـد راح الذي بيننـا ولعنـة الحب وقلبـي عليـك
روحـي (٤)

---

١ ـ د. مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسي ، ص ٢٠١ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧١ .

٢ ـ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٩٨ .

٣ ، ٤ ـ المرجع السابق ، ص ٢٠١ وما بعدها .

ويحمل الحب لدى شاعرنا صوتا مأساويا ، فهو ينتهي الى الفشل العاطفي في كثير من تجاريبه الوجدانية ، ولكنه يعمد قبل ذلــك الى تعنيفها وتوبيخها فهــي التي ملأت حياته يأسا وعذابا وألمــا ، وخير له أن يصــرف قلبه عنهـــا حتى لا يجــدد صور الماضي بأســاه وأحزانه ، فيواصل لومه قائــلا :

روحــي ، شــبابي انت أيأسته	من أمــل زاك رجــاه الشــباب
لا تذكـــري الماضي .. ماذا بــه	هل ذقــت في حبك الا العــذاب ؟
كتــاب ماضـــيك أسى كلــه	لا تقــرئي منــه بل اطوى الكتاب

روحـــــــي

وبعد ، فهــل نجــزم بفشل الشاعر في حبه دائمــا ؟ ألأنهــا القسوة مع مــن يحب ؟ أم لانه كــان ذا كبرياء تأبى عليــه ان يهــون أمام حبه ؟ ، وان يحني الهامة اذلالا واعترافا بسلطان حبيبة غادرة ؟ .

اننــا لم نعثر بعــد على موقف يرتاح اليــه الشاعر مع من يحب أو يشــعر بانتصاره في تجاريبه االعاطفية ، كلهــا مشاهد تنتهي باسدال ستارة النهاية الحزينة .

ويمر الشاعر في علاقته مع صاحبته بمرحلتين : يبــدؤها بمسايرة محبوبتـــــه ومداراتها ، حيث يعقــد على هذا الحب أمــلا ، فيمنحها صافي حبه ، ثم لا يلبث أن يحس بالخديعة والغدر تتسللان منها ، حين تقلب له ظهر المجن ، عندها يدرك الشاعر خطأه ، ويلتقط أنفاسه ، ويتماسك ، بعــد ان تلتئم جراحه ، فيحمل عليهــا فــي هجوم صارم لا يرحم به حتى نفسه وقلبه .

نقرأ قصيدته « كبرياء الحب » (١) ، فنواجه موقف تهــديد وتعنيف يبـــــدؤه شــاعرنا بقــوله :

اسمعي يا من لقد خنــت الهــوى	ونسيت أو تناسيت الـــودادا
ان قلبــا بالجــوى أحرقتـــه	ســوف أذروه بعينيــك رمــادا!

١ ــ الديــوان ، ص ٤٢ .

انه ينـــدم على خضوعه لها ، لـــذا فهـــو عازم على اقتـــلاع قلبه من صدره ، ان لج في عنـــاده وحن اليهـــا ، انهـــا كبرياء الحب حقـــا ، وهي العزة التي ترفعه عن التذلل والخضوع لمن احب ، وما ذلك الا صدى لفروسيته التي عرفناها في ثورته ونضاله ، يقـــول عبد الرحيم :

وخضوعا كـــان بي فيمـــا مضى سيصـــير الان كبـــرا وعنـــــادا

واذا حـــن فـــــؤادي للقـــــــا فسأجتث مـــن الصــــدر الفـــؤادا

لا يريد الماضي ، فهـــو اسود ، مليء بالنفـــاق والخديعة ، وأظنـــــه يتحدث باحســـاس العـــاقل لا باحســـاس العاشـــق ، استمع اليـــه وهو يواجههـــا بكلمـــــات زجر وتعنيف وقســـــوة ، تتلخــــص في (اســــمعي ودعـــــي ، وصـــــعري خـــدك ، وخـــــذي غـــيري ، واهجرينــــي ، وابتعـــــدي عني) ، فالشاعر في حالة من الغضب ، لا تؤهله لان يعيـــد النظـــر في علاقتـــــه معهـــا ، ولكنـــه حازم في اتخـــاذ قراره ، وتنفيذ حكمه ، وكأني به يبرم مع صاحبته معـــاهدة رسمية ، اذا نقضتها فار وثار ، واقسم الا يعـــود اليها ، وقـــد تكون صاحبته غادرة فعـــلا ، أو قد تكـــون قطعته مرة ، وهجرته مرات ، وأشركت في حبه غيره ، لكن مـــن طبيعة العشاق أن يغتفروا الزلات ويكفروا الخطيئات ، فمعاملة الند للند في مملكــــة الحب تولد كثيرا من المتاعب والخصومات ، وسيخرج منهـــا المحب بالتالي خـــــاوي الوفاض الا من النـــدم والخسارة .

ويبدو أن حرص الشاعر على موقفه الثابت من صاحبته المتمثل في الكبـــــرياء والاباء ، قد منعه من أن يذل أو يهـــون . ومهمـــا يكن من أمر شاعرنا ، فانـــه راغب هذه المرة عن صاحبته ، مصمم على نسيان الماضي أو تناسيه ، وعلى الاستغناء عنها ، لانها جلبت له المتاعب والالام ، وتركته في وضع يعاف فيه كل ما يذكره بها ، وعلى الرغم من هذه المواقف الغرامية فالشاعر يستعين بالطبيعة ليمحو صور الحبالتي رسمتها الازهار في تبسمها والاطيار في تغنيها والليل في سره وظلمته ، ويطلب الى صاحبته ان تهجره ليهجرها وأن تنساه لينساها وليزيل من ذاكرته ذكراها ، يقول عبد الرحيم :

اسمعي لا تذكري المــاضي فــلا رجـــع الماضي ولا البارح عـــادا

ودعي لا تقــرئي من صـــفحة قد جعلنـــا ابيض الماضي سوادا

لا الازاهـــير تبســـمن لنـــــا وتشـــاذين ولا الميـــاد عــــادا

وطيــور الروض لا غنـــت ولا ســـتر الليـــل علينا حين ســـادا

لا تعـــانقنـــا غراما مـــــــرة وتراشـــفنا مـــن الريق الشهادا

اغضضـــي أو صعري خـــدك لي وخذي غـــيري عشـــاقا جـــدادا

واهجــريني وابعـــدي عني فلا أرهب الهجر ، ولا أخشى البعادا

وتناســـي كيف شـــدنا عشـــنا قد هدمنـــا ما بنـــى الحب وشادا

وسأنســـاك ولا أتـــرك فـــي ذكرياتـــي لك ذكـــرا مســـتعادا

ومع ان الشاعر ينفي الماضي في محاولة لالغائه ، فماضيه مع محبوبته ســـاطع بالبهجة والسرور لم يخل من وصال وضم وعناق ورشف رضاب ، والا ما معنى قوله : لا تذكري الماضي ، قـــد جعلنا أبيض الماضي سوادا ولا الازاهير تبسمن لنـــا ، وطيور الروض لا غنت ، ولا تعانقنـــا غراما مرة ، ولا تراشفنا من الريق الشهادا ؟!

ولعل الحساسة الزائدة في شخصية عبد الرحيم ونشأته القروية في ريف فلسطين قد منحتاه مثل هذه الروح ، التـــي لم تتعـــود الاذعان أو الخضوع .

و في مواقف «درامية» يتخللهـــا الحـــوار ، يقتـــرب شـــاعرنا مـــــن عمر بن ابي ربيعة الشاعر الاموي الغزل ، وهو يحاور محبوبته ، وهنا يلخص عبد الرحيم موقفه من صاحبته بشكل واضح يحمل روح الرفض والكبرياء فيقـــول من قصيدة له بعنوان « مخلوقة انت فلا تكبري » : (١)

خالتنـــي الميت من صـــــــــدها والعـــائش الدهـــر معنـــى عليل

قالت : قتيلي أنت ، قلت : اعلمي أن قد صحا الساهي وعاد القتيل

ملت الى غيري ، وانـــي امرؤ ان مـــالت الروح عنهـــا أميـــل

---

١ ــ الديـــوان ، ص ٤٣ .

ولعل البيت الثالث يمثل خط الشاعر في علاقاته الوجدانية مع صاحبته ، لانه يقابل الصد بصد مثله ، والوصل بوصل مثله . ويستمر الشاعر في موقفه الحواري ، وغزله العتابي الذي طبع معظم شعره العاطفي ، فيقول :

قالت : فسحري لم يزل فاعلا — قلت : فهاتي لي عليه الدليل
مخلوقة أنت فلا تكبري — مثلك بين الناس الف مثيل

وتتكرر المعاني عند الشاعر في غزلياته : المواقف تتشابه ، وكأنها أبيات من قصيدة عتاب واحدة طويلة ، أو هي فصول « درامية » من مسرحية « تراجيدية » .
استمع اليه وهو يعتلي عرش كبريائه بترفع من خلال رده عليها ، وردها عليه ، كل منهما يهدد الاخر ، وكأنهما خصمان يتنافسان في حلبة سباق :

قالت : اذا رحت فلا عودة — أما تشكيت النوى والصدود ؟!
قلت : ومن يخلص من قيده — أينثني يطلب ذل القيود ؟!

وفي هذا حسن تعليل للتخلص من حبها ..

نجوت من نار فلا تحسبي — أني الى النار حياتي أعود
قالت : اتنسي ؟ قلت : لم لا وقد — نسيت ميثاقي وخنت العهود

ويهددها الشاعر بأن يحب من هي أوفى في حبها له منها ، فلعل ذلك قد يترك في نفسها شيئا من الغيرة فيقول :

غدا أرى غيرك لي وافيا — وأبدل الحب بحب جديد

والوفاء عند الشاعر هو جوهر حبه ، والاخلاص روحه ، يقول في ذلك :

أخلصتك الود وجازيتني — بالغدر ما أظلم هذا الجزاء !
واذ بأحلامي التي شدتها — تنهار من فوقي وتغدو هباء

ولا ييأس الشاعر على الرغم من انهيار أحلامه وسقوطها ، انه مصمم على اعادة بنائها بصورة اكثر رسوخا وشموخا فيقول :

لكن سأبنيها فلا تشمتي   نعم سأبنيها وأعلي البناء
مثلي كما قلت رجال ولا   يدركهم حصر ، كذاك النساء

ويهددها الشاعر بأن يختار واحدة غيرها ، فالارض فيها النساء ، وقد يجد من بينهن من تبادله وفاء بوفاء ، وحبا بحب ، فتنسيه ماضي أحلامه ، ومرارة ندمه، ويكمل الحوار الشعري ، فيعمد الى اغاظة صاحبته ، باستحضار غيرها فيقول :

سأنتقي من بينهن التي   أهوى فأوليها شديد الوفاء
مخلوقة انت فلا تكبري

قالت الا تقطعن وصلنا   فتحرق الروح بنار الندم
قلت : دعي هذا فاني غدا   أنسى بقربي من سواك الالم
قالت : وان عدت لنا صاغرا   من بعدها قلت : فهذا قسم
قالت : وتهوى بعدنا غيرنا   قلت : نعم اهوى وأهوى نعم
فطمت قلبي عن هواك الذي   أرضعته قدما وعنه انفطم (١)
مخلوقة انت فلا تكبري

واذا كان شاعرنا قد لاقى من صاحبته نقضا للمواثيق ، وخيانة لعهود الهوى فهذه صاحبة ابراهيم طوقان « ليلى الصفوري أو ماري الصفوري » تشكو هي من عذاب

---

١ ــ وجدت هذه الابيات الستة في الامالي البيروتية ، العدد السادس ، سنة ١٩٣٨م ، ص ٢٢ ، وهي من قصيدة بعنوان « مخلوقة انت » في حين لم ترد هذه الابيات في بقية المراجع التي ذكرتها مثل : الديوان ، وديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، بيروت،وكذلك نشرة مكتبة بلدية نابلس العامة . وبذا يبلغ عدد ابيات هذه القصيدة عشرين بيتا .

حبه ، لانــــه اشعل في قلبها نار الوجد ولوعة الحرمان ، وقابلها بالصد والهجر ، انها تبـــذل كل غال لارضائه واستمالته ، وكأني بعبد الرحيم يقارن بين غدر حبيبته وبين وفاء صاحبة طوقان ، رغم اذلالها وتعذيبها ، فيصور عبد الرحيم كل هذه المفارقات في الحب ويكتب على لسان ليلى الصفوري شعرا وهي تخاطب طوقان فـــي قصيدة « نجوى المحتضرة » (٢) متودعة وداع من قضى وفارق الحياة الى عالم اخـــر ، شاكية عذابهـــا في حبه ، واهانتهـــا في سبيل كسب قلبه ، ولكن قسوته كانت النـــار التي أججت في قلبها الشوق واللوعة فيقول عبد الرحيم على لسان ماري الصفوري :

دنـــا المـــوت مني « أبا جعفر » وفاض الجمـــال ، وزاغ البصـــر

سأقضـــي غـــدا فالوداع الوداع وداع الفـــراق وداع العمـــــــر

وأعبـــر برزخ هـــذي الحيـــاة وكـــل عنـــــاء له مســـــــتقر

لك اللـــه ســـعرت نار الجوى بقلبـــي وجانبـــت لمـــا اســـتقر

فكنـــت أنادي : الحريق الحريق وناديت : يا نـــار كـــوني أحـــر

وما كنت تعطـــف عطف العشيق وتحنـــو حنـــو الحبيب الابـــــر

تعـــذبت في الحب . من في الهوى تذوق ما ذقـــت ، من في البشـــر ؟

---

٢ ــ الديوان ، ص ٣٧،٣٦ . وصاحبة طوقان هي ماري الصفوري وليست ليلى الصفوري ، كمـــا يذكر الديوان ، انظر في هذا الشأن (شاعران معاصران) للدكتور عمر فروخ ، ص ٨٤ ، حيث يقـــول : « نظم ابراهيم معظم قصائده واروعها في ماري هذه،وهي فتاة فلسطينية من الناصرة كانت تدرس فـــــي الجامعة الامريكية في بيروت » .

ــ ونشر عبد الرحيم محمود هذه القصيدة في الامالي البيروتية عدد ١١ من السنة الاولى سنة ١٩٣٨ ، ص ٣٤٤ــ٣٤٥ ، وقد ملها المحرر بقوله : طالع قراءالامالي مقطعات للشاعر عبد الرحيم محمود ، مقطعات هي شعر صحيح يفيض مـــن عاطفـــة خلق صاحبها شـــاعرا ، واليـــوم نقدم لقـــراء الامالي هذه القصيدة التي لا نريـــد مدحهـــا بأكثر من قولنا : انهـــا شعرشاعر ... أما أبو جعفر فهو الشاعر الفرد « ابراهيم طوقان » مدير الاذاعة اللاسلكية في القدس ، الـــذيغرد في بيروت زَمنـــا طويلا وقال فيهـــا :

أول عهـــدي بفنـــون الهـــوى بـــيروت ، أكـــرم بالهـــــوى الاول

وقد استشرنا السيد ابراهيم طوقان في نشر هـــذه القصيدة ، وهي قيلت في فتـــاة يزعم الشاعر انهـــا أحبتـــه من قبل أو هي أحبته فعـــلا ، فلم ير بأســـامن نشرها .

أهنت عزيزي وأسلمت نفسي ... اليك لترضي ألا تذكر

وخالفت أهلي وعاديتهم ... وهم ـ مثلما ـ قد علمت ـ الغير

وحاذرت منك النوى والصدود ... ولم يغن عني شديد الحذر

وتلوم ماري صاحبها الذي تركها وخلفها وراءه ، وتحاول أن تستعيد ذكريات الماضي ، وصور الامس ، يوم كانت تقضي معه امتع اللحظات ، بين ضم وعناق وعشرة طابت فيها نفسها ، حتى دهمها الموت ، والزمها فراشه ، ونقلها الى وضع الاحتضار ، وساعة الفراق ، ويصور عبد الرحيم هذا الموقف المأساوي الذي يفيض بالحسرة والالم والحرقة ، تصويرا يشعرنا من خلاله بتهالك ماري على طوقان ، وشغفها المتوهج في محاولة اجتذابه والابقاء عليه ، فيقول :

وها أنت قد بنت واحسرتاه ... وغادرتني لعذارى أخر

ولم يبق منك سوى ذكريات ... ولم يبق لي منك الا صور

فها أنت في الدير تشكو الهوى ... ومن ألم البعد لا تختصر

وها أنت تبكي بكاء الرضيع ... فامتص من مقلتيك العبر

وارمي بنفسي على ساعديك ... فترفق بالخصر لا ينكسر

تدغدغ نهدي يا للغرام ... ويا لزمان تقضى ومر

وها أنذي في فراش الممات ... أتسمع « نجوى » التي تحتضر ؟

ان موقف ماري الصفوري من ابراهيم طوقان ، هو موقف عبد الرحيم محمود من صاحبته الغادرة . ماري تئي بحبها له ، وطوقان يغدر وينفر فتود لو صرع قلبها ، لانه اودى بها ، ولا عجب فشاعرنا يسقط موقفه على موقف ماري الصفوري التي اكتوت بنار الهوى فيقول على لسانها :

عجبت لقلبي يصون العهود ... ويوفي الوعود لمن قد غدر

فليتك يا قلب لما علقت ... به صرعتك أيادي القدر

لقد قدتني لسبيل العثار ... ومن كان هاديه أعمى عثر

ان عبد الرحيم يعمد الى رصد حركات المحبين ، فيلج الى نفوسهم احيانا ، ويرسم مواقفهم المترجحة بين الصد والاقبال ، بين العتاب والرضى ، وهو في ذلك يحاول تصوير خبايا نفسه ، ومواقف الحبيبة المتقلبة .

وفي انتفاضة كبرياء وأنفة يتوجه عبد الرحيم الى ماري الصفوري فينطقها في وجه طوقان ، طالبا منها أن تترفع ولا تذل ، وأن تسمو عنه ولا تهون ، فهي هالكة لا شك ، وخير لها ان تنساه حتى لا يداخله الغرور ، ويتشفى بها ، يقول عبد الرحيم في ذلك :

لم الذل يا ربة الكبرياء	لا ذلا لك النفس احدى الكبر
ستقضين عما قريب فما	يهمك هجر الذي قد هجر
تناسيه لا يزدهيه الغرور	فيشمت قلب له كالحجر

ويصور عبد الرحيم صاحبة طوقان عندما تعصف بها رياح الغيرة فتتصوره عاشقا غيرها بعد موتها ، وتحاسبه مستنكرة ذلك عليه ، يقول عبد الرحيم في هذا على لسانها :

أموت وتهوى من الغيد غيري	لهذا من الموت عندي أمر
أبعدي تهون على من تحب ؟	لي الله غائرة تستعر

وحين يصل استئثارها به الى هذه الدرجة ، تود لو تفتك به وتميته معها وبذا تكون قد قضت منه وطرا وهي تلفظ أنفاسها الاخيرة ، بينما تتساقط الاخريات حزنا وكمدا عليه ، انها الانانية في الحب يجسدها عبد الرحيم في الابيات التالية من هذه القصيدة :

وددت لو أنك بين اليدين	أضمك للصدر ضما عسر
والتف لف الافاعي عليك	وأنظر سمى فيك انتشر
ويجمعنا ميتين السرير	ويا طالما جمعتنا السرر
وتقضي ويقضين حزنا عليك	وما نال منك سواي الوطر

ويدخل عبد الرحيم « ماري » في صراع من نفسها ، فتتراجع عن موقفها السابق في محاولة مسامحة وتناس ، فتطلق له الجناح ليحب بعدها من يشاء ، وتتذرع هي بالصبر وقد غلبت على أمرها ، الا أنها لا تتركه يمضي قبل ان تدعوه اليها ، ليودعها الوداع الاخير بعد أن يذيب على شفتيها وعينيها قبلة ، ويذرف على خديها الذابلتين دموعه الغزار ، يقول عبد الرحيم مفصلا لحظة الوداع الاخير كما تتمناها ماري الصفوري :

ولكن لماذا ؟ أبق ابراهيم	وخذ في هوى الغيد بعدي وذر
سأصبر باقي هذي الحياة	وأي الاحبة مثلي صبر
ولكن تعال وقف فوق رأسي	وقبل معين اللمى والحور
وبلل مصوح ورد الخدود	بمدمعك الساجم المنهمر
أموت « أبا جعفر » فالوداع	وداع الفراق وداع العمر

والقصيدة كما رأينا :

— تصور جانبا من حياة ابراهيم طوقان العاطفية مع احدى عشيقاته يوم أن كان طالبا في الجامعة الامريكية في بيروت .

— وتقف القصيدة شاهدة على النهج الذي سلكه طوقان مع من أحب ، وتكشف استحضار عبد الرحيم لسيرة العاشقين : ماري الصفوري وابراهيم طوقان وعرضها على هذه الصورة التي رأينا ، في محاولة لاسقاط ما في نفسه هو من الشعور بالحرمان العاطفي ، والقطيعة التي يحظى بها في خاتمة كل دور من أدوار عشقه على الاخرين . وكأنه يغبط طوقان على نجاحه ويتأسى لموقف ماري، في حين يتألم عبد الرحيم ، ويتمرد على وضعه وصواحبه اللواتي خن عهده ، وقطعن حبل وده .

اما حديث الشاعر عن الخمرة وما تثيره في نفسه من المعاني ، فجاء محدودا، ولم نعثر له في هذا المجال الا على قصيدة يتيمة بعنوان « جفت على شفتي الاماني »(١) وربما طلبها الشاعر تفريجا للكرب وجلبا للهوى والاماني ولتبعث في قلبه الحزين أحلاما تمناها ولعل الشاعر اراد ان يحقق بها المطالب التي لم ينلها في حالة صحوه فقام يستدركها بالشراب في حالة سكره .

١ — الديوان : ص ٢٧ ، ٢٨ .



الباب الثاني

التشكيل الفني ومنزلة الشاعر

التشـــكيل الفنـــي

١ ـ الاســـلوب :

أ ـ **اللغــة** : يقف الناظر في شعر عبد الرحيم محمود على لغة شعرية قــادرة على الاثارة ، فهــو لا يلجــأ في لغتــه الى الاغراق في التعقيد اللفظي ، ولا ينعطــف بها نحو الركاكة والضعف ، ولكنه يحسن الى حد ما ، المواءمة بــين تجــربته الفنيــة والشعورية ، كمــا يحسن توظيف هذه اللغة بحيث يحقق الانسجام بين شكل القصيدة ومضمونها .

نقــرأ قصائده الوطنية فتطالعنا لغة ناهضة قادرة على تحقيق الفعل ، وعلــى تحريك القارىء ونقله الى مناخات جديدة تشي بالثورة والتجاوز ، ذلك ان الشــاعر يسعى في لغته الى تخطي الواقع لاستشراف المستقبل . وعندهــا تصبح اللغة اكثــر من وسيلة نقل وتفاهم ، واكــثر من وسيلة للاستبطان والكشف ، كمــا ان مـــن غاياتها الاولى ان تثير وتحــرك ، وتهــز الاعمــاق وتفتح ابواب الاستباق . (١)

ولم يكن عبد الرحيم في لغته الشعرية ، بعيــدا عن الجماهير الوطنية وعـــن تعشق الشعر ، ولكنــه كان ناقــلا لهمومها . واللغة ليست وسيلة تعبير وحسب ، أو اداة جامـــدة ، وانمـــا هـــي كذلــك رؤيــا فنيـــة للانســان والتاريخ، بحيــث يصبح لكل وضع اجتماعي لغته ، وتصبح اللغة نفسها كائنــا حيا لــه كيــانه وله شخصيته . (٢)

---

١ ـ أدوينس : مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، تشرين الاول ١٩٧١ ص ٧٩ .

٢ ـ انظر أدوينس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢ ، ص ١٩٧ ، و د. عز الــدين اسماعيل : الاسس الجمالية في النقد العربي ،دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٧٢ .

ولغة شاعرنا صوت حي للوضع الثوري والاجتماعي الـــذي أفرزته المرحلة السياسية في فلسطين ، لــذا جاءت مسكونة بقــوى الاحتجاج والرفض ، لانها لغــة التحدي والتجاوز ، وهي لغة الثورة الرامية الى تحقيق اوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية اكثر عدالة وحرية .

وحين ينشد عبد الرحيم للشهيد تقف لغته المتوهجة شاهدة علـى شاعرية صادقة تخدم الموضوع وتعبر عنه ، فـاذا كلماته قد تساوقت وانتظمت وتعانقت في انسجام ن خلال تشابك عقلي عاطفي ، يقــول في الشــهيد :

سأحمـل روحي علـى راحتـي	والقـي بهـا في مهاوي الـردى
فاما حيـاة تسـر الصـديق	وامـا ممـات يغيـظ العـدا
ونفـس الشـريف لها غايتـان	ورود المنـايا ونيـل المنـى

فمن خلال المؤتلفات والمختلفات ، المتمثلة في هـــذا الجناس (روحي وراحتي) والثنائيات الضدية في (حياة وممات ، وتسر ويغيظ ، والصديق والعدا) وحســن التقسيم في البيت الثالث ، تمكن عبد الرحيم بمزاوجته بين الداخل والخارج من تحقيق (الارادة ــ الفعل) بجمل شعرية بعيدة عن الافتعال ، داخلة في البســاطة العميقة والصــدق الفني .

وحين يصف جسد الشهيد في القصيدة نفسها تقف ألفاظه مقاتلة ، ويصبح شعره معادلا لمـا يخلقه الثـائر بالعمل في ميـدان الحرب ، وذلك أنـه يكتب الثورة :

يلد لاذنـي سـماع الصـليل	ويبهـج نفسـي مسـيل الدما
وجسـم تجـدل في الصحصحان	تنـاوشه جـارحات الفـلا
فمنـه نصيـب لطـير السماء	ومنـه نصيـب لاسـد الثرى
كسـا دمـه الارض بالارجوان	واثقـل بالعطـر ريـح الصـبا
وعفـر منـه بهـي الجبـين	ولكـن عفـارا يزيـد البهـا
وبـان علـى شـفتيه ابتسـام	معـانيه هـزء بهـذي الدنـا

ونام ليحلم حلم الخلود ويهنأ فيه بأحلى الرؤى
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتا شريفا فذا (١)

واذا عرفنا أن لغة شاعرنا تحمل هما جماعيا ومعاناته حقيقية فان هذه اللغة تصبح صوتا قويا ومباشرا من أصوات الثورة ، وتتداخل عندها تجربته الشعورية ، ليصبح الشاعر معها عاملا من عمال الثورة ، انه يعمل باللغة ، اللغة ، اذن ، هي اداته الثورية . واذا ادركنا أنه لا انفصال بين اللغة والحياة ، فانه يتضح لنا تماما دور الشاعر الذي لا يقتصر على اثارة اللغة وحسب ، ولكنه يتجاوز ذلك في محاولة صادقة لتنقية الفكر وبالتالي الانسان والمجتمع . (٢)

عند ذلك تتعدى الالفاظ حدودها ، فتحمل دلالة التحريض ، والثورة ويصبح كل من الشعر والشاعر قوتين فاعلتين في الشعب وفي المعركة ، يقول عبد الرحيم في قصيدة « عيد الجامعة العربية » : (٣)

قل لا واتبعها الفعال ولا تخف وانظر هنالك كيف تحنى الهام
اصهر بنارك غل عنقك ينصهر فعلى الجماجم تركز الاعلام
واقم على الاشلاء صرحك انما من فوقه تبنى العلا وتقام
واغصب حقوقك قط لا تستجدها ان الالى سلبوا الحقوق لئام
هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام

هذه اللغة القوية ، المقاتلة ، تتفجر مع القنابل والرصاص ، وتصبح ذات طاقة تعبيرية ، تطمح لصهر الموقف الفكري في الموقف الحربي ، كما هو الشأن في « الشعب الباسل » ، يقول :

---

١ ــ الديوان ، ص ١٣
٢ ــ زمن الشعر ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
٣ ــ الديوان ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

شــعب تمــرس في الصــعاب (م) ولم تنـــل منـــه الصـــعاب
لو همــــه انتــــاب الهضاب (م) لدكدكت منـــــه الهضـــــاب
متمــرد لــــــم يرض يومــــا (م) أن يقـــر علـــى عـــذاب (١)

وفي « دعــوة الى الجهــاد » :

دعـــا الوطن الذبيح الى الجهاد فخـــف لفــرط فرحته فــــؤادي
وســابقت النسيــم ولا افتخـــار اليـــس علـــي أن أفدي بلادي ؟
حملت علـــى يــدي روحي وقلبي ومـــا حملتهـــا الا عتــــادي
وقلت لمــن يخــاف من المنـــايا أتفـــرق من مجابهـــة الاعــادي
فدونك خــــدر أمــك فاقتحمه وحســبك خسة هــذا التهادي (٢)

وفي « البطل الشهيد » حين يرتفع صوت الشاعر ، متخذا من لغته وسيلة تعبير وتغيير ، وطريقة صياغة جديدة لتحويل الواقع الى كيان ثوري ، يتمــرد على التقاعس. والجبن ، والخوف . وعندها تصبح لغته وسيلة فعالة من وسائل الحضارة ، وتجسيد المجتمعات الانسانية الواعية لواجباتها الوطنية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ، يقــول عبد الرحيم :

أيهــا القائــد هــذي ميتـــــة طالمـــا رجيتهـــا منــــذ بعيد
مصرع الابطـــال ما بين الحــديد في الميـــادين ورفـــات البنـــود
هــــذه اعراسهم صــــــخابة نقـــرة الدف بهـــا قصف الرعـــود
فيروون الثــرى مــــن دمهــم ويحنـــون بـــه كف الصـــــعيد
ويزفــون عليهـــــــــم حلــل مـــن نجيع الحرب تزرى بالبـــرود
هم تعــاويذ الحمى يقضـــى بهم عنه مكــر السوء اوكيد الحسود
تحرق العـــاتي أنفــــــاسهم ويذيبـــون بهـــا غــل القيــود (٣)

---

١ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٢٤ .
٢ ــ المرجع السابق ، ص ١٤٠ وما بعدها .
٣ ــ نفسه ، ص ١٣٣ .

وهكذا تبـدو لغة عبد الرحيم في شعره الوطني ، لغة الحديد والنار ، لغـة المعركة ، يحس معهـا القارىء بالحماس والاندفاع الطوعي للمشاركة النضـالية ، لانهـا تفعل فعلها في القلب والعقل معا ، وتنقل المتلقي الى وضع شعري مسـكون بمعطيات الثـورة ومقوماتها . (١)

ويراعي عبد الرحيم في شعره انسجام لغته مع طبيعة موضوعه : تعنف في موقف العنف والشدة ، وتخف حدتها ويهـدأ صوتها في موقف الحزن والحنين والغـربة ، فتنطلق بنغمة رومانسية هادئة كمـا هو الشأن في قصيدته « حنين الى الوطن » (٢)، ففي هذه القصيدة تبدو لغته هادئة النغمة ، لانهـا صدى نفسه التواقة الـى الوطن، وهو ترق فيـه الحنين والغربة والحزن الرومانسي ، لذا جاءت لغة القصيدة منسجمة مع الذات والموضوع ، يقـول :

في ضـياء الشمس في نـور القمر	في النسيم العـذب في ثغر الزهر
في خـرير الجدول الصـافي وفي	صخب النهـر وأمـواج البحر
في هتون الدمـع من هـول النوى	في لهيـب الشوق في قلبي استعر
دقـة الناقوس معنـى لاسمها	واسمهـا ملء تسـابيح السحر

وعندما تطالعنا قصائده الاجتماعية والانسانية ، نقف علـى لغـة غنيـة بايحاءاتها ودلالاتها الاجتماعية ، بحيث يحقق بنسيج لغوي الانسجام بين الفكر والعاطفة والموضوع ، وتصبح تجربته الشعرية متاخية تماما مع تجربته الشعورية ، الا ان لغته النارية الهادرة التي رأيناها في شعره الوطني تتحول هنا الى لغة شكوى وتذمر ، ولغة نقد واحتجاج وتبقى لغة رافضة ، غاضبة ، ومشحونة بالاغتراب النفسي والمكاني (٣)

وترق لغته ، وتغدو أكثر شفافية حين يستجيب شاعرنا لدواعي قلبه ، ونـداء وجدانه ، فيـدرك ان لغة العواطف تستدعي الرقة والعذوبة فيأخذ عبد الرحيم اللغة ويصوغ شعرا غزليا رقيقـا في بعض الاحيان . (٤)

---

١ ـ انظر الديوان : قصائده : عيد الجامعة العربيةوالشعب الباسل ودعوة الى الجهاد والبطل الشهيد وغيرها في الصفحات : ٢٥ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٢ .

٢ ـ الديوان ، ص ١٧ .

٣ ـ انظر في الديوان ، قصائده : رثاء جمال وحجر في كثبان رمل وفي حالة غضب والعيـد وغيرهـا ص : ١٨، ٢١، ٢٠، ١٤ .

٤ ـ انظر قصيدته « السكر شغلي » الديوان ، ص ٣٤ ، وقصيدته يا حياتي ، ص ٣١ ، ٣٣ .

ومن قصائد الشاعر الغزلية قصائد تعنف في لغتها ، وتخشن ، فتأخذ طابع الزجر والتمرد والعتاب ، حتى ليصح ان نسمي غزله « بالغزل العتابي » ففي لغته كبـــرياء ممزوجة بشيء من الرفض والترفع . ولنـــا بعض الملاحظات على لغة عبد الرحيـــم الشـــعرية منهـــا :

أولا : البساطة والوضوح مع القوة والبعد عن التعقيد والتكلف والتصنع ... فشعره صدى لصوت جماعي بل هو نشيد جماهيري ، وهذا ينطبق على شعره الوطني والاجتماعي بخاصة ، ورسالته تكمن في مخاطبة هذه الجماهير بلغة سهلة مألوفة بعيدة عن الغموض والاغراق في متاهات المنطق والفلسفة والرموز المغلقة .

ثانيا : المباشرة والخطابية التي رأيناها في غالبية أشعاره ، وربما ساغت اذا وضعنا في اعتبـــارنا طبيعة الظروف التي مر بهـــا عبد الرحيم ، وطبيعـــــة المرحلة والاوضاع السياسية والوطنية والثقافية .

ثالثا : انصراف الشاعر عن الاغراق في المحسنات الا ما جاء منهـــا عفو الخاطر دون تصنع أو تعمل . . ولعل ذلك راجع الى انه لا وقت للتزويق الشكلي ، أو الزخرفة اللفظية والترف اللغوي ما دام الشاعر يجتاز أخطر المراحل المصيرية ، فالانصراف عن هذه الامـــور ، أمر طبيعي ، والانهماك في التعبير عن الواقع بجوانبـــــه السياسية والنضالية والاجتماعية والاقتصادية يتطلب من الشاعر أن يرقى بشعره الى مطـــامح الشعب ، وأهدافه ، ولا يرمي الى ابراز مهارته الفنية في هذه المرحلة .

رابعا : الانسجام ، الى حد ما ، بين أشكال قصائده ومضامينها وبذلك يكـــون قد حقق جانبـــا من الوحدة الموضوعية والعضوية .

خامسا : جاءت لغته عفوية ، صافية ، لم يجهـــد نفسه في البحث عنها ، لـــــذا وقفت معبرة عن فكرته ، مجسدة هموم الجماهير وسعيها للحرية .

وليس من شك في أن حفاظ الشاعر على لغته الفصيحة ، دليـــل على وعي مزج الشاعر من خلاله بين المحافظة على التراث وتحقيقه ، وبين اتخاذ هذه اللغة عـــلامة

ايجابية للرفض والتحدي والمواجهة أمام المحاولات الساعية لتغيير ملامح الانسان العربي وخنق صوته ، يقول عبد الرحيم في احدى قصائده الوطنية : (١)

لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم	حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وأرضها	ليست تشن بمدفع وحسام
والشعب ان سلمت له أوطانه	ولسانه ، لم يخش قطع الهام

ومن هنا جاء حرص الشاعر على لغته كبيرا ، لانها الهوية التي يحملها الانسان العربي وهو يلتصق بأرضه ، وهي الحلقة الحضارية التي تربط واقع الانسان العربي بتراثه ومستقبله .

ب ـ التكرار :

تبرز ظاهرة التكرار اللفظي في عدد غير قليل من قصائد شاعرنا كعلامة بارزة لتأكيد المعنى ، وايضاحه وتقريره في نفس السامع ، من غير ان تسيء الى الشعر أو تفسد معناه ، ظهر ذلك في أكثر من اثنتي عشرة قصيدة .

نقرأ قصيدة « عيد الجامعة العربية » (١)، فنراه يستعمل هذا الاسلوب ليؤكد المواقف التي وقفتها بريطانيا ازاء القضية الفلسطينية ، وليوضح الدور الذي تلعبه، حين خيبت امال العرب ، فيصور ذلك بأسلوب تهكمي ينبجس منه حس نقدي للوضع العربي المتردي ، فيقول :

ظلنا نقول غدا غدا هل حققت	للائبين على غد أحلام
ظلنا نقول غدا يفيق ضمير من	فقد الضمير ويعدل الظلام
ظلنا نقول غدا يفيق ضمير من	مقبولة ما ان لها ايلام
ظلنا نغرر بالوعود وينطلي	كذب ويفعل فعله الايهام

فتكرار عبارة « ظلنا نقول » في هذا الموضع ، مؤشر واضح على المماطلة والوعود الكاذبة التي كان العرب يمنون بها ، وهي تأكيد الامل الخداع الذي تبدد في النهاية على صخرة الحقيقة .

ولهذه الظاهرة الفنية في شعر شاعرنا اتصال واضح في التزامه الدائم بالهم الوطني والانساني وبمحاولاته الملحة لابراز بعض القضايا الوطنية التي يعاني منها الانسان العربي في فلسطين . ففي قصيدة « انشودة التحرير » (٢) يستعمل اسلوب التكرار اللفظي في عدة أبيات من القصيدة المذكورة :

---

١ ـ الديوان ، ص ٢٥ .

٢ ـ نشرة مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٢٩ .

نحـــن لم نحمل السـيوف لهــدر   بـــــل لاحقــاق ضائع مهــدور
نحن لم نرفـــع المشاعل للحرق (م)   ولكـــــــن للهـــــدي والتنـــوير
نحن لـــم نطعـــن الضمير ولكـــن   بقنانا احتـــمى طعـــــين الضمير

وفي هذا تأكيد واصرار على دور العَرب ، ومواقفهم على مر التاريخ .

وحين نمضي مع قصائد الشاعر الوطنية ، تطالعنا قصيدتان أخريان يلجأ فيهمـــا الشـاعر الى التكـــرار بصــورة فنية ، دونمـــا تكلف أو املال ، وهمــــــا قصيدتا : « ذكرى الهجرة » (١) و « كان غازي » (٢) .

يقـــول في الاولـــى :

يـــوم مجـــد فات ما أجمل ذكـــره   فيـــه لو ننطـــق ايـــات وعبـــره
فيـــه ان الحـــق ان حصـــــــنه   قـــوة لم يستطع ذو البطل هدره
فيـــــه ان المـــال والاهـــل اذا   لم يجـــودا ضحيا مِن أجـــل فكره
فيـــه ان هـــم الفتـــى فليقتحـــم   لا يخف ضحضـــــاح ما ينـــوى وغمـــره

وفي تكراره لعبارة « فيه ان » أو ما شاكلها ، محاولة منه للفت الانظار الـــــى ــ ذكرى الهجرة ــ ليؤكد أهميتها من جهة ، وللاعتبار منها ، من جهة اخرى ، بمثل هذا الاسلوب من التكرار الذي جاء في موضعه من النص ، ولعــــــــــل في ذلك ، الدليل على تمرس الشـاعر في فن القـــول ، وتوفيقه في تحقيق الانسجام بــــــين الشـــكل والمضمون في العمل الفني .

أما في قصيدته الاخرى ــ كان غازي ــ فانه يكرر الفعل الناقص « كان » سبع مرات مشفوعة في ثلاث منها بعبارة « لهف قلبي » . وفي ذلـــك تأكيـــد قيمـــة المرثي ومنزلته في نفوس العرب من جهة ــ حيث عرف بوطنيته ــ كما يؤكد حزنـــه البـــالغ ، والمتجسد في حزن الامة العربية كلهـــا وهي تبكي فقيدها الغالي ، حين غدرت بـــــه

١ ، ٢ ــ المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٦٦ .

بريطانيا ، وبــذا يكــون عبد الرحيم قد حقق تساوقا جميلا بين وضع الالفاظ ووقعها من جهـــة ، ومعناها وتأثيرها على المتلقي من جهة اخـــرى ، يقـــول في هذه القصيدة :

كان نجمـــا يهتدي الســـاري به   في دياجــــير الليـــالي الحالكـــات

كـــان نجمـــا ثـــم غـــــاب

لهـــــف قلبـــــي

كان غصـــنا حملـــه زهر المنـــى   طيـــب النشـــر لذيـــذ النغمـــات

لهـــــف قلبـــــي

كان غـــازي .. كان غازي لهبا   صلى المحـــــرق منـــه كـــل عات

كـــان للعـــــادي الشـــــــهاب

ولـــه تحنى الرقـــــاب

لهـــــف قلبـــــي

كان كالحــــلم قصـــيرا عمـــره   تســـعد النفس به في الغفـــوات

ولعل كلمة « كان » تتعدى حدودها كفعل ماض ناقص ، بحيث استخدمت للتعبير عن الانقضاء والحزن وعن صفات الشهيد الذي قضى وخلف حسرة عميقة في نفوس الناس، وبذلك يصبح التكرار في هذه المجال خادما للمعنى في نفس الشاعر .

وتقف ظاهرة التكرار في شعر شاعرنا شاهدة على توظيفها في خدمة مواقفه ، وتجسيد مطامحه ، وتأكيد معانيه .

ولم تقتصر ظاهرة التكرار اللفظي هذه على شعره الوطني فحسب ، ولكنهـــا انسحبت على بعض اشعاره الاخرى لتحتل مواقعها اللائقة والطبيعية في شـــعره الاجتماعي ، ففي قصيدته « حجر في كثبان رمل » يكرر عبارة « هـــل كنـــت .. »

أكثر من ثلاث مرات في محاولة لتشخيص الحجر وانطاقه ، ولايضاح الصراع الطبقي القائم ولاسقاط غربته هو على غربة ذلك الحجر في نهاية الامر ، ومع الحاحه المستمر على الحجر ، الحاح اخر من الشاعر على نفسه ليؤكد وضع المجتمع الطبقي فيقول :

هل كنت يوما في القصور وعفت ضافية القصور ؟
أم كنت شاهد مصرع الاخلاق في البيت الكبير ؟

هل كنت قط مجنة   من كيد باغ ظالم
هل كنت سدا فوقه   تكبو مطايا القاحم ؟
ان كنت ذاك بذذت في الاحسان خلقة آدم

وعندما ينظر الشاعر الى العامل يحس بالالم والمرارة ، فيقف في صفوف العمال يشد على ايديهم ويلهبهم بعبارة « يا عامل » (١)، أكثر من اربع مرات في نهاية كل مقطع من قصيدته ، فيشعرنا بمزيد من الالتحام والتماسك بين فنه وموضوعه وصياغته ومضمونه .

و في رسالة الى صديق ذي عبوس ، يؤكد شاعرنا أهمية الابتسام والفرح في الحياة ، فنراه يكرر عبارة (فتبسم يا عزيزي) خمس مرات في قصيدة « تبسم » (٢) . وهو حريص على ذلك ليزرع في النفوس معنى التفاؤل والامل ، وليدعو الى مباشرة الحياة برغبة داخلية طموح ، تطرد اليأس ، وتنأى بالملل .

أما في أشعاره الوجدانية ، فيأخذ التكرار نصيبه من أسلوب الشاعر ويستعين به ليرصد حالتي الوصل والقطيعة اللتين يعيشهما في تجربته الغزلية المضنية .

يكرر عبد الرحيم عبارة « انظري لي » ثلاث مرات في قصيدة « يا حياتي » (٣) ، وفي تكراره هذا الحاح على دنوها منه ، ولتمنحه نظرة حب وحنان من عينيها الجميلتين، باعتبار ان العينين مفتاح القلوب ، ووسيلة الاتصال بين العشاق ، وفي لغتهما تختبىء المعاني ، وتكمن الاسرار ، يقول الشاعر :

---

١ ـ نشرة مكتبة بلدية نابلس العامة ، ص ٣٤ .   ٢ ـ الديوان ، ص ٢٣ .
٣ ـ الديوان ، ص ٣٢ .

انظــري لي واجعــلي العطــف يســل مــــن نظــراتك
انظـــري لــي واتركينــــي أجتلــــي ســر الفتـــون
انظــري لــي واغــرزي الاهــداب في قلبــــي الطعــين

وحين يعافها الشاعر ، وقد قطعت حبله ، وخانت عهده ، يعمد الى زجرها بعبارة « روحي » (١) مرات عديدة ليؤكد استغناءه عنها ، وللتعبير عن حالة الخلاف التـــي حلت محل الوفاق ، ومع هذا التكرار جمال ، وقوة ، وحسن وقع ، يقول عبد الرحيم :

روحي فقد راح الــذي بيننـــا   كالبـــارح الســـالف ما ان يعود
روحي ولا تأســـي علـــى حالتــي   وانسي مواثيقي ، وخوني العهود
روحــــــــــي

روحي فمـــا الاشراك من مذهبي   ولست ارضـــى في حبيبي الشريك
روحــــــــــي

روحي فقــد راح الذي بيننـــا   ولعنــــة الحــب وقلبــي عليك
روحــــــــــي

روحي شــبابي أنت ايأســـــته   من أمــــل زاك رجــاه الشباب
روحــــــــــي

وحين تجف على شفة الشاعر الاماني ، يلح في طلب الكأس بهات اسقني ، مرات كثيرة حرصا منه على الشراب ، يقول في قصيدته « جفت على شفتي الاماني » : (٢)

هـــات اســـقني كأســـا لانســـى فـــوق ارضك ماكيـــاني
هــــات اســـقني حتـــى احلـــق من ســـمائي في العنـــان
أو فاســــــقني بالقبـــــة الزرقـــاء كأســـك ما روانــــي

---

١ ــ الديــوان ، ص ٣٢ .   ٢ ــ الديــوان ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

هات اسقني واجعل كؤوس الراح افواه الحسان
أو فاسقنيها في العيون الموحيات لي المعاني
هات اسقني واحلل براحك عقدة زمت لساني
هات اسقني كأسا لاغرق فيه أثقل ما أعاني

ان لجوء الشاعر الى تكرار عبارات أو كلمات في شعره عائد — في رأينا — الى دوافع اهمها :

١ — تقرير المعنى في ذهن السامع وتأكيده ، وابراز أهميته .
٢ — التوسع في عرض المعنى ، وتفصيل اجزائه .
٣ — ايضاح الفكرة التي يسعى اليها الشاعر باسلوبه .

ومع ذلك ، فان النماذج الشعرية التي عرضناها ، لا تجعل من التكرار عند عبد الرحيم صنعة متكلفة ، ولكنها تساعد على ابراز جماليته في بعض الاحيان ؛ وتحقق الانسجام الفني بين شكل القصدة ومضمونها ، بصورة تشهد على ذوق الشاعر.

ج — النمط الشعبي في التعبير :

حرص شاعرنا على توظيف اللغة العربية الفصيحة في معظم أشعاره ، وبرزت في بعض قصائده عبارات تستعملها العامة بلفظها أو بمعناها من خلال لهجتها المحلية ، وهو في هذا يعمد الى استخدام التراث الشعبي وتوظيفه في شعره ، وذلك عندما تأخذ العبارة الشعبية مكانها في قصائده ، فتحمل معها دلالاتها التي اصطلح عليها ، يستعمل هذه العبارات مرة بألفاظها التي اصطلحت عليها العامة ، ومرة اخرى بمعناها، بعد أن يضمنها في الشعر محافظا على سلامتها اللغوية والتركيبية . والحق ان جملة هذه الالفاظ والعبارات فصيحة في أصل وضعها ، — وقد ظلت كذلك — الا أنها اخذت طابعا شعبيا حين كثر ورودها على السنة العامة ، في الحديث اليومي ، وفي ذلك اشارة الى التحام الشاعر مع الطبقات الفقيرة ومعايشتها الفعلية واستعارة نماذجها التعبيرية .

فعبد الرحيم هو ابن الريف الفلسطيني ، طلع من وجدان الشعب فانتزع بعض تراكيبه من الوسط الذي تفاعل فيه وأحبه .

ونجد النماذج الشعبية في أكثر من موقع ، يقول في قصيدة عيد الجامعة العربية:

حفي اللسان وجفت الاقلام — والحال حال والكلام كلام (١)

فعبارة (حفي اللسان) مستعملة في حديث العامة اليومي ، عند التعبير عن كثرة الكلام والالحاح في طلب شيء دون جدوى ، الا أن الجملة لم تخرج عن فصاحتها في حين استعملت على اساس الاستعارة .

ويقول عبد الرحيم في القصيدة السابقة نفسها :

ظلنا نقول حبائب ضرباتهم — مقبولة ما ان لها ايلام
خرجوا لنا بالسحب من اقسامنا — يا ويلنا ان الهوى اقسام

فالبيت الاول مستهلم من عبارة شعبية دارجة تقول « ضرب الحبيب زبيب » ولكن الشاعر اخذ المعنى دون اللفظ وسبكه في هذا القالب التعبيري الجديد. اما البيت الثاني فهو دليل على حسن استخدام شاعرنا للعبارات المتداولة في (خرجو لنا بالسحب) ذلك ان الناس حين يلحظون كثرة تردد أحد الاشخاص عليهم ، أو الحافه في السؤال فانهم يطلقون هذه العبارة بقولهم : طلع لنا بالسحب ، وهي مستخدمة بكثرة في بلاد الشام ، ومنتزعة من وسط الشعب الذي اعتاد الحظ والنصيب ، وادمن شراء الاوراق التي تصدرها الجمعيات والمؤسسات ، وهو بالاضافة الى تخوفه من خطر المستعمر وكره تصرفاته المكرورة ، فان في العبارة تلميحا الى بعض العادات المنتشرة انذاك .

١ ـ الديوان ، ص ٢٥ .

وفي قصيدته « رثاء حمال » نقــرأ قوله :

فــراق هــذا الناس عيــد فــلا　　تجزع وذي الراحة بعد اللغوب (١)

« ففراق هذا الناس عيد » مأخوذة ايضا من حديث الناس اليومي ، ولكنهــا لم تفقــد فصاحتها ، والعامة تستعملها حين تمل انسانا أو تعافه ، أو تكره أمرا وتود لو يــزول فتقــــول : « فراقــك عيـــد .. » ولعــــــل في اســـتخدام الشاعر لهـــذه العبارة ، اشارة الى ضجره من هــؤلاء الذين يشكلون وضعا طبقيــا مترفعا عن سواهم ، فينظرون الى الفقير الكادح ، والحمال الدؤوب نظرة اهمال واحتقار ، فيتمنى عبد الرحيم لو طهر هــذا المجتمع منهم فتســـود العدالة الاجتماعية .

ولدى تكرار الشاعر كلمتي : الحبل والسل في قصيدته « رثاء حمال » فانه يقترب كثيرا من استعمالهما في أوساط العامة ، وتصبحان وكأنهما كلمتان شعبيتان .

يقول عبد الرحيم مخاطبا الحمال الميت :

لو كنــت في حبلــك شــــــناقهم　　لولولوا حــزنا وشــقوا الجيوب

أو كنــت من « سلك » رزاقهــم　　لقــام عنــد السل الفــا خطيب

ونزهــوا حبلــك عن عيبـــــه　　وبللــوا الســل بــذوب القلوب

حبلــك والســل لقــد أوديــا　　بهيبــة الموت الوقــور الرهيب (٢)

ولاقتران هاتين الكلمتين في هذا الموضع من القصيدة اكثر من دلالة :

أولا : يلاحظ ان السل هذا الوعاء الكبير المصنوع من القصب أو القش أو الحلفاء لحمل الفواكه والخضار يكثر استعماله في فلسطين لهذه الغاية وكثيرا مـــا يحمله الحمالون على ظهورهم مشدودا بحبل ، وكل من زار فلسطين أو عاش فيها يلاحــظ هؤلاء الحمالين وهم يجوبون الشوارع والازقة بسلالهم المملوءة بنتاج الارض .

١ ــ الديوان ، ص ١٩٢ .
٢ ــ ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، ص ١٦٥ .

ثانيا : ان الحبل والسل هما وسيلتا الحمال لكسب قوته ، فهمـــا اداته المعيشية ومن هنـــا جاءت أهميتهمـــا رمزا للكدح والدأب .

ثالثا : كلمة « السل » وان كانت فصيحة في أصل وضعها الا أنهـــا اخـــذت روحا شعبية عندما تدولت في الاوساط الشعبية .

ويعمد الشاعر احيانا الى استمداد الامثال العربية للتعبير عن فكرته ويظهـــــر ذلك في :

وغـــدا وما أدنــــاه لا يبقى سوى   دمـــع لنـــا يهـــمي وسن نقرعه

فعبارة « وسن نقرعه » مأخوذة من قولهم : « قرع فلان سنة » كناية عن الندم .
والواقع ان عبد الرحيم لا يستخدم العبارات الشعبية لذاتها ، ولكن للتعبير عن موقف ، أو تصوير حالة ، او تجسيد فكرة تجول في خاطره .

د ـ بين الصراحة والرمز :

الرمز معنى خفي وايحاء . هو لغة جديدة ، أو دلالة تفرزها لغة القصيدة . (١)

ويتنوع الرمز في القصيدة فمن رمزية اللغة ، الى رمزية الصورة ، الى رمزية الموضوع .. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : ما نصيب الرمز من شعر عبدالرحيم محمود ؟ وهل استطاع الشاعر ان يوظف كلماته أو صوره أو موضوعاته توظيفا ايحائيا رمزيا ، بحيث تخفي وراءها ظلالا وألوانا ومعاني جديدة ؟

والقارىء شعر عبد الرحيم يلاحظ قلة الرمز ، شأنه في ذلك شأن كافة شعراء فلسطين من جيل عام ١٩٣٦م ، ولعل ذلك راجع ـ في نظرنا ـ الى جملة اسباب اهمها :

أولا : كان عبد الرحيم محمود شاعر الثورة ، وشاعر الفقراء ، اطلق كلمته بمواجهة وجرأة ووضوح دون حاجة الى الرمز والتلميح ، او الاختفاء وراء المفردة اللغوية الغامضة التي تحمل اكثر من دلالة ، ولعل طبيعة المرحلة النضالية والسياسية التي عاشها شاعرنا ، تتطلب مثل هذا الوضوح وتلك المباشرة ، حتى يتمكن الناس من فهمها وتقبلها ، وبالتالي حفظها وترديدها .

ثانيا : كان عبد الرحيم لا يخاف السلطة ، ولا يحسب لها حسابا ، لذا نطق بالشعر صريحا واضحا ، خاطب به جماهير فلسطين لتوعيتهم واثارتهم وتحريضهم على النضال . والناس في هذه المرحلة بحاجة الى شعر مفهوم يدخل العقل والقلب دون توقف عند حدود الرمز ، ودون حواجز تحول بينه وبين الجماهير المتلقية . وهو في الوقت نفسه شعر نابع من وسط المعارك من داخل الثورات والانتفاضات .

ثالثا : كانت وظيفة الشعر في تلك المرحلة الثورية تقوم على التحميس والتحريض والاثارة ، فالشعر الصريح المباشر ، والنزعة الخطابية ذات الصوت الواضح هي القادرة على تأدية وظيفة اجتماعية . يقول رجاء النقاش : « ولقد كانت وظيفة الشعر الاولى بالنسبة لجماهير فلسطين هي وظيفة (خطابية) تهدف الى الاثارة العنيفة

---

١ ـ زمن الشعر ، ص ٢٣٩ .

والتحريض، والدعوة الى اتخاذ مواقف معينة ، وكذلك كانت القصيدة المؤثرة حقا هي القصيدة التي تشبه المنشور الثوري في عنفها ووضوحها وارتفاع نبرتها ، وهي القصيدة التي تقترب من الشعارات والهتافات والخطابات ، كل ذلك طبعا دون أن تفقد جمالها الخاص ، وصدقها الوجداني ، والا انتهت بفقدان التأثير على الناس أيضا ، ولذلك كان شعراء هذه الفترة يلتزمون بالقصيدة العربية التقليدية ، ولذلك ايضا تقبلتهم الجماهير ، وتأثرت بهم أشد التأثير ..

حقا لقد كانت تلك القصائد منشورات ثورية عامة ، موجهة الى جميع المواطنين لا الى المثقفين والمشتغلين بالادب فقط ، ومن هنا فرضت تلك الوظيفة الاجتماعية الثورية للشعر شروطها الفنية ، على شعراء تلك المرحلة وهذه الشروط هي : التعبير المباشر الصريح ، والشكل التقليدي ذو القافية المتنوعة احيانا ولكن في الاطار التقليدي ، والنزعة الخطابية الصريحة العالية ، التي تدعو الجماهير الى موقف محدد ، كل ذلك لانه شعر يولد وسط ضجيج المعركة ، شعر يولد في المظاهرات والاصطدامات المسلحة .. بين اصوات الرصاص وانهار الدماء » . (١)

ومن هنا رأينا ابتعاد الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة عن الاغراق في شعر التأمل الذهني ، والانصراف عن الغموض والابهام والضبابية ، وعن تناول الموضوعات الفلسفية ، ذلك ان طبيعة المرحلة تفرض عليهم شعرا من نوع اخر ، شعرا قادرا على توعية الجماهير واستثارة هممهم ، وهذا يتطلب بالضرورة وضوحا وبعدا عن الرمز ، ومع ذلك ظهرت في شعر شاعرنا اشارات رمزية اكتفى فيها بالتلميح بدل التصريح ، ولكنها على أية حال رموز تقرب من الكنايات اللطفية التي لا يدق فهمها على القارىء ولا تدخل في نطاق الشعر الرمزي بمعناه الفني ، ونسوق هنا بعض الامثلة على ما ذهبنا اليه . يقول في قصيدة « الى كل متهاود » : (٢)

يا من تولـه بالحبيب (م) هناك قد رجع الحبيب
في جيبه لعب الهوى يلهو بها الصب اللعوب

١ ـ رجاء النقاش ، محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٧٥ .
٢ ـ الديوان ، ص ٣٨ .

والشاعر يرمز بالحبيب في البيت الاول الى المندوب السامي « آرثر واكهوب » الذي عاد من لندن يحمل اقتراحا لانشاء مجلس تشريعي في أعقاب ثورة عام ١٩٣٦م.

ولعل المقصود « بلعب الهوى » هنا ، هو المجلس التشريعي ، ولجنة (اللورد بيل) التي ارسلت للتحقيق ، ويوضح الشاعر فكرته في نهاية القصيدة ، مستعينا بالمجاز المرسل في كلمة « الكراسي » وهو يعني المناصب فيقول :

لك في حقيبته نصيب فاخر بئس النصيب
لتنظر غدا « الكراسي » ساكتا وغدا قريب

يا شعب يا مسكين لم | تنكب بنكبتك الشعوب
قلدت امرك من بهم | لا يرجع الحق الغصيب
لهفي عليك الا ترى | يا شعب حولك ما يريب

ويستخدم الشاعر كلمة « اعراس » رمزا للشهادة فيقول في قصيدة « البطل الشهيد » (١)

هذه أعراسهم صخابة | نقرة الدف بها قصف الرعود

ويستعير الشاعر في قصيدة « عيد الجامعة العربية » (٢) الاصنام رمزا للقادة والزعماء بسبب مواقفهم المتخاذلة من القضية فيقول :

واذا الضلال له هناك سرادق | مضروبة عبدت بها الاصنام

ونرى قلة الرمز في شعر عبد الرحيم الا ما جاء منه على سبيل الكناية أو المجاز ، وذلك راجع الى الاسباب التي ذكرناها .

---

١ ــ الديوان ، ص ١٢ .
٢ ــ الديوان ، ص ٢٥ .

هـ ـ ملامح من القرآن الكريم :

قرأ شاعرنا القران الكريم ، فأسرته بلاغة نظمه وشدة بيانه المشرق ، وراعه ما فيه من جمال التصوير ودقة التعبير ، وسمو المعنى فقبس بعض نوره .

ولعل تأثر عبد الرحيم بالقرآن والشعر يعود الى حرصه على تمسكه بتراثه الديني والادبي والقومي ، والاعتزاز الكبير بلغته وما تتمتع به من بلاغة وفصاحة ذلك ان الحفاظ على التراث لون من الوان الانتماء الوطني ، وهو علامة تاريخية واجتماعية ، تعزز مواقف الانسان المعنوية والثورية ، وتشعره باصالته ، كما تمده بطاقات فنية وتاريخية وفكرية تشكل حلقات الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل .

واذا كانت معركة تحرير الارض ووحدة الوطن ترتبط ارتباطا وثيقا بمعركة الحفاظ على التراث العربي ، وتمثل موارده الثرة ، فان واجب الادباء ان يستلهموا تراثنا المجيد ، وان يعودوا الى منابعة الاصيلة لينهلوا منها ، من أجل انهاء غربتنا الثقافية ، والسياسية ، بحيث يحفظون للمستقبل وجهه وروحه العربيين . (1)

والقارىء شعر شاعرنا تطالعه بعض النماذج القرانية المضيئة في شعره ، ووقفت دليلا على سمو ذوق الشاعر ، وجودة أسلوبه ، وحسن اقتباسه ، ونورد فيما يلي أهم المواضع التي ظهر فيها هذا الاقتباس :

يقول عبد الرحيم :

هكذا الحق على قلته ... صادق العزم وثبت الخطوات
وهوى الباطل صعقا ... انه كان زهوقا (2)

وهو ملتفت الى قوله تعالى « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا »(3)
ويقول عبد الرحيم في موضع اخر :

---

1 ـ انظر كلمة الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاستاذ ناجي علوش في المؤتمر العاشر للادباء العرب بالجزائر تحت عنوان (لكي ننهي غربتنا الثقافية) مجلة الاداب البيروتية ، العدد الخامس ، ايار ١٩٧٥م ، السنة الثالثة والعشرون . ص ٨ .

2 ـ اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبة بلدية نابلس العامة ، ١٩٧٥ ، ص ٦٥ .

3 ـ سورة الاسراء ، الاية ٨١ .

لقـــد اعتصـــمت بحبــل حبــك فاعتصـــم حبـــــا بحبـــلي (١)

في القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . (٢)

عبد الرحيم :

لمـــا قضى وطـــرا بفضل سيوفنا نســـي اليد البيضـــا ولم يتذكر (٣)

في القرآن : « . . . فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا » . (٤)

عبد الرحيم :

كل قلب لـــــــــك فيـــه مصحف فيـــه من ذكـــرك قـــرآن خلود

ســـور قـــد فصلت آياتهـــــــا لـــم تـــزل تتلى على الدهر الابيد (٥)

في القرآن : « كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون » . (٦)

عبد الرحيم :

فانهجـــوا نهجـــا قويمـــا واعملـــوا لا تبخســـوا مثقال ذرة (٧)

في القرآن : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » (٨)

عبد الرحيم :

فهـــــل امـــر الزنـــوج له معاد وكم شـــيء كرهت حمدت امره (٩)

في القرآن : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » (١٠)

---

١ ــ الديـــوان ، ص ٣٤ .
٢ ــ آل عمران ، الاية ١٠٣ .
٣ ــ الديـــوان ، ص ٤٠ .
٤ ــ الاحـــزاب ، الاية ٣٧ .
٥ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٦٢ .
٦ ــ فصلت ، الاية ٣ .
٧ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٥١ .
٨ ــ الزلزلـــة ، الاية ٧ .
٩ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٤٨ .
١٠ــ البقـــرة ، الاية ٢١٦ .

عبد الرحيم :

اغضضي او صعري خدك لي وخذي غيري عشاقا جدادا (١)

في القرآن : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، ان انكر الاصوات لصوت الحمير » (٢)

عبد الرحيم :

واذا عتاق العرب تورى في الدجى قدحا وتصهل تحت كل غضنفر (٣)

في القرآن : « فالموريات قدحا » . (٤)

عبد الرحيم :

نصروا الله فلم يخذلهمو بل جزاهم ربهم فوزا ونصره (٥)

في القرآن : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . (٦)

عبد الرحيم :

واعدوا لم يقلها ربكم عبثا فلتحسنوا في الذكر نظره (٧)

في القرآن : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » . (٨)

عبد الرحيم :

فكنت انادي الحريق الحريق ونـاديت يا نار كوني احر (٩)

في القرآن : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » . (١٠)

---

١ ـ الديوان ، ص ٤٢ .
٢ ـ لقمان ، الايتان ١٧ ، ١٨ .
٣ ـ الديوان ، ص ٣٩ .
٤ ـ العاديات ، الاية ٢ .
٥ ـ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٥٠
٦ ـ ال عمران ، الاية ١٦٠ .
٧ ـ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٥٠
٨ ـ الانفال ، الاية ٦٠ .
٩ ـ الديوان ، ص ٣٦ .
١٠ ـ الانبياء ، الاية ٦٩ .

عبد الرحيم :

هات اسقني واحلل (م) براحك عقدة زمت لساني (١)

في القرآن : « واحلل عقدة من لساني » . (٢)

عبد الرحيم :

فيهما ما لم يكن ها روت يدري من فنون (٣)

في القرآن : « . . . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة . . . » (٤)

ويلاحظ ان الشاعر يستعمل التراكيب القرآنية في شعره ، ولكن في غير ما وردت له في مكانها من القران الكريم ، فكثيرا ما يورد عبد الرحيم التعبير القرآني لايضاح معان أخرى في شعره .

ويظهر ان عبد الرحيم يعود كثيرا الى ذاكرته الدينية ويستمد مما اختزن فيها من معان دينية ، وقيم روحية ، فظهر معناها في شعره ، كقوله :

هي في دنياي سر مثلما قد غدا اسم الله سرا في السور
لا ارى الجنة ، ان ادخلتها وهي خلو منك الا كسقر
فيصلي القلب في كعبته وتضم الروح قدسي الحجر (٥)

وهو يجيد اقتباس الكلمات واستلهام المعاني مما يشهد له بتفوق وفن ، ذلك انه يصوغ افكاره بأسلوب متين محكم .

ويظهر اثر ثقافته الدينية في اسلوبه الشعري حيث يقول :

فيقول حقا ليس يخشى لومة والحق أروع ما حوى الاسلام (٦)

---

١ ـ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ٢١١ .
٢ ـ طه ، الاية ٢٧ .
٣ ـ الديوان ، ص ٣١ .
٤ ـ البقرة ، الاية ١٠٢ .
٥ ـ قصيدة « حنين الى الوطن » الديوان ، ص ١٧ .
٦ ـ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٥٩ .

وفي قوله :

ورويننا عنه آيات سنا   واحاديث ثناء مسندات (١)

وفي قوله :

وتجمل دنيا زهدنا بها   والا فموعدنا الاخرة (٢)

وتقف قصيدته « ذكرى الهجرة » (٣)، شاهدة على تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ويعزى هذا التأثر الى نشأة الشاعر في بيئة دينية محافظة ، والى ثقافته الدينية ، والى استيعابه معاني القرآن الكريم ، والاعجاب به .

---

١ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٦٦ .

٢ ــ المرجع السابق ، ص ٦٩ .

٣ ــ نفسه ، قصيدة ذكرى الهجرة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

و ــ ملامح من الشعر العربي :

قرأ عبد الرحيم دووابن شعراء العربية : القدامى منهم والمحدثين ، وتركت هذه القراءة آثارها الواضحة في شعره ، ويبـــدو أن شاعرنا قرأ لكل من طرفه بن العبد البكرى وعمر بن ابي ربيعة المخزومي وبشار بن برد كمـــا قرأ لابي الطيب المتنبـــي واعجب بشخصيته وبشعره ، حتى انه سمى ابنه البكر (الطيب) ، كمـــا قرأ لصفي الدين الحلي وللرصافي ولحافظ ابراهيم ولعلي الجارم ، وتأثر بهم ، واخـــيرا تتلمـــذ شاعرنا على يد استاذه وشاعره (ابراهيم طوقان) ، ولكنه ظل يحتفظ بطابعه الفني وبأسلوبه الخاص في شعره .

ونورد فيمـــا يلي أهم الجوانب التي عكست تأثر شاعرنا بشعر هؤلاء :

يقول عبد الرحيم :

واحمي حيـــاضي بعـــد الحسام ذيعـــلم قـــومي بأنـــي الفتى (١)

ويبدو انه متأثر بقـــول طرفة بن العبد في قوله :

اذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيـــت ، فلـــم أكســـل ولم اتبلد (٢)

واستطاع عبد الرحيم أن يأخذ المعنى ويطوره باسلوب جمع بين الحماسة والفخر ، فعبد الرحيم جمع بين دفاعه عن وطنه وتحقيق فتوته وشجاعته ، فشهد له قـــومه ، و (القوم) عند عبد الرحيم تعني العرب في حين تقف كلمة (القوم) عنـــد طرفـــة دالة على رجال قبيلته ، وبيت عبد الرحيم أسهل مأخذا ، وأوسع معنى ، واكثر تدليلا على التزام الشاعر بقضية بلاده ، وصدق وطنيته وعروبته ، وان كان لطرفة فضـــل الســـبق الى المعنى .

ويقول عبد الرحيم في موضع اخر :

قالت وان هـــولت لي ذمهـــا : « فحســـن في العين ما قـــد تود »

---

١ ــ الديوان ، ص ١٣ .

٢ ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ابو بكر الانباري ، تحقيق عبد السلام محمد هـــارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٨٣ .

وهو ملتفت هنا الى قول عمر بن ابي ربيعة :

فتضاحكن وقد قلن لها : حسن في كل عين من تود (١)

وهو تأثر واضح ، اخذ عبد الرحيم المصراع الثاني من بيت عمر بلفظه ومعناه وضمنه بيته السابق ، دون أن يصل الى مرتبة عمر ، فجرى الشطر الثاني مجرى المثل ، كما نجح عمر في توظيف الفعل (تضاحكن) للتعبير عن موقف من مواقف النساء وهن يتهكمن على صاحبته المعجبة .

وحين يصور عبد الرحيم جو المعركة ، يقول :

واذا السيوف كأنهن كواكب تهوى تلامع في العجاج الاكدر (٢)

وهو يلتفت هنا الى بيت بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه (٣)

وانتفع عبد الرحيم محمود من بيت بشار السابق الى حد كبير ، حتى كرر الفاظا مثل (السيوف ، كواكب ، تهوى ، كأنهن) ، وهي نفس الالفاظ التي استخدمها بشار في بيته ، الا ان بشارا يستعمل (اسيافنا) وهي جمع قلة ، وعبد الرحيم يستعملها جمعا للكثرة . ويحقق بذلك نجاحا ، في حين وفق بشار في استعمال الفعل (تهاوى) — والاصل تتهاوى — للتعبير عن تلاحق نزول السيوف ولمعانها في المعركة ، وفي هذا تدرج وتتابع واستمرار يناسب جو المعركة ، لان في هذا الفعل صورة حركية واضحة .

وبشار — في بيته السابق — أوسع خيالا ، وأسبق فكرة ، وأقوى سبكا ، وأقدر على استخدام تشبيه التمثيل . واحسن انتخابا لقافيته من عبد الرحيم ، الذي لم يأت بجديد في بيته ، ولكنه قصر في احتذاء بشار في رسم الصورة .

---

١ — ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي ، اعداد وتقديم علي مكي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ١٨٦ .

٢ — الديوان ، ص ٣٩ .

٣ — ديوان بشار بن برد جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦ .

ونقف لعبد الرحيم على بيتين من قصيدتين مختلفتين ، يقول في الاول :

فامـا حيـاة تسـر الصديق   واما ممـات يغيـظ العـدا

ويقول في الثاني :

مصرع الابطـال ما بين الحديد   في الميـادين ورفـات البنـود

ولدى موازنة هذين البيتين مع بيت ابي الطيب المتنبي :

عش عـزيزا أو مت وأنت كريم   بـين طعـن القنا وخفق البنود (١)

تظهر لنا جملة ملاحظات ، منهـا :

١ ـ نجح عبد الرحيم محمود في التعبير عن المعنى في بيته الاول ضمن معـادلة متكافئة الطرفين ، تضع المرء أمـام اختيارين صعبين ، الا على الابطال والشهداء : حياة حرة كريمة ترضي الصديق ، أو موت شريف يقهر العدو ، وفي بيت عبدالرحيم هذا معنى سام ، وخلق عظيم ، عبر عنهما شاعرنا ببساطة ووضوح ، مما جعل بيته قريب المأخذ ، سريع النفاذ .

٢ ـ قرر عبد الرحيم في بيته الثاني ، ان استشهاد الابطال يكون في ساحة المعركة ، بين صوت السلاح ، وتحت رفات البنـود ، وهو استشهاد مشرف ومـوت بطولي يستحق الافتخـار .

٣ ـ الا ان المتنبي استطاع ان يجمع معنى البيتين ، في بيت واحد ، فاستحق بذلـك فضل السبق ، وشمول المعنى ، وبلاغة الايجاز ، حتى لقـد ذاع بيته ، واشتهر

٤ ـ أجاد عبد الرحيم في بيتيه السابقين الا انه لم يصل في هذه الجودة الـى مرتبة المتنبي .

ومن تأثر عبد الرحيم بالمتنبي أيضا قوله :

واستنصر العـرب الكرام وانهم   غوث الطـريد ونصرة المستنصر (٢)

---

١ ـ ديـوان المتنبي ، البرقوقي ، ج ١ ، ص ٤٥ .

٢ ـ الديـوان ، ص ٣٩ .

ويقول المتنبي :

وبهم فخر من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد (١)

وفي البيتين فخر بالعرب واعتزاز بأمجادهم ، الا ان فخر عبد الرحيم بهذا مناطه نصرتهم المستنصر ، وغوثهم الطريد (وهو يشير هنا الى نصرة العرب للحلفاء) في حين يبدو احتذاء عبد الرحيم للمتنبي في الشطر الثاني لفظا ومعنى ، واستطاع عبد الرحيم أن يستخدم ذلك بشكل يتناسب والظروف السياسية والوطنية في فلسطين. اما المتنبي فجاء فخرة بالعرب شاملا ، فهم أفصح من تكلم العربية ، اعتادوا حماية الجاني ، واغاثة الطريد ، وهذه قيم اخلاقية واجتماعية حرص العربي على تمثلها والحفاظ عليها منذ القدم .

وليس غريبا ان يتفوق المتنبي في فخره ، فهو امام هذا اللون في العصر العباسي الثاني بخاصة وفي مختلف العصور بعامة .

واذا كان عبد الرحيم قد تألم لوضع العربية ، ونعى على أهلها تقصيرهم وانصرافهم عن روائعها بقوله :

لهفي على الفصحى رماها معشر من أهلها شلت يمين الرامي

لم يهتدوا لكنوزها فاذا بهم يرمونها بالفقر والاعدام

الدر في طي البحور مخبأ والتبر ان تنشده فوق رغام (٢)

فهذا حافظ ابراهيم ـ شاعر النيل ـ يقول في هذا المعنى من قصيدة على لسان اللغة العربية بعنوان (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها) :

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم اجزع لقول عداتي

انا البحر في احشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي (٣)

ولدى الموازنة بين ابيات عبد الرحيم وبيتي حافظ ، يبدو اخذ الاول عن الثاني

---

١ ـ ديوان المتنبي ، ج ١ ، ص ٤٧ . ٢ ـ الديوان ، ص ٤٤ .

٣ ـ ديوان حافظ ابراهيم . ضبطه وشرحه ورتبه : احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، الجزء الاول ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٩٥٦م ص ١٩٤ .

وتأثره به من حيث المعنى ، في حين اتفق الشاعران في التعبير عن غيرتهما على العربية ، وفي الاشادة بكنوزها ودورها ، وفي تقصير ابنائها في المحافظة عليها والنهوض بها .

واستطاع عبد الرحيم ان يأخذ هذه المعاني ، وان يجيد سبكها في شعره بصور معجبة ، دون ضعف أو تقصير ولم يصل في كل ذلك الى مرتبة شاعر النيل .

ويقف بيتا حافظ ابراهيم شاهدين على قدرة الشاعر على امتلاكه لناصية البيان واللغة ، فأحسن التعبير عن معناه على لسان العربية نفسها ، في ايجاز ويسر وجمال.

ولعبد الرحيم أبيات في عيد الجامعة العربية يقول فيها :

حلم لقد لابت عليه نفوسنا	اجمل بأن تتحقق الاحلام
جمع التشتيت فكل قطر درة	في تاجه والوحدة النظام
فاذا تشكى النيل من آلامه	شقت مرائر دجلة الالام
واذا تنادى المغرب الاقصى لدى	جلى استجابت للنداء الشام
ذهبت خرافات الحدود فكلها	وطن لنا لو صحت الافهام (١)

ولدى النظر والموازنة يظهر تأثر عبد الرحيم محمود بعلى الجارم ، الذي يقول في تأسيس الجامعة العربية قصيدة (انشدت في حفل حاشد بنادي الشبيبة بالقاهرة لتكريم زعماء الاقطار العربية سنة ١٩٤٤) جاء فيها :

لقد كان حلما ان نرى الشرق وحدة	ولكن من الاحلام ما يتوقع
اذا عددت راياته فهي راية	وان كثرت اوطانه فهي موضع
فليست حدود الارض تفصل بيننا	لنا الشرق حد والعروبة موقع
تذوب حشاشات العواصم حسرة	اذا دميت من كف بغداد اصبع

---

١ — الديوان ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

ولو صدعت في سفح لبنان صخرة | لدك ذرا الاهرام هذا التصدع
ولو بردى انت لخطب مياهه | لسالت بوادي النيل للنيل ادمع
ولو مس رضوى عاصف الريح مرة | لبانت له اكبادنا تتقطع (١)

ونجمل اهم الخصائص المشتركة بين الشاعرين :

١ ـ اتفاقهما في التعبير عن مناسبة وطنية واحدة هي (عيد الجامعة العربية) كما يتفقان في قدرتهما على نقل احساسهما الوطني والقومي نقلا عميقا حارا .

٢ ـ تشابه الشاعرين في تصوير فكرة الجامعة العربية بالحلم الجميل الذي هفت النفوس اليه وطلبته منذ زمن .

٣ ـ صدقهما في التعبير عن جو المشاركة الوجدانية والتآلف العربي في وجه المصائب والخطوب ـ وان كان الجارم قد افاض في تصوير ذلك ـ وهي أمور تملى عليها من وحدة العرب المتمثلة في : وحدة الاصل واللغة والدين والعادات والتقاليد وفي الهموم والاهداف والمصائر المشتركة .

٤ ـ الغاء الحدود الوهمية الفاصلة بين الاقطار العربية ، باعتبار الوطن العربي بقعة جغرافية واحدة لشعب عربي واحد .

واذا كان على الجارم قد فاز بفضل السبق ، وبسط المعاني ، وحسن الاداء ،

فان عبد الرحيم استطاع أن يرقى في ادائه الفني وفي جمال تصويره كما هو الشأن (في البيت الثاني) ، كما أجاد في التعبير عن فكرته الوحدوية (في البيت الاخير) حيث دعا الى ترسيخ مفهوم الوحدة العربية من خلال هجومه النقدي على دعاة التجزئة .

أما تأثر عبد الرحيم بصفي الدين الحلي فقد بدأ من خلال قصيدة شاعرنا التي تحدثنا عنها في هذا البحث تحت عنوان (جيش الحبائب) (٢) والتي عارض فيها الحلي في قصيدته البائية التي مدح فيها الشاعر الملك الناصر محمد بن قلاوون .

---

١ ـ ديوان علي الجارم ، الجزء الرابع ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٤٧م ، ص ٤٣ .
٢ ـ انظر القصيدة ايضا في : الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، مكتبة نابلس ص ٦٧

يقول صفي الدين الحلي في قصيدته : (١)

اســبلن من فوق النهــود ذوائبا فتــركن حبات القــلوب ذوائبــا
وجلــون من صبح الوجوه اشعة غــادرن فــود الليل منها شائبا
وربائب فــاذا رأيــت نفــارها من بســط انسك خلتهــن ربائبا
ســفهن رأي المانــوية عنــدما أسبلن من ظلــم الشعور غياهبا
وسفرن لي فرأين شخصا حاضرا شدهت بديهتــه وقلبــا غائبــا
اشــرقن في حلــل كــأن وميضها شــفق تدرعه الشموس جلاببــا
وغــربن في كلل فقلت لصاحبي : (بأبي الشموس الجانحات غواربا)

وقد عارض صفي الدين الحلي بقصيدته السابقة أبا الطيب المتنبي الذي مدح علي بن منصور الحاجب بقصيدة استهلها المتنبي بالنسيب قائلا : (٢)

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابســات من الحــرير جلاببــا
المنهبــات قلــوبنا وعقــولنا وجنــاتهن النــاهبات الناهبــا
الناعمــات القــاتلات المحييــا ت المبديــات مــن الدلال غرائبا
يا حبــذا المتحمــلون وحبــذا واد لثمــت بــه الغــزالة كاعبا

ان التشابه في النهج الفني الواحد يبدو واضحا عند الشعراء الثلاثة (عبد الرحيم والحلي والمتنبي) ، وان كان عبد الرحيم قد قصر قصيدته على الغزل الخالص ، بينمــا قال الاخران قصيدتيهما في المدح واستهلاهما بالنسيب والغزل على عادة القدامى ، ومع ذلك فقــد استطاع عبد الرحيم أن يرقى باسلوبه وصياغته الشعرية الى مستوى الشــعراء الكبــار ، فعــرض لنــا افكارا جــديدة بصــور فنيــة .

---

١ ـ ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر ، بيروت للطباعة والنشر ، سنة ١٩٦٢ ، ص ٩٥ .

٢ ـ ديوان المتنبي ، ج ١ ص ٢٥٠ .

وقد استطاع شاعرنا ان يشدنا ــ بهذه المعارضة ــ الى قصيدتي الحلبي والمتنبي وان يستلهم تراثنا العربي ، ويفيد منه على النحو الذي رأينا .

ويبدو أن شاعرنا قد تأثر بشاعر العراق الكبير (معروف الرصافي) الذي التقاه حين أقام في العراق زمنا .

ويعلق ابراهيم عبد الستار في معرض حديثه عن قصيدة عبد الرحيم محمود « انشودة التحرير » التي القاها في مهرجان حيفا يوم القادسية .

ان ايامنا ابتسامة ثغر	لم يدر قبلها بثغر الدهور
نشرت ميتة الاماني واحيت	أملا عارما بقلب كسير

يعلق بقوله « يبدو لي ان الاستاذ الشاعر كان متأثرا بشاعر العراق الكبير معروف الرصافي ، وتأثره في اداء المعنى والحبك ظاهران في قصيدة الرصافي التائية التي يقول فيها :

أم المؤمنين اليك نشكو	مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها	« نكاد نغص بالماء الفرات »

ولعل نفسية شاعرنا تتواءم مع نفسية الرصافي في اكثر من قصيدة واحدة كما تتواءم في المبدأ والنزعة والنضال » (١)

وظهر تأثر عبد الرحيم بشا عر فلسطين الكبير « ابراهيم طوقان » في الخط الوطني الذي التزمه كلا الشاعرين ، فقد كتب الشاعران عن الشهيد ، كما كتبا رثاء للملك غازي ، ورصدا أحداث فلسطين الوطنية بدقة وعمق .

ونسوق هنا قصيدة « رثاء غازي » لابراهيم طوقان ، وهي نشيد لحنه المرحوم يحيى اللبابيدي واذيع من محطة القدس انذاك .

---

١ ــ انظر النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ١٩ ، وديوان الرصافي ، جـ ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، قصيدة التربية والامهات ، ص ٣٤٩ .

ـل طـوقان : (١)

رايـــة روعهـــا خطـــب عراها خفقـــت والهـــة فـــوق ذراهـــا
والصـــبا مـــرت بـــه نائحـــة جزعا تنمـــى الـــى الدنيا فتاها

يا رايتـــي تجـــملي وبعـــد غـــازي املـــي واعتصـــمي بفيصـــل
امنيـــة المســـتقبل

كمهـــد غازي اشرقي على الحمـــى ورفرفي منيعـــة بفيصـــل
ريحـــانة المستقبل

يا سليل المرهفات الباتـــرات وابـــن رايات المعالي الخـــالدات
نـــم رضي البـــال وانعم انمـــا عهـــدنا عهـــدك عـــزم وثبات

نم بالهنـــا فاننـــا وراء تحقيـــق المنـــى نبنـــي بهـــن الوطنـــا
فيعـــتلي ويعـــتلي

ولـــم نـــزل له الغدا حتى ينـــال الفرقـــدا مكـــرما مخـــلدا
مؤيـــدا بفيصـــل

ويلحظ القارىء تأثر عبد الرحيم بطوقان في موضوع القصيدة وفي بنائها الفنـــي الذي يعتبر ضربا من التوشيح ، وقـــد عرضنا لقصيدة عبد الرحيم في رثاء الملك غازي.

لقد جاء شعر عبد الرحيم على قد تجربته ، بسيطا سهلا واضحا ، لكنه لم يكـــن
قـــد ، أو تابعـــا لغيره في كل ما صدر عنه من شعر .

---

١ ــ ديوان ابراهيم طوقان ، ص ١٨٨ .

٢ ــ الصورة الفنية في شعر عبد الرحيم محمود :

يقف الناظر في شعر شاعرنا على صور شعرية استطاعت ان تنقل تجـــربته وقد تنوعت ما بــين الصـــورة الكليـــة والصورة الجزئية ، في حين امدته بيئـــاته المتنوعة التي درج فيهـــا (الريفية والمدنية والصحراوية) بصور متنوعة الظـــلال والالوان ، مختلفة الاطر والابعاد ، الا أنـــه استطاع ان يجسد مواقفه الملتزمة بلوحات فنية هي في حقيقة الامر جزء من فكره ووجدانه .

وسنحاول ان نتتبع الصور التي رسمها في قصائده والتي تشهد على قدرة الشاعر في المواءمة بين فكره وعاطفته وخياله ، وان كنا لا نعـــده من شـــعراء التصـــوير الفني فقـــد كان مقـــلا من جهة ، ومكتفيا بالصورة البسيطة التي لا تقـــوم علـــى تشـــابك العلاقات من جهة اخرى .

فحين يعمد شاعرنا الى تصوير جسد الشهيد وقـــد جندل فوق الهضاب ، يرسم لذلك صورا جزئية ، تنمـــو وتترابط في اتساق لتفضي في النهاية الى صورة كلية ، وهي عبارة عن مشهد فني واحد تعززه العناصر الحركية واللونية ، فيصبح اكثـــر ايحاء وتعبيرا ، يقـــول عبد الرحيم في « الشهيد » : (١)

وجسم تجـــدل في الصحصحـــان	تنـــاوشه جـــارحات الفـــــلا
فمنـــــه نصيـــب لطـــير السماء	ومنـــــه نصيب لاســـد الثـــرى
كســـا دمه الارض بالارجـــوان	واثقـــــل بالعطـــــر ريح الصبا
وعفـــر منـــه بهـــي الجبـــين	ولكـــن عفـــارا يزيـــد البهـــا
وبـــان علـــى شـــفتيه ابتســـام	معـــانيه هـــزء بهـــذي الدنـــا
ونـــام ليحـــلم حـــلم الخلـــود	ويهنـــأ فيـــــه بأحـــلى الـــرؤى
لعمـــرك هـــذا ممـــات الرجـــال	ومن رام مـــوتا شـــريفا فـــذا

فالصورة الجزئية التي رسمها الشاعر في الابيات السابقة ، ليست قائمة على علاقات مجازية للالفاظ ، ولكنها تولدت من الالفاظ الحقيقية ذات الدلالات الايحائيـــة

---

١ ــ الديـــوان ، ص ١٣ .

التعبيرية . هذه الصورة استوحاها الشاعر من جو المعركة وقد استطاعت الكلمات (الصليل ، مسيل ، تجدل ، تناوشه ، ريح الصبا ، عذر ، ابتسام) أن تجمع عناصر حركية وصوتية ، وان تفرد كل كلمة منها ايحاءاتها وظلالها وحدها ، كما ظهر عنصر اللون في كلمتي (الدماء ، والارجوان) .

والملاحظ ان الصورة الجزئية في الابيات السابقة لم تقم على اساس المشاهدة الحسية والوصف المباشر لحالة الشهيد وحسب ، ولكن آزرها شعور الشاعر واحساسه وفكره ، فهو انما يضفي عليها شيئا من داخل نفسه لتغدو حية عميقة ، كما ظهر تتابع هذه الصور وتلاحمها وتطورها تدريجيا حتى افضت في النهاية الى صورة كلية خدمت تجربته الفنية ، فاذا كانت أجزاء الصورة قد بدأت بتصوير جو المعركة (البيت الاول) من سماع الصليل ، ومسيل الدماء ، فانها انتقلت الى وضع اخر صور جسد الشهيد وقد جندل فوق الهضاب ، وحطت عليه طيور البر الكاسرة، ولعل الصورة تترك ظلالها النفسية في هذا الموقع ، حيث يسقط الشاعر حزنه الداخلي على حالة الشهيد هذه ، والتي هي رمز مأسوي للشعب الفلسطيني الذي تقتل منه الكثير في معارك الفداء والتحرير ، والشاعر لا يقدم وصفا خارجيا لموضوعه ولكنه يترك للصورة مجال الافصاح عن نفسها وعن نفسية الشاعر والشهيد معا، لان عبد الرحيم يحلم بالشهادة ، وهو في حلمه يسعى للمؤالفة بين الحلم والحقيقة التي يراها في ساحة القتال ، وهنا تصبح ناقلة للحالة الشعورية والفكرية متآلفة مع موضوع القصيدة وجوها :

وبان على شفتيه ابتسام   معانيه هزء بهذي الدنا

ويقف البيتان الاخيران دليلا على نمو الصور الجزئية ، وترابطها لتشكل موقفا هو جوهر التجربة الشعرية عند عبد الرحيم ، حيث يعلن عن احلام هذا الشهيد الماثلة في تحقيق الخلود الطالع من هذا الموت الرجولي الشريف ، وهنا تصبح الصورة الكلية انسانية ، قادرة على تصوير (الشهادة ـ النموذج) اصدق تصوير .

وحتى حين يتكيء الشاعر على التشبيه في التصوير فان صورته الجزئية تأتي قوية وحية ، فيها رؤيا فنية ، وانسجام كبير مع الشعور العام في القصيدة ، يقول الشاعر :

بقلبي سأرمي وجوه العداة وقلبي حديد وناري لظى
واحمي حياضي بحد الحسام فيعلم قومي بأني الفتى

وعندما يرسم عبد الرحيم صورة « للشعب الباسل » (١)، نحس بتماسك أجزاء الصورة وتكاملها وقوتها ، وتبدو الالفاظ فيها حاملة لدلالاتها موحية بقوة هذا الشعب، مصورة لعزمه وكرامته .

شعب تمرس في الصعاب ولم تنل منه الصعاب
لو همه انتاب الهضاب لدكدكت منه الهضاب
متمرد لم يرض يوما أن يقر على عذاب
عمرانه بلغ السماء وراسه نطح السحاب
وعداته رغم الانوف تذللا حانو الرقاب

وتبدو عناصر الصورة الحركية من خلال الكلمات (تمرد ، انتاب ، دكدكت ، بلغ نطح ، حانو الرقاب) ، وربما استطاعت الصور الجزئية في الابيات أن ترسم لنا صورتين متقابلتين لكل من الشعب الباسل ، والعدو الذليل ، يوم ان كان للعرب سطوة وجاه .

الا ان الشاعر يعتمد في بعض صوره على دلالات الالفاظ المجازية ، القائمة على التشبيه والاستعارة ، ومع ذلك لا تفقد هذه الصورة جمالها بل تظل رافدة للشعور النفسي عند الشاعر ، لانه يتجاوز الوصف الحسي المباشر الى التعبير الايحائي عن حقيقة الشعب العربي ، وعن مطامحه النفسية فيقول :

حييت من شعب تخلد (م) ليس يعروه ذهاب
لفت الورى منه الزئير (م) مزمجرا من حول غاب
وارى العدا ما اذهل الدنيا (م) وشاب له الغراب (٢)

١ ــ الديوان ، ص ١٦ .
٢ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص١٢٥

ونقرأ قصيدة « الى كل متهاود » (١) التي تعطي تصويرا موضوعيا للفكرة باسلوب قصصي ، حيث تتعانق الصور الجزئية على نحو متناسق ومرتب ، وتتلاحم لتشارك في الحركة العامة للقصيدة ، وذلك بفعل اندماج الوحدة الشعورية مع الوحدة الفنية اسهاما في ابراز الفكرة وتوضيحها وهنا نلاحظ تحقق الوحدة فيها على النحو التالي :

يا من تـوله بالحبيب (م)	هنـاك قـد رجـع الحبيب
لقـد انتظـرت ايابـه	شـوقا فهـا هـو ذا يؤوب
في جيبـه لعـب الهـوى	يلهـو بهـا الصـب اللعـوب
لك في حقيبتـه نصيـب (م)	فاخـر بئـس النصيـب
فلتنتظـر غـدا « الكراسي» (م)	ساكتـا وغـدا قريـب
يا شـعب يا مسـكين لـم	تنكـب بنكبتـك الشـعوب
قـادت امـرك مـن بهـم	لا يرجـع الحـق الغصيـب
لهفـي عليـك الا تـرى	يا شـعب حـولك ما يريـب

ويمكن ان نلاحظ كيف استطاعت الصور الجزئية ان تتآلف وتكون صورة كلية معبرة عن الجو السياسي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني آنذاك .

وحين تصبح الصورة الشعرية قادرة على تصوير الهم الجماعي من خلال هم الشاعر الذاتي ، فانها ترقى الى مستوى ناضج وعميق ، لانها تتفرد برؤية شاملة تستطيع ان تصور الواقع ، وتستشرف أبعاد المستقبل ، فتتنبأ بحدوث النكبة ، هذه الصورة يرسمها عبد الرحيم بعينه اللاقطة ، وشعوره الصادق ، وفكره الواعي حين يقول :

يا ذا الامـير أمام عينيك شاعر	ضمت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الاقصى أجئـت تزوره	أم جئـت من قبل الضياع تودعه ؟
وغـدا وما أدنـاه لا يبقى سوى	دمـع لنـا يهـمي وسن نقرعه (٢)

---

١ ــ الديوان ، ص ٣٨ .

٢ ــ الديوان ، ص ٤١ .

واستطاع الشاعر ان يجسد الافكار ، ويعبر عن المواقف الوطنيـــة والانسانية بالصورة ، ففي قصيدة « البطل الشهيد » (١) التي قالها في رثاء القائد المجاهـــد عبد الرحيم الحاج محمد نقف أمــام ثلاث صور كلية أفضــت بهــا صور جزئية متآلفة فنيــا وفكريا وشعوريا . أمــا الصورة الاولى فيرسمها وهو يعبر عن جو الحــزن الذي خلفــه هذا البطل الشهيد (عبد الرحيم الحاج محمد) حيث أقفــر الميــدان من فرسانه ، وخلا الغاب من أهله الاسود ، وخمدت النيران ، فريع الحمى ، وتقلصــت الحدود ، يقــول عبد الرحيم :

أيهـــا القــائد لــم خلفتنـــا	ولمــن وليــت تصـــريف الجنود
أقفــر الميــدان من فرســـانه	وخــلا من أهلـــه غــاب الاسود
خمــدت نــار لقــد أضرمتهـــا	لعدى كانــوا لهـــا بعض الوقود
والحمى قــد ريع يا ذخــر الحمى	وغـــدا بعـــدك منقــوص الحدود

ويبدو حسن التئام الوسيلة التعبيرية والشعورية في الابيات السابقة ، ساعد على ذلك الالفاظ التي تركت ظلالا من الحزن والاسى من مثل قوله (خلفتنا ، أقفر ، خلا ، خمدت ، كانوا ، ريع ، منقوص) هذه الكلمات تعززها العوامل النفسية والفكرية ، لذا جاءت بعيــدة عن الوصف المباشر ، أو التصوير الحسي الخارجي للمصيبة ، ولكنها نفذت الى الداخل لتصور حزن النفوس ومنزلة الشهيد لدى الجماهير الغاضبة ، واذا كان الامر كذلك فان الصور تغــدو وسيلة جوهرية ناجحة للتعبير عن التجربة الفنية ونقلهـــا للجمهـــور المتلقي .

ولعل هذا الحزن الصامت في (أقفر وخلا وخمدت نار) قد حل في مكان (الميــدان، غاب الاسود ، الحمى) وعبر زمان هو عام ١٩٣٩م ، وقد تآزرت عنـــاصر الصورة (الحركة والصوت ، المكان والزمان) في رسم اللوحة .

---

١ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٣٠ وما بعدها .

اما الصورة الثانية ــ من القصيدة نفسها ــ فجاءت تموج بالحركة الصاخبة والحزن الصارخ ، وهي صورة في مكانها الطبيعي من الحالة النفسية ، فالانسان يفاجأ بوقع المصيبة ، ويذهل لسماعها حينا ثم لا يلبث أن يصرخ وينفجر حين يدرك فظاعة الخطب ، وقد عبر شاعرنا عن ذلك بقوله :

برزت فيها المصونات ضحى صارخات قارعات للخدود

اما الصورة الثالثة فتكاد تتآزر وتتالف مع الصورتين السابقتين ، لتكون صورة منسجمة مع فكرة القصيدة ، متمشية مع الشعور العام فيها ، وهي صورة غنية بالحركة واللون كما يظهر في قول الشاعر :

مصرع الابطال ما بين الحديد	في الميادين ورفات البنود
هذه أعراسهم صاخبة	نقرة الدف بها قصف الرعود
فيروون الثرى من دمهم	ويحنون بها كف الصعيد
ويزفون عليهم حلل	من نجيع الحرب تزرى بالبرود

الى أن يقول :

جمد الدمع بعيني جزعا	يالنار القلب من دمعي الجمود
فاذبت الروح أبكيك بها	بدل الدمع فسالت في نشيدي

والابيات كما نرى غنية بالصور الجزئية ، ولا يكاد بيت يخلو منها ، ومردها الى تآلف أجزاء الصورة ، وابتعادها عن التشبيهات المفردة ، وتجاوزها لحدود الواقع الحسي المنظور الى واقع شعوري أكثر عمقا ورحابة ، فشاعرنا يذيب شيئا من نفسه وفكره في الصور لتتحول الى عالم فني يموج بالصدق والتأثير كما ظهر في البيتين الاخيرين .

ويلفت انتباهنا كلمة (أعراسهم) التي تشكل وحدها صورة متعددة الجوانب والالوان عميقة الدلالة لتعانق الحياة مع الموت على صورة الشهادة ، وهنا ندرك أن شاعرنا قادر على اقتناص الكلمات المعبرة عن تجربته أصدق تعبير .

وفي قصيدة « دعوة الى الجهاد » (١) يرسم عبد الرحيم صوراً جزئية يبدؤها بصورة تقليدية قائمة على الاستعارة ، ومع ذلك لا تفقد هذه الصورة ايحاءها ودلالتها النفسية ، فهي تتجاوز الواقع الحسي لتنطلق من داخل نفس الشاعر ، حيث يقول :

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد فخف لفرط فرحته فؤادي

الا ان هذه الصورة تتدرج فكريا وزمنيا ، وتأخذ شكلا جديدا ترسمه الكلمات الفنية بالصورة الحركية المتتابعة ، فالشاعر يبدأ بتلبية نداء الوطن ثم يسابق النسيم ليقدم روحه فداء لوطنه ، وينهي الصورة بصورة اخرى طريفة وجديدة يرسمها للمتقاعس المتخاذل الذي يجبن عن المشاركة في النضال ، وهنا تتعانق عناصر العمل الادبي : الفكرة ، واللغة ، والعاطفة والخيال والايقاع الموسيقي لتكون هذه الصور التي نشاهدها في الابيات التالية :

وسابقت النسيم — ولا افتخار — اليس على أن أفدى بلادي
حملت على يدي روحي وقلبي وما حملتها الا عتادي
وقلت لمن يخاف من المنايا أتفرق من مجابهة الاعادي ؟
اتقعد والحمى يرجوك عونا وتجبن عن مصاولة الاعادي ؟
فدونك خدر أمك فاقتحمه وحسبك خسة هذا التهادي

وتلفت انتباهنا عضوية الصورة الشعرية في الابيات حيث التأمت مع الوحدة الشعورية ، والوحدة الموضوعية التحاما قويا ، ثم ساعدت بالتالي على تقديم لوحة فنية تنمو مع الفكرة العامة في القصيدة ، ولا شك في أن عناصر الصور الحركية قد شحنت بها الكلمات (سابقت ، أفدى ، حملت ، مصاولة ، فاقتحمه ...) كما تولد في الصور السابقة تزاوج ما بين الحركة الخارجية للمنظر والحركة الداخلية في نفس الشاعر ، تلك التي تقوم على أرض الفرح النضالي والرغبة الصادقة في الشهادة .

---

١ — الديوان ، ص ٥١ .

ونقف في قصيدة « عيد الجامعة العربية » (١) على عدة صور يبدؤها شاعرنا بصورة تعبر عن التئام شمل الدول العربية داخل اطار هذه الوحدة ، فيقول :

جمع الشتيت فكل قطر دره ... في تاجه والوحدة النظام

ويلفت النظر في هذه القصيدة تتابع صورها وتلاحقها وتآلفها في اطار كلي واحد يجمع عناصر الصور الجزئية ، وقد بدأ الشاعر برسم صوره المتقابلة بشكل متناسق ، تاركا للوجدان دوره في بث الشعور الصادق في كيان هذه الصورة المعبرة عن المشاركة الوجدانية عند العرب فيقول :

فاذا تشكى النيل من آلامه ... شقت مرائر دجلة الالام
واذا تنادى المغرب الاقصى لدى ... جلى استجابت للنداء الشام
ذهبت خرافات الحدود فكلها ... وطن لنا لو صحت الافهام

ويمضي الشاعر في عرض صوره بطريقة قصصية بحيث تعطي القصيدة نمطا موضوعيا يتجاوز حدود الذات ، وهنا يتفوق الشاعر على نفسه ، وتتمرس ريشته في عرض الفكرة بهذه الصورة الايحائية ، بدأها عبد الرحيم بالتعبير عن الواقع العربي المضطرب الحائر وكأنه الزورق التائه في وسط بحر صخاب من الوهم ، ثم أردفها بصورة اخرى ، أبرز معالمها التفرق والتشتت ، في حين رسم صورة للمنابر التي تموج بالصراخ والخطابية ، بينما خيم ضلال الفكر ، وعبدت أصنام الحياة ، يقول عبد الرحيم :

حفي اللسان وجفت الاقلام ... والحال حال والكلام كلام
مرت بنا الايام لم نسلك بها ... جدد الصواب ومرت الاعوام
والزورق التوهان سار محيرا ... فوق الخضم دليله الاوهام
وتخاصم القواد بين مشرق ... ومغرب وتقطعت ارحام
فاذا المنابر صاخبات حفل ... يرغى بها التهويش والايهام
واذا الضلال له هناك سرادق ... مضروبة عبدت بها الاصنام

والحق ان الصور في هذه القصيدة ــ عيد الجامعة العربية ــ تتآزر مع الافكار وتتتابع تتابعا منطقيا وفكريا وزمنيا ، فالاحداث في القصيده تبدو مرتبة : وضع

١ ــ الديوان ، ص ٢٥ .

عربي متمرد ، وتعلل باطل بالوعود الكاذبة ، والعهود الزائفة ، كان أخطرها وعد بلفور الباطل . الا ان الشاعر ينهي قصيدته هذه بصورة تفاؤلية مقاتلة ، يرسمها الدم والنار والشهداء فتبدو في جنباتها ملامح العنف والرفض والتمرد ، وهي صورة تعج بالحركة والايحاء ، ينطلق من خلالها صوت الشعب الغاضب ، وهنا يصرخ عبد الرحيم قائلا :

قل لا وأتبعها الفعال ولا تخف	وانظر هنالك كيف تحنى الهام
اصهر بنارك غل عنقك ينصهر	فعلى الجماجم تركز الاعلام
وأقم على الاشلاء صرحك انما	من فوقه تبنى العلا وتقام

ان طبيعة الصور في الابيات الثلاثة متولدة من دلالات المفردات اللغوية والتراكيب التي حملت صورها في ذاتها ، وهي — كما أوضحنا — ليست صورا مبنية على تراكيب مجازية كالتشبيهات والاستعارات ، ولكنها صور نفسية داخلية يؤازرها حس جماعي ، وهو حس الشعب الفلسطيني الثائر ، فجاءت لوحات دموية حمراً .

وتتنوع صور الشاعر في قصائده ، وتختلف من حيث القوة والضعف ، فحين يبحث شاعرنا عن مماثل حسي لما يشاهده ، تتراجع الصورة الى حدود المظهر الخارجي للاشياء ، وتصبح نقلا مباشرا بالحواس لما يدور على أرض الواقع ، دون أن يضفي عليها شاعرنا ذوب شعوره ، وفيض احساسه ، وعمق فكره ، وهنا ينحصر مد الصورة في اطار التشبيه والتمثيل ، وتغدو أضعف من الصور الايحائية الغنية بأبعادها النفسية ومضامينها الفكرية والشعورية .

ومن الصور التي وقفت عند حدود الحواس ، والتشبيهات الخارجية التي أشرنا اليها قول شاعرنا :

واذا السيوف كأنهن كواكب	تهوى تلامع في العجاج الاكدر

فتشبيه السيوف اللامعة وسط غبار المعركة بالكواكب التي تخر مخترقة الظلام لا ينقل احساسا صادقا وعميقا ، كما لا ينطلق هذا الاحساس عن نفس الشاعر وشعوره وفكره بمقدار ما يتصل بنظير واقعي للصورة ، وبذا لا يستطيع الشاعر أن ينقل احساسه الداخلي ، وشعوره الوجداني للسامع ، لانه لا ينفذ الى صميم الاشياء ولكنه يمسها بخياله مساً خارجياً .

ومن هـذه الصـورة القائمة على التشبيهات الحسـية الخارجية قـوله :

ان فـاه تسمع لكنة ممقـوتة   من فيـه سكسـونية الانغـام
لفظـا من الفصحـى واخر نابيا   كالغـاز ممزوجـا بكأس مـدام (١)

فقـد شبه الشاعر اختلاط الالفاظ الفصيحة بالالفاظ العامية ، بامتزاج الغاز بالخمرة في كأسـها ، وهذه صورة من صنع الحواس ، لا من ايحـاء المشاعر والافكـار ، لذا بقيت ضمن اطارها الخارجي الوصفي ، ونـرى مثل هذه الصورة في قوله :

عزت العـرب وعـزت دارهـا   تنبـت الاسـاد فيها كالنبـات (٢)

« واشد ما يضعف الصورة فنيـا هو أن يقف بهـا الشاعر عند حدود الحس ممـا تسميه البلاغة العربية القديمة : (الجامع في كل) دون نظر الى ربط هـذا التشابه الحسي بجوهر الشعور والفكرة في الموقف » . (٣)

وكثيرا ما يلجـأ الشاعر في صـوره الى الاتكاء على الاستعارات كقوله :

كشرى ما شـئت ياسـود الليالي   فأبو الطيب لا يخشى العـوالي (٤)

وكقـوله :

فـروى عنـهم الزمان حديثـا   ضمختـه فعـالهم بالعبـير

ومثل قوله أيضا :

كان نجمـا يهتدى الساري بـه   في دياجـير الليـالي الحالكـات
كم قلـوب رقصـت خفـاقة   حينمـا لاح بديـع الخفقـات (٥)

وكثيرا ما يستعين الشاعر بعناصر الطبيعة لرسم صوره ، وايضاح افكاره ، ففـي الطبيعة مجال رحب للفنـان ليجيل فيهـا نظره ، ويمتع حسه ، وكثيرا ما يسـقط الشاعر ما في نفسـه من أفكـار على هذه العناصر والمناظر ، فتتحـول الى صور مسكونة بالمعاني والافكار والمشاعر ، لانه يجمع هذه العناصر المتفرقة فـي الطبيعة ويسكبها من جديد في قالب فني تعبيري هو (الصورة) ، وهذا كمـا نعلم — منـزع

---

١ — الديوان ، ص ٤٤ ، وانظر ديوان عبد الرحيم ،دار العودة ، ص ١٥٢ .
٢ — انظر اعلام الفكـر والادب الفلسطيني ، ص ٦٤.
٣ — د. محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحـديث ، ص ٤٤٥ .
٤ — ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص١٥٥ .
٥ — اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٢٩ .

رومانسي اعتمدوا عليه في تلوين صورهم ، « ان الشاعر عند الرومانتيكيين — يستعين على جلاء الصور في الشعر بالطبيعة ومناظرها ، على ان يراعي صنوف التشابيه التي تربط ما بين صور الطبيعة وجوهر الافكار والمشاكر بحيث لا يقف هذا التشابه عند حدود المظاهر الحسية وفي هذا رجوع الى محاكاة الطبيعة في اخراج الافكار الذاتية صورا طبيعية ، ولكن على ان يحتفظ الفنان أو الشاعر باصالته في البحث عن الصور الطبيعية التي تمثل افكاره ، وتربط ما بينها عضويا حول موضوع واحد » (١)

ونقرأ قصيدته « حنين الى الوطن » (٢) فتطالعنا مجموعة صور نظمت في توافق انيق لتصور مناخ الغربة ، والحنين اللاعج الى الوطن ، وهي صور مستوحاة من الطبيعة ، ممزوجة مع الشعور ، والفكر ، وقد جاءت هذه الصور في مكانها الطبيعي من القصيدة ، بحيث ساعدت في تكوين وحدة شعورية ونغمية وموضوعية. يقول عبد الرحيم :

تلك أوطاني وهذا رسمها	في سويداء فؤادي محتفر
يتراءى لي على بهجتها	حيثما قلبت في الكون النظر
في ضياء الشمس في نور القمر	في النسيم العذب في ثغر الزهر
في خرير الجدول الصافي وفي	صخب النهر وامواج البحر
في هتون الدمع من هول النوى	في لهيب الشوق في قلبي استعر
دقة الناقوس معنى لا سمها	واسمها ملء تسابيح السحر

الان هذه الصور المتلاحقة كأمواج البحر ، تتعانق وتتسابق لتتكسر على الشاطىء وانها تصبح أكثر وضوحا ونضجا ، واعمق تعبيرا ، واصدق شعورا حين تتدافع في نفس الشاعر وخلده ، فيرسمها على أرض العودة في لوحات متعددة العناصر والاشكال ، تتوزع ما بين الحركة والصوت ، يقول عبد الرحيم :

ظمئت نفسي لمغناك فهل	يطفىء الحرقة بالقلب القدر ؟
فيصلي القلب في كعبته	وتضم الروح قدسي الحجر

---

١ — النقد الادبي الحديث ، ص ٤١٤ .

٢ — الديوان ، ص ١٧ .

وثمـــــرين بيمنـــاك علـــى	جســد أضناه في البعــد السهر
ويغنــي الطــير في أشـــجاره	نغمــا يرقص أعطــاف الشــجر
خبــر تنقلــه ريــح الصـــبا	ويذيــع الزهــر انســام الخبر
ويلاقــي كــل الــف الفـــه	ويلمـــان الشـــتيت المنتثر

والبيت الثاني معجب بصورته ، وبمعنـــاه الصوفي ، وبايحاءاته الدينية الشفافة، وفي بقيـــة الصور الماثلة في الابيات السابقة ذلك البوح العاطفي الذي يظلل جوانب هذه الصورة الكلية ، فيحولها الى عرس تشارك فيه عناصر الطبيعة .

وحيث نمضي في رحلتنـــا ، تطـــالعنا صـــور شعرية يضيئها عبد الرحيم بنـــور بصيرته ، ويجلوها بحسن صياغته ، فتبدو وكأنها من عمل فنـــان ماهر بالرســـم والتلوين ، وتمثل قصيدة « رثاء حمال » (١) لونا جديدا من الصور التي تسهم في بناء وحدة عضوية في القصيدة ، ساعد على ذلك اسلوب الشاعر القصصي ، وتستوقفنا في القصيدة الصور الشعرية التالية :

رغيفـــك الطـــاهر غمســـته	من عــرق زاك ودمــع صــبيب

كما يستوقفنا هذا التقابل الجميل في الصور التالية :

لثوبـــك الــــرث واخـــــلاقه	كرهت اثــواب الحرير القشيـــب
والجســـــد الجامـــد في يبســـه	كـــره لي الغصـــن الطري الرطيب
وصمتك الرائـــع يا موحشـــتي	بغض لي الصوت الحنون الطروب
أبكـــي على الظـــالم من رقـــة	وخنجــر الظـــالم منـــي شريـــب

فصورة الثوب البالي ، تقابلها صورة ثوب الحرير الجديد ، وصورة الجســـــد الهامد تقابلها صورة الغصن الاخضر الطري ، وصورة الصمت الرائع تقابلها صورة الصوت الحنون .

هذا التقابل في عرض الصور مدعاة الى ابراز الفكرة وايضاحها . كمـــا ان الصورة التي يرسمها عبد الرحيم في البيت الاخير انسانية معبرة ، اضاعت نهـــاية

---

١ ــ الديـــوان ، ص ١٨ .

القصيدة وهي صورة الشاعر الباكي على الظالم رقة وشفقة بينما خنجر الظالم يمعن في شرب دم الشاعر .

ويتبدى هذا التقابل الفني في الصورة الشعرية في موقع اخر من شعر شاعرنا ، حين يقول :

متى ارى الحق وأصحابه   يعلون من أدنى الى شاهق
وأبصر الشر وأربابه   يهوون من أعلى الى ساحق (١)

ويبدو أن التقابل في الصورتين السابقتين ، من قبيل تباين الالوان في اللوحة الفنية ، أو من قبيل (ان الضد يظهر حسنة الضد) كما هو الشأن في عالم الذكر والمنطق ، ولا عجب فكلما تشكلت عناصر الصورة من المؤتلفات والمختلفات ، والمتماثلات والمتنافرات كلما جاءت الصورة أكثر جدة واثارة وعمقا ، لانها تحقق الوحدة في التنوع .

واستطاع شاعرنا ان يجعل من بعض صوره الشعرية مجالا للتعبير عن تجاريبه النفسية والاجتماعية ، كما ظهر في قصيدته « رثاء حمال » التي تحدثنا عنها ، وكما يظهر في هذا المقطع الذي يشتمل على صور جزئية ربطتها وحدة نفسية ، وأوحت بها أوضاع اجتماعية عاشها الشاعر وشكاها ناقما عليها ، يقول عبد الرحيم :

هل كنت قط مجنة   من كيد باغ ظالم
وحميت هامة مبتلي   وفلقت هامة غاشم
وجثمت فوق عظامه   فصرخن تحت الجاثم ؟
هل كنت سدا فوقه   تكبو مطايا القاحم ؟
وعلى المهامة صوة   تهدى ضلال الهائم ؟
ان كنت ذاك بذذت (م)   في الاحسان خلقة آدم (٢)

فالصورة التي يرسمها الشاعر بعينه اللاقطة ، هي صور أفرزها المجتمع ، وقد استطاع عبد الرحيم ان يجلوها من خلال مخاطبته هذا الحجر .

ولعل هذه الصورة الجزئية التي ساقها عبد الرحيم في الابيات السابقة تتآخى فيما بينها وتتشابك لتقود القارىء الى نهاية طبيعية منطقية ، تعزز شعور القصيدة العام ، وتخدم فكرتها ، فاذا كان الحجر ترسا يصد الظالم ، أو سيفا

---

١ ـ الديوان ، ص ٢١ .   ٢ ـ الديوان ، ص ٢٢ .

يشج رأس الغاشم ، أو قوة تضغط على عظام هذا وذاك فيصرخ من ألم ، أو كان معلما من معالم الهداية في طريق الضلال ، فانه بصفاته هذه ، وبصوره الانسانية الراقية سيفضل كثيرا من بني البشر ، والملاحظ أن تعدد الصور قد أضاء الفكرة وأوضحها ، وأبعد عنها الغموض والاضطراب الناتجين من عدم وضوح التجربة الشعرية في بعض الاحيان .

وعندما تفعل الخمرة فعلها في نفس شاعرنا وجسده وخاطره ، يتفنن في رسم تأثيرها فيه ، يقول الشاعر :

هات اسقني واحلل (م) براحك عقدة زمت لساني

اني أراني ان ظمئت (م) الى الطلا عي البيان

شفتي وكأسك عاشقان (م) عن الهوى يتحدثان

غنما من الدهر الخؤون (م) منى فباتا في قران

دقات قلبي والحباب (م) من الجوي يتشاكيان

صورة للخمرة وقد حلت عقدة زمت لسانه ، وصورة لحديث اللذة والنشوة بين الشفة والكأس ، وصورة أخيرة لدقات قلبه وفقاقيع الخمرة وهما في حالة شكوى ، وكل صورة حملت فكرة ، ونقلت شعورا ، آزرتها ايقاعات موسيقية عذبة. وتلفت انتباهنا صور اخرى رسمها الشاعر في قصيدته ، كقوله :

هات اسقني واجعل كؤوس (م) الراح أفواه الحسان

وقوله :

جسمي وروحي في سعير (م) سرمد يتحرقان (١)

ولسنا نشك في أن شاعرنا كان مصورا بارعا في كثير من قصائده ، فجاءت هذه الصور قوية واضحة متماسكة بعيدة عن الغموض والضبابية والاضطراب ، كما عبرت في كثير من الاحيان عن جو الشاعر النفسي ، وآزرتها عاطفته ومشاعره .

فعندما نقرأ قصيدته (نجوى المتحضرة) (٢) تطالعنا مجموعة صور ،

---

١ ــ الديوان ، ص ٢٧ .

٢ ــ الديوان ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

وتستوقفنا صورتان متكاملتان يرسمهما الشاعر بلغته واحساسه وفكره ، يقول في الاولى :

وها أنت تبكي بكاء الرضيع	فامتص من مقلتيك العبر
وأرمي بنفسي على ساعديك	فترغق بالخصر لا ينكسر
تدغدغ نهدي باللغرام	وبالزمان تقضى ومر
وهاأنذا في فراش الممات	أتسمع نجوى التي تحتضر ؟

ونلاحظ أن الصورة السابقة مشحونة بعوامل نفسية وعاطفية ، وكأنما يذيبها الشاعر على شريط متحرك بمناظره وألوانه وتأثيراته ، وهي بالاضافة الى ذلك مستوحاة من جو العشاق وحياتهم المليئة بالمتع والملذات .

اما الصورة الثانية فيستحضرها الشاعر في ذهنه وخياله ، ولكنه يستمد عناصرها من دنيا الواقع ، ويسوقها على لسان ليلى الصفوري صاحبة طوقان ، فيقول :

وددت لو انك بين اليدين	أضمك للصدر ضما عسر
والتف لف الافاعي عليك	وانظر سمي فيك انتشر
ويجمعنا ميتين السرير	ويا طالما جمعتنا السرر
وتقضي ويقضين حزنا عليك	وما نال منك سواي الوطر

ويبدو التدرج النفسي ، والتسلسل الزمني ، والترابط الفكري والعاطفي في الصورة السابقة : من رغبة في العناق ، الى تحقيق ذلك بالالتفاف والضم ، الى درجة الالتحام والفناء فوق سرر الحياة والموت .. ونلاحظ ان الشاعر لا يعتمد دائما على التشبيهات المفردة ، والمجازات في ابراز صوره .

وتشكل قصيدة (جيش الحبائب) صورة كلية متماسكة غنية بالحركة واللون والموسيقى ، كما تتوفر فيها وحدة الموضوع بفضل تلك الصور الجزئية التي تواءمت وتآلفت في أسلوب قصصي متدرج لتوصل الى هذه الصورة الكلية المتماسكة ، والتي تميزت بتلاحم الاجزاء وتناسق الافكار والتسلسل المنطقي ، والحق أن القصيدة لوحة فنية واحدة ضمن اطار كبير واسع ، أهم ما يميزها عضوية الصور ، ووضوحها ، وبروز عنصر الشعور فيها .

فمعركته مع حبائبه بـــدأت بالاستعداد والتجهيز للمعركة ، ثم تنظيم الجيش وتقسيمه الى اسراب وكتائب ، وطوالع وأواسط وجوانب ، ثم التقدم للقتـــال ، والالتحام في المعركة ، ومـــا رافقها من حز وقطع ، واخيرا تنتهي بانتصارهـــن على الشاعر ورفعه رايتـــه البيضاء مستسلما .

وقبل ان نختم الحديث عن الصورة الشعرية عند عبد الرحيم ، نسجل بعـــض الملاحظ التي خلصنا اليهـــا من دراستنا لشعره ومن تتبعنـــا للصورة الشعرية فيه :

أولا : تعددت الصور وتلونت وتنوعت في شعره ، فمن صور كلية رأيناها في قصائده : (الشهيد) ، (الى كل متهاود) ، (الحمال الميت) ، (حجر في كثبان رمل) ، (جيش الحبائب) و (البطل الشهيد) ، الى صور جزئية تخللت معظم شعره ، وعرضناها في أماكنها ، كمـــا تميزت صـــــوره بعناصرها الحـــركية واللونية الصوتية والمكانية والزمانية ، وان كانت العناصر الحركية في صوره أكثر وضوحا من غيرها نظـــرا لطبيعة الشاعر المترددة ، ولطبيعة المرحلة النضالية التـــي يجتازها ، وهي مع ذلك صور مشحونة بالشعور والفكرة والموسيقى ، ولـــم تقف عنـــد حدود الحس الخارجي للاشياء ، أو وصف المناظر المباشرة ، ولكنها تجاوزتها الى تصـــوير دواخل نفس شاعرنا ونقل احساسه .

ثانيا : صور قامت على اساس علاقات مجازية ، ســـــــاعد في ابرازها الاستعارة والتشبيه ، وهي أقـــل قيمة من سابقتهـــا ، لانها تبحث في كثير من الاحيان عن نظير حسي لها في عالم الواقع ، ولكنها لم تقف على أية حـــــال ــ جامـــــدة خاوية ، ولم تمل الى البراهين العقلية المجردة ، والاقيسة المنطقية الجافة .

ثالثا : شكلت الصورة عنده وسيلة فنيـــة لنقـــل تجربته الذنيـــة ، كمـــــا عبرت عن تجاربه الوطنية والنفسية والاجتماعية بشكل ايحائي صادق .

رابعا : تركت بيئاته التي درج فيهـــا بصماتها الواضحة على معظم صوره الشعرية .

خامسا : خلو صوره من الغموض والابهام ، وبعـــدها عن الضبابية المطبقة ، وميلها الى البساطة والوضوح لتتناسب وطبيعة المرحلة التي يجتازها شاعرنا .

٣ ـ الموسيقى :

الشعر فن جميل ، بل هو ارقى الفنون الانسانية ، واكثرها تأثيرا وسحرا ، لانه يخاطب العاطفة ويثير الوجدان ويحرك في النفس الانسانية النشوة والطرب ، واذا ارتقى الشعر في سلمه ، نقل المتلقي الى وضع أجمل ، وشحنه بأحاسيس فاعلة، تهز كيانه فتطربه ، وما ذلك الا بفعل موسيقى الشعر المتولدة من تخير الفاظه وانسجامها وتتابع تراكيبه والتحامها ، وتساوق مقاطعه والتئامها بصورة تولد النغم الموسيقي العذب .

والشعر لون من الغناء ، وفي الغناء موسيقى ، وفي الموسيقى نشوة وطرب . ومن هنا فان الشعر والموسيقى متلازمان ، « بل ان الموسيقى جوهر الشعر وأقوى عناصر الايحاء فيه » . (١)

ولا تنفصل موسيقى الشعر عن لغته ، بل هي جزء من المعاني وجزء من الشعور والعاطفة والخيال ، فبفضلها تأخذ اللغة أبعادها ، وترتسم ظلالها وايحاءاتها ودلالاتها ، فتغدو اكثر خصبا وايحاء .

وكثيرا ما تساعد موسيقى الشعر على تقريب المعاني للاذهان فيسهل تناولها « فالموسيقى الشعرية تعتبر احدى الوسائل المرهفة التي تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعاني وألوانها ، بالاضافة الى دلالة الالفاظ والتراكيب اللغوية » . (٢)

أن الاوزان الشعرية التي هي قوام موسيقى الشعر ، وأساس الحانه تشحن لغة الشعر بطاقة تدخل الى اعماق النفس الانسانية ، وتحرك مشاعر الافراد ووجداناتهم بأنغامها التي تضيف للغة الشعرية احساسا عاطفيا جديدا ، ويعد الدكتور مندور النغم الشعري وسيلة اضافية تمتلكها اللغة لاستخراج ما في النفس

---

١ ـ النقد الادبي الحديث ، ص ٤٧٢ .

٢ ـ د. محمد مندور : الادب وفنونه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٢٨ .

البشرية ، هي كاللون العاطفي للفكرة ، أو هي ظلال المعاني التي تعجـز الالفاظ في ذاتها عن التعبير عنه . (١)

ومن هنا فان الانغام الشعرية تولد انفعالات داخلية كالحزن والبهجة والحماسة والطرب ، ويؤكد الدكتور ابراهيم انيس ان الدافع الاساسي للشعر عنـد ارسطو يعود الى سببين هما : غريزة المحاكاة أو التقليد ، وغريزة الموسيقى او الاحسـاس بالنغـم . (٢)

وادرك الرمزيون قيمة الموسيقى الشعرية ، وما فيها من سحر وتأثير ، لانهـا تخاطب المشاعر والحواس معا ، كمـا ادركوا قدرة هذه الموسيقى علـى تصوير حالات النفس الانسانية المعقدة ، فاهتموا بهـا في شـعرهم ، وأخذوا يعنـون بتخير الفاظهم وجملهم ليصنعوا بالتالي تركيبة جديدة ومعقدة من الالفاظ والعبارات (الكيمياء الموسيقية). ويؤكد الدكتور شوقي ضيف أهمية الموسيقى في الشعر الرمزي يقـول: « اصبحت ايقاعات الالفاظ مادة اساسية في الشعر الرمزي ، يعبرون بها عن خلجات انفسهم تعبيرا موسيقيا تـاما ، تعبيرا يقصـد به الى الايحـاء بنفس الرنين والنغم ، أو كأنهم يستكملون به مالا تستطيع معاني الالفاظ ان تؤديه مـن الاحاسيس والمشاعر ، أو كأنهم يريدون أن تكون موسيقى الشعر نفسه موسـيقى تعبيرية ، تنقـل احوالهم الوجدانية وخواطرهم النفسية نقـلا غامضا موعزا » . (٣)

ومن المؤكد ان تذوق الموسيقى جزء من طبيعة الانسان وفطرته ، كمـا انه جزء من مكتسباته البيئية ، وقـد ساعدت الموسيقى على اثارة الانتبـاه ، وساعد الانتباه الـى استدعاء الفهم والقدرة على الاستيعاب . (٤)

وتتنوع موسيقى الشعر ، وتتلون ، فليست الموسيقى الخارجية المتولده مـن الوزن الشعري ، والقافية الموحدة والايقاع الرتيب ، كالموسيقى الداخلية الخفيـة

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٢ ــ موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعةلجنـة البيان العربي ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ ، ص١٢

٣ ــ في النقد الادبي ، دار المعارف بمصر ، الطبعـةالرابعة ، ١٩٧٦م ص ٩٨،٩٧ .

٤ ــ موسيقى الشعر ، ص ١٢ وما بعدها .

النابعة من حسن اختيـــار الكلمات وتآلفها وتخالفها وانسجام حروفها ومقاطعهـــا مع الشعور النفسي والعقلي ، ولكن النوعين يتآلفان وينسجمان ليولدا وحدة موسيقية خاصة تنظيم القصيدة ، لتكون الوحدة الايقاعية العامة .

ووحدة النغم التي يولدها الوزن الشعري في البيت الواحد ، تتوالى وتتـــلاحق بفضل ترابط ابيـــات القصيدة بوزن واحد يولده البحر الشعري ، ليقـــود الى ايقاع تام تولده القافية الموحدة .

ومن هنـــا تبـــرز اهمية القافية في احداث وحدة ايقاعية نغمية خارجية فـــــي القصيدة ، اعتمـــد عليها الشاعر القديم في شعره ، ومن وحدة النغم المتكررة في النثر أو الشعر يتـــولد الايقاع ، ففي النثر ايقاع يتأتى من تجانس الكلمات وانتظامهـــــا واتساقها ، وفي الشعر ايقاع كذلك مبعثه وحدة التفعلية الموجودة في البحور الشعرية المعـــروفة .

وقد استغل الشاعر العربي الاوزان القائمة على البحور الفراهيدية فكتب شعرا غنـــائيا وجدانيا ، صـــور حياته وبيئته ، وعبر عن مطامحه وهمومه ، وكشف جانبا هـــاما من جوانب مجتمعه ، « الا ان موسيقى القصيدة ذات الايقاعات المتـــــوازنة المتكـــررة المنتهية بقواف متحدة لم تخمـــد جذوتها في العصر الحديث ، بل لقـــــــد توهجت بمضامين جديدة ، غنائية وقصصية وتمثيلية » . (1)

وفي العصر الحديث اهتم الشاعر بالموسيقى الداخلية في الشعر وهي التي تتولد من حسن اختيار الكلمات ـــ كمـــا أشرنا آنفا ـــ ومن تآلف حروف الكلمة الواحدة ، ومن ذلك الانسجام بين العبارات والتراكيب في البيت الشعري ، أو المقطع الشعري من القصيدة ، انهـــا الايقاعات الداخلية للكلمات بل هي الاصوات المنطلقة من جوهر

---

١ ـــ د. شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٥٠ .

الالفاظ « وهي التي تفرق بين بيت وبيت في قصيدتين من وزن واحد وقافية واحـــدة وهي ادق من الموسيقى الاولى (الخارجية) ، واذا فقـــدت في شعر لم يسم شعرا ، وانما يسمى كلاما عروضيا موزونا ، أي أنـــه يشبه الشعر في وزنه وقافيته ولكنـــه لا يتحـــد معه في موسيقاه الداخلية الفنية » . (١)

ولدى النظر في شعر عبد الرحيم نجد ان جميع قصائده ، التي بين أيدينا ، لـــم تخرج على البحور الفراهيدية المعروفة ، ولم ينظم الشعر القائم على وحدة التفعيله ، نظرا لثقاءته المحافظة على التراث ، فالشعر العمودي بلغتـــــه وصياغته وأوزانه ووحدة قوافيه لون من الوان التحدي داخل المعركة المصيرية التي يخوضها الشعب الفلسطيني في مجابهة العدو الصهيوني .

والواقع ان عبد الرحيم قد نظم شعره على البحور المعروفة مثل : بحر الكامل ومجزوئه ، والرمل ومجزوئه ، والوافر ، والسريع ، والطويل ، والمتقارب ، والخفيف وفيمـــا يلي جـــدول بأســـماء هذه البحـــور والقصائد وعددها ومطالعها ، كمـــــا خلصنا اليهـــا من قراءة اشعاره :

(١) البحر الكـــامل :

١ ــ اسم القصيدة : جيش الحبائب . ومطلعهـــا :

حـــي الظبـــاء الباديـــات كواكبا   المورثـــات العاشـــقين مصائبـــا

٢ ــ اسم القصيدة : وعـــد بلفـــــــور ومطلعهـــا :

العرب ما خضعوا لسلطـــة قيصر   يومـــا ولا هانـــوا امام تجبـــــر

٣ ــ اسم القصيدة : نجـــــم السعود ومطلعهـــا :

نجـــم السعود وفي جبينك مطلعه   انـــي توجه ركـــب عزك يتبعـــه

٤ ــ اسم القصيدة : عيد الجامعة العربية . ومطلعهـــا :

عيد بأحنـــاء الصـــدور يقـــام   من وحيـــه الاشـــعار والالهام

٥ ــ اسم القصيدة : بين الشرق والغرب . ومطلعهـــا :

قـــومي لانتـــم عبـــرة الاقـــوام   هـــل تنســـبون ليـــامث اوسام

---

١ ــ د. شوقي ضيف : في النقد الدبي ، ص ١١٤

البحر : مجزوء الكامل :

١ ــ اسم القصيدة : الشــعب الباسل . ومطلعهــا :

شــعب تمـــــرس بالصــعاب ولــم تنـــل منـــه الصــعاب

٢ ــ اسم القصيدة : الى كل متهــاود . ومطلعهــا :

يا مــن تولـــه بالحبيـــب هنـــاك قـــد رجــع الحبيب

٣ ــ اسم القصيدة : نحن المصادر والموارد . ومطلعهــا :

نحـــن المصــادر والمـــوارد وسلاحنــا فتـــل الســـواعد

٤ ــ اسم القصيدة : حجر في كثبــان رمل . ومطلعهــا :

فيـــم انفـــرادك لا أنيـــــس تـــراه في القفـــر المخيــف ؟

٥ ــ اسم القصيدة : يا عامـــــل . ومطلعهــا :

هـــذ يالقصـــور وأنـــت را فع سمكهــا هــل هـــن لك ؟

٦ ــ اسم القصيدة : الســكر شغلي . ومطلعهــا :

قالـــوا ســـيقتلك الغـــرا م فقلـــت مالكمـــو وقتلــي

٧ ــ اسم القصيدة : جفــت على شفتي الاماني . ومطلعهــا :

دع عنــك رائعــة الاغـــــاني جفـــت علـــى شــفتي الامـــاني

(٢) البحر : الرمل :

١ ــ اسم القصيدة : ذكــرى الزمــان . ومطلعهــا :

هات من ذكرى الزمان العز هــات حبب الماضــي لي ما هـــو آت

٢ ــ اسم القصيدة : كـــان غـــازي : ومطلعهــا :

كـــان نجما يهتــدى الساري به في دياجــير الليــالي الحالكـــات

٣ ــ اسم القصيدة : كبرياء الحـــب . ومطلعهــا :

اسمعـــي يا من لقـــد خنت الهوى ونسيت أو تناسيــت الـــودادا

٤ ــ اسم القصيدة : البــطل الشهيد . ومطلعهــا :

أأذا انشـــدت يوفيــك نشيدي ؟ حقــك الواجــب يا خير شـــهيد

٥ ــ اسم القصيدة : ذكرى الهجــرة . ومطلعهــا :

يــوم مجد فات ما اجمــل ذكــره   فيــه لو ننطــق آيــات وعبــره

٦ ــ اسم القصيدة : تبســــــــم . ومطلعهــا :

ان تجــد باب الامــاني مغلقــا   لا تكشــر أو تلــم من ســـكره

٧ ــ اسم القصيدة : الحنــين الى الوطن . ومطلعهــا :

تلــك أوطــاني وهذا رسمهــا   في ســـويداء فــؤادي محتفـــر

٨ ــ اسم القصيدة : يا غـــــزالا . ومطلعهــا :

يا غـــزالا صــدني ما أجملــك   مبــدع الاكــوان ربــي عدلــك

٩ ــ اسم القصيدة : أيــام النضــال . ومطلعهــا :

كشرى ما شــئت يا سود الليالي   فأبــو الطيب لا يخشى العــوالي

البحر : مجزوء الرمل :

١ ــ اسم القصيدة : لعبــة . ومطلعهــا :

لعبــــة تهــدى للعبـــه   من ذتــى يكتـــم حبــــه

٢ ــ اسم القصيدة : يا حيـــــاتي . ومطلعهــا :

انظـــــري لــــي واجعـــلي العطـــــف يســـل من نظــراتك

٣ ــ اسم القصيدة : احملـــــوني . ومطلعهــا :

احمــــلوني احمـــلوني   واحـــذروا ان تتركـــــوني

(٣) البحر : الوافــر :

١ ــ اسم القصيدة : انصفني فأنا أخوك . ومطلعهــا :

اتينــا للحيــاة فلي نصيــــب   كمــا لــك انت في الدنيــانصيب

٢ ــ اسم القصيدة : دعوة الى الجهــاد . ومطلعهــا :

دعا الوطــن الذبيــح الى الجهاد   فخــف لفــرط فرحتــه فــؤادي

٣ ــ اسم القصيدة : البصـــــرة . ومطلعهــا :

يقــال البصــرة اشتهرت بتمــر   سلوها هل يملــك الفقراء تمره ؟

٤ ـ اسم القصيدة : الشعور الرقيـق . ومطلعهـا :

لمـاذا خط هـذا الناس قلبـا ورق لكـي يعـذبني شـعوري

٥ ـ اسم القصيدة : مشـكلة القوافي . ومطلعهـا :

ارى المعنـى بقلبـي جـد واف وان انظمـه يصـبح غير واف

٦ ـ اسم القصيدة : غريب بين الناس . ومطلعهـا :

الى من هـادم جسـمي فتـاتا فجـابل طينتـي فمعيـد سبكي

٧ ـ اسم القصيدة : هـل هـذا كـلام .ومطلعهـا :

وقـال الظالمون وقـد تمـادوا بظلـم الناس ، غايتنـا السلام

٨ ـ اسم القصيدة : هكذا قسم الاله . ومطلعهـا :

بغـى في قسـمة الارزاق ناس وقالـوا هكذا قسـم الالـه

(٤) البحـر : السـريع :

١ ـ اسم القصيدة : رثاء حمـال . ومطلعهـا :

قد عشـت في الناس غريبا وها قد مـت بين الناس موت الغريب

٢ ـ اسم القصيدة : بيني وبين قلبي . ومطلعهـا :

قلـت لقلبـي انهـا كافـرة تعبـد يا قلـب صليب المسيح

٣ ـ اسم القصيدة : روحـي . ومطلعهـا :

روحـي فقـد راح الذي بيننـا كالبـار ح السالف ما ان يعود

٤ ـ اسم القصيدة : في حالة غضب . ومطلعهـا :

هـل غـير سيـل من دم دافق يـروى غليـل الساخط الحانق

٥ ـ اسم القصيدة : مخـلوقة أنـت فلا تكبري . ومطلعهـا :

خالتنـي الميـت من صدهـا والعاشـق الدهـر معنـى عليل

٦ ـ اسم القصيدة : لقـد تهـت . ومطلعهـا :

قـد سددوا العالم في وجهـه وارحمتـا للعـاشق المسـتهام

(٥) البحـــر : الطـــويل :

١ ــ اسم القصيدة : سأفلق قلب الظلم . ومطلعهـــا :

لغـــير فؤادي يا ابنة الكرم سكرة وسلوى وغيري هام في عطر الرمق

٢ ــ اسم القصيدة : النضال أمر يحب لذاته . ومطلعهـــا :

جعلت نضـــالي الظلم هما وديدنا لانـــي بـــه حلت لدي المعاضـــل

٣ ــ اسم القصيدة : اليهـــــا . ومطلعها :

دعيني فقد ايقظت بي كامن الاسى وهجت جراح الحب في قلبي الدامي

(٦) البحر المتقـــارب :

١ ــ اسم القصيدة : الشهيد . ومطلعهـــا :

سأحمـــل روحي علـــى راحتـــي والقـــي بهـــا في مهاوي الـــردى

٢ ــ اسم القصيدة : العيـــــــــــد . ومطلعهـــا :

اذا رق احساسنا في الوجـــــود وفاضـــت احاسيســـنا الشاعرة

٣ ــ اسم القصيدة : نجـــوى المحتضرة .ومطلعهـــا :

دنـــا المـــوت مني ابـــا جعفـــر وفـــاض الجمـــال وزاغ البصـــر

(٧) البحـــر : الخفيـــف :

١ ــ اسم القصيدة : انشـــودة التحرير .ومطلعهـــا :

ان ايامنـــا ابتســـامة ثغـــــــر لـــم يـــدر مثلهـــا بثغر الدهور

ويبدو من خلال هذا الجدول أن شاعرنا اكثر القول على كل من بحـــــر الكامل ومجزوئه ، وبحر الرمل ومجزوئه كذلك ، ولعل السؤال الذي يبـــادرنا الان هـــو : لمـــاذا استهوى هـــذان البحران ذوق الشاعر وملكا عليه سمعه فنظـــم معظـــم

قصائده عليهمـــا ؟ وهل استطاع الشاعر بالتالي ان ينقـــل للسامع معانيه وعواطفه ومشاعره واخيلته من خلال هذه الاوزان ؟ وهل كان الشاعر مختارا أو مضطرا لها ؟

هذا السؤال بتفريعاته يحملنا على القول : بأن الشاعر كان يرتاح لهذه الانغـــام المتولدة منهمـــا ، ولنبـــدأ ببحـــر الرمل دون غيره لنرى أن عبد الرحيم نظم عليه وعلى مجزوئه اثنتي عشر قصيدة ومقطعة ، وهـــذا معـــدل عال اذا ما قيس بالنسبة لعـــدد قصائده ومقطعاته التي بـــين أيدينـــا والتي تبـــلغ خمسا وأربعين قصيـــدة ومقطعة أي بنسبة (٢٦٪) تقريبا ، ولعل اهتمام شاعرنا بهـــذا البحر يعـــود الى مـــا فيه من طواعية وعذوبة و غنائية واضحة ، كمـــا انه قـــادر على استيعاب التجـــربة والموضوعات التي يتناولها شاعرنا في شعره دون اختيـــار مسبق أو تكلف مقصود ، فبحـــر الرمل يأخذ القارىء والسامع بجـــوه فيسهل على الشاعر ان يفرز عواطفـــه من خـــلال تفعيلاته المريحة ، بحيث يسهل دخولها الى النفس لاستكناه ما فيهـــا من افكـــار ومعـــان وعواطف وصور ، ومن ناحية اخرى فان الرمل بتفعيلاته الســـت يناسب الانفعالات الانسانية من حزن وطرب وسواهما ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس :

« ولقد زادت نسبة بحـــر الرمل بشكل واضح يجعلنا نرجـــح أن المســـتقبل لهـــذا الوزن الذي اصبحت اذاننـــا تألفـــه وتستريح اليـــه ، ووجده الموسيقيـــون والملحنون أطـــوع في الغناء واقبل للتلحين »، (١) غير أننا نرى أن عناصر القصيدة من لغة وموسيقى وصور وأفكـــار ومشاعر تولد معـــا ، وتخـــرج دفعة واحدة مـــن غير استدعاء وذلك انهـــا جـــزء من التجربة والرؤيا .

ولو تنـــاولنا احدى قصـــائد عبد الرحيم التي نظمها على بحـــر الرمـــل مثل قصيدته « كان غازي » (٢) لراعنـــا ذلك النظام الموسيقي الذي يستخدمه الشـــاعر مستجيبا لدواعي نفســـه وخلجاته العاطفية ، فالجـــو الحزين في طبيعة الموضوع ، وهو رثـــاء الملك غازي ، قد احتل ذاكرة الشاعر ووجدانه فانطلق بحـــر الرمل على لســـانه فيـــه حـــزن صاف ، وايقـــاع شجي ، ونذكر على سبيل المثال مقطعـــا من القصيدة السابقة يقـــول فيه :

---

١ ــ موسيقى الشعر ، ص ، ٢٠٠ .
٢ ــ انظر الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، مكتبه نابلس ، ص ٦٦

كان نجمـا يهتـدي الساري به   في دياجـير الليـالي الحـالكات
كـم قلـوب رقصـت خفـاقة   حيثمـا لاح ، بديـع الخفقـات

كـان نجمـا ثـم غـاب
وتـوارى في التـراب
لهـفقلبـي

نفـح المـوت عليـه فانطفـا   وانطـوت انـواره في الظلمـات
ورنـت ابصـارنا كيمـا تـرى   مأفـل النجـم ذـردت غرمات

ويلاحظ ان الشاعر يولد في هـذا المقطع جوا موسيقيا ينسجم تمـام الانسجام مع حالته النفسية وتجربته الفنيـة ، وكأن موجات الحزن تخـرج أول ما تخرج مـن نفس شاعرنا طويلة ، ممتـدة ، وهادئة كمـا هو الشأن في الابيات الثلاثة الاولـى من المقطع السابق ، ساعد على ذلك تفعيلات بحـر الرمل الست بمـا فيهـا من مـد صوتي ، وانسياب نغمي ، ثم تأخذ هذه الدفقات الشعورية الحزينة في الانحسـار والانخفاض والتلاشي في داخل الشاعر تدريجيا :

كـان نجمـا ثـم غـاب
وتـوارى في التـراب
لهـفقلبـي

بحيث يكتفي شاعرنا باستخدام خمس تفعيلات موزعة على النحو التالي :

فاعلاتـن فاعـلا
فعـلاتن فاعـلا
فاعـلاتـن

ان عبارة (لهف قلبي) التي حمتلها هذه الوحدة الموسيقية (فاعلاتن) تشير الـى نهـاية هذه الدفقة الشعورية الحزينة التي لم تنفذ في داخل الشاعر ، فلم تغـلق دائرته الشعورية الحزينة ، بـل يعـود نفسه الحزين الى الانطـلاق والامتـداد والارتفاع من جديد ليعيـد ايقـاعه الاول ، عبر البيتين الاخيرين مـن المقطع السابق،

ولعل هـذا النغم الموسيقي الذي يسير على هذا النظام في بقية القصيدة يرتد فـي حقيقته الى اختلاف عـدد التفعيلات ضمن البحر الواحد بحيث تزول هذه الرتابة المملة في الموسيقى من جهـة ، كمـا تعـود الى التنويع في القوافي ضمن اطـار القصيدة نفسـها ، ذلك ان التـاء المشفوعة بالكسر كحرف روى ساعدت في ايضاح النغـم الحزين القصيدة بكاملها ، كما ان التزام الف الردف في مثل الكلمات : (غاب ، التراب ، شباب ، طاب) ساعد في هذا التنغيم الموسيقي فجاءت قصيدته ضربا من التوشـيح الجميل .

وتستوقفنا هنا قضية التنويع في القوافي عند شاعرنا ، وهـذا ملحوظ فـي عدد من قصائده ، مثل : (كان غازي) و (ذكـرى الزمان) و (حجر في كثبـان رمل) و (تبسم) و (مخلوقة انت) و (روحي) و (حياتي) و (يا عـامل) وغيرها ، ولعـل لهـذا التنـويع والتـلوين ما يبـرره ، فشاعرنا يكـره الرتابة الموسيقية ، ويدرك بحس الشاعر المرهف أن عواطفه ومشاعره لا تطـرد دائمـا فالدفقات الشـعورية قـد ترتفع وتنخفض وقـد تطـول وتقصر ، وقـد تثـور وتهـدأ ، وتبعـا لذلـك تطـول الاشطر وتقصر ، وينوع القوافي ويلونها ، تمشيـا مع حالاته النفسية المتقلبة التـي لا تهـدأ على حـال واحدة .

و « الشعراء يجمعون في القصيدة الواحدة بين أوزان مختلفة وقواف عدة ، وقـد حملهم على ذلك ـ فيمـا يظهـر ـ عدة أمـور منها : تغيير نغمة الشعر حتى لا يكون مملولا ، ومنهـا الخـوف من التكلف واقتسار العبارات والالفاظ التي تلائم الـوزن والقافية ، ومنهـا مجاراة الشـعر الفرنجي في مظاهره الوزنية ، ثم حاجة التمثيـل والقصص الى هـذا التنويع اللازم لتعـدد الموضوعات والاغراض » (١).

الا ان شاعرنا لم يخلط في القصيدة الواحدة بين أكثر من وزن أو بحـر ، ولكنـه نوع في عـدد التفعيلات في كل شطر ، كمـا نوع في القوافي وحروف الروي للاسباب التـي عرضـناها .

---

١ ـ أحمد الشايب : اصول النقد الادبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٨ ، ١٩٧٣م ، ص ٣٢٥ .

ويبدو ان شاعرنا متأثر الى حد ما بوشاحي الاندلس ، وبأوزان الشعر المهجري ، ويشيء من لزوميات أبي العلاء المعري . ومن يقرأ قصائده : (تبسم) و (ذكرى الزمان) وعددا من مقطعاته : (هكذا قسم الاله) و (هل هذا كلام) و (انصفني فأنا أخوك) و (غريب بين الناس) و (النضال امر يحب لذاته) و (سأفلق قلب الظلم) و (مشكلة القوافي) ، يلحظ هذا التأثر واضحا .

والتنويع في الاوزان والقوافي ، واختلاف عدد التفعيلات في القصيدة الواحدة بدأ قديما في شعرنا العربي « ولكن يجدر بنا ان نقول ان الثورة على الوزن والقافية بدأت منذ القديم ، فقد مل الشعراء النظم على وتيرة واحدة في القصائد ، وتاقوا الى التنويع والتجديد ، وكان اهم تجديد في ذلك هو الموشحات » . (١)

ومع ذلك فان تحرر القصيدة من القافية لا يعني بأية حال ان القصيدة فقدت موسيقاها أو خلت منها ، ذلك ان الشعر كلام موسيقي تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب . (٢)

ومن هنا فان خلو القصيدة من القافية لا يعني بالضرورة خلوها من الوزن والايقاع الموسيقي لان ثمة موسيقى داخلية في الشعر ، ولان الشعر لغة العاطفة، والعاطفة وثيقة الصلة بالانفعالات الانسانية « فان الانسان حينما ينفعل تكون لغته مقطعة ذات تراجيع ونبرات متباينة الاصوات والاطوال فوق ما يصاحب ذلك من حركات جسمية بالايدي والارجل أو أسارير الوجه ، ومعنى ذلك ان لغة العاطفة تكون دائما موزونة ، ولعل الرقص كان أقدم اللغات البشرية تعبيرا عن الانفعالات النفسية ، لجأ اليه الانسان الاول فرحا منتصرا على العدو ، وقام به منفردا أو مع زمرة متشابكة الايدي منتظمة الحركات » . (٣).

---

١ ــ النقد الادبي الحديث ، ص ٤٧٠ .

٢ ــ موسيقى الشعر ، ص ١٥ .

٣ ــ في النقد **الادبي** ، ص **١٠٧** .

والشعر نوع من الرقص ، انه رقص النفس استجابة لانفعالاتها وعواطفها ، ولكن ضمن لغة شعرية عذبة .

لم يتحرر عبد الرحيم نهائيا من القوافي بل حافظ عليها ضمن اطار ماون ومتنوع ، وهو لم يذهب بعيدا في هذا التحرر كما فعل شعراء مدرسة الديوان مثلا كعبد الرحمن شكري والعقاد والمازني ، حين صنعوا هذا اللون الجديد من الشعر المسمى بالشعر المرسل .

ومهما يكن من أمر ، فان قضية التزام القافية أو التحرر منها ، أمر يعود الى الشاعر نفسه ، والى حسه الموسيقي ، والى طبيعة موضوعه ، وحالاته الشعورية التي تعتوره بين اللحظة والاخرى ، لذا رأينا التحرر من القافية أمرا طبيعيا عند انصار الشعر الحر ، أو الشعر الجديد ، ذلك الذي يقوم على وحدة التفعلية ويهتم بموسيقى الشعر الداخلية اهتماما بالغا ، بحيث تتآخى الوحدة الموسيقية مع الوحدة الصورية والشعورية والعضوية والموضوعية لتوصل في النهاية الى وحدة العمل الفني بشكل متكامل ومتماسك ، ولم تعد القافية ضرورية في التزامها الموحد من أول القصيدة الى اخرها ، فقد تأتي وقد لا تأتي ، الا ان التزام القافية الشعرية في الشعر الحر التزاما معقولا وطبيعيا دونما اقحام يزيد من جمالية الموسيقى ، ويشعر القارىء أو السامع بانجذاب روحي وحسي معا ، لان هذه الوقفات الموسيقية اذا احسن استخدامها ، ووقعت في اماكنها الطبيعية من القصيدة جاءت خادمة للجو العام للشعر لما تمنحه اياه من حسن القبول ، وشدة التأثير في آن .

ويبدو أن عبد الرحيم قد افتن في موسيقى بعض قصائده ، فاعتنى بها عناية ملحوظة ووقعنا له على قصيدة فريدة في توزيعها الموسيقي ، فقد قسم الشاعر قصيدته (بيني وبين قلبي) (١) الى مقطعين يتكون كل مقطع من ستة ابيات ولازمة ، بحيث تتساوى التفعلية الاخيرة من الاشطر الاولى من كل مقطع وزنا وقافية (العروض)

---

١ ــ انظر الملحق .

بفتح العين ، كما تتساوى التفعيلات الاخيرة من الاشطر الثانية من كل مقطع وزنا وقافية كذلك (الضرب) على النحو التالي :

قلت لقلبي انها كافرة	تعبد يا قلب صليب المسيح
في حمأة من شرها سادره	تطيع من ضل وتعصي النصيح
وقلبها كالريشة الحائرة	تنأى على ريح وتدنو بريح
تبيع للسائح كالتاجره	وتنثني تطلب بيع البريح
فقال هذي حجة قاصرة	ليس بها يشفى المعنى الجريح
بل هي عندي زهرة ناضرة	وكل ما فيها جميل مليح

لم يهتد القلب ولم يسمع

وقلت لكن زهرة شمها	قبلك يا قلب كثير العدد
يا رب ذي وجد لقد ضمها	فارتاح بالضمة مما وجد
اولت له في صبوة جسمها	ونولت ما لم ينول احد
حتى اذا ما افرغت شمها	تتركه يشقى شقاء الابد
شيطانة قد شابهت أمها	يا بئست الام وبئس الولد
قال وان هولت لي ذمها	« فحسن في العين ما قد تود »

والقصيدة من بحر السريع ، ويلاحظ القارىء هذه العناية بالموسيقى في كل سطر وكيف تولدت من تجانس الكلمات والحروف ، ومن حسن اختيار كل من (العروض) و (الضرب) في القصيدة ، ولعل لهذه الموسيقى المنوعة اثرا في المضمون فقد كشفت عن نفسية الشاعر الطربة من جهة — والطرب يغني وفي الغناء تنوع وتلون في الوزن والايقاع — كما كشفت عن نفسيته القلقة وعن تلون وتنوع احاسيسه ومشاعره في موقفه مع صاحبته هذه من جهة اخرى ، وما كان هذا التأنق الموسيقي ليظهر في قصائد الشاعر الوطنية والاجتماعية بشكل ملحوظ ومقصود ، وان ظهرت فيها محاولات للتنويع في القوافي ، ولعل ذلك يعود الى انه لا وقت للتأنق الموسيقي ، لان الشاعر منهمك في خوض المعارك النضالية ، دائم الترحال والتنقل ، ومع ذلك فالشعر

الثوري لا يتطلب كلفا ظاهرا في الاشكال الموسيقية للقصيدة وان كان يعنى بجو القصيدة الموسيقي وهو جو نابع من طبيعة الموضوع ومن وسط الاحداث والمعارك والثورات ، لذا جاءت قصائد شاعرنا الوطنية مشحونة بجو موسيقي مؤثر يتآلف مع حالته الشعورية ووضعه النفسي .

أما الغزل كفن شعري رقيق وانيق فيناسبه التأنق في موسيقى القصيدة ، كما تناسبه العناية برقة الاوزان وتنوعها أكثر من غيره ، وان كنا لا نقر بأن ثمة بحور شعرية خاصة لموضوعات واغراض خاصة .

ونعود الان الى بقية البحور التي نظم عليها الشاعر شعره وبناءس بحر الكامل ومجزؤه بحر الرمل ومجزوءه في هذا المجال ، فقد نظم على الاول اثنتي عشرة قصيدة ومقطعة وهو مثل عدد قصائد بحر الرمل ومجزوئه .

وقصائد الكامل هذه موزعة على الاغراض الوطنية والاجتماعية والوجدانية ، ويبدو أن ارتياح الشاعر لهذا الوزن قد دفعه الى ان يكثر القول عليه كبحر الرمل . والكامل غني بموسيقاه الصافية المتولدة من تجانس التفعيلات الست في شطري البيت ، والتفعيلات الصافية هذه اكثر سلاسة وعذوبة وانسيابا ووقعا من التفعيلات المزوجة ، كما انها أطوع لحمل عواطف الانسان وأقدر على نقلها للمتلقي بزيادة في التأثير وجمالية في الايقاع .

والاهتمام ببحر الكامل ظهر جليا عند شعراء مطلع هذا القرن ، وعند شعراء مدرسة البارودي بالذات ، كالبارودي نفسه وحافظ وشوقي وغيرهم ، وقد ادى هذا التركيز على الكامل الى انهيار نسبة بحر الطويل الذي انسحب ظله على معظم القصائد القديمة . (١)

ومهما يكن من أمر فبحر الكامل غنائي كالرمل تماما ، تقبله الاذن وترتاح اليه النفس ، وترتضيه العواطف الانسانية ، كما انه مناسب كغيره لحمل

---

١ — موسيقى الشعر ، ص ١٩٨ .

الافكـــار الانسانية وتصوير المواقف التأملية ، والشاعر المبـــــدع لا يقيـد مشاعره وأفكـــاره ببحـــر دون بحر ، بل يجعل الوزن جزءا لا يتجزأ من التجربة ، لانه يولد مع الحالة الانفعالية والمناخ النفسي للشـاعر .

أمـــا بحـــر الوافر فكتب عليه ثماني قصائد معظمها مقطعات قصـــار مـــن نـــوع اللزوميات باستثناء قصيدة واحدة هي (دعوة الى الجهاد) .

وكتب على بحـــر السريع ست قصائد : خمس منهـــا غزلية وواحدة وهـــي (رثاء حمال) من الشعر الانساني . أمـــا بحر الطويل فلـــم ينل من شعره الا ثلاث قصائد ، في حين كتب على بحر المتقارب ثلاثا اخر ، ولم يكتب على بحـــر الخفيف الا قصيدة واحدة هي (انشودة التحرير) .

ونرى الشاعر قد ارتاح الى بحور عروضية اكثر من غيرها وهذا أمـــر في طبيعـــة كل شاعر ، وهـــو في استخدامها كـــان مختـــارا لهـــا لا مضطرا ، كمـــا كان موفقا في بث افكـــاره ومشـــاعره من خلالها .

والناظر في شعر شاعرنا يلاحظ شيوع ظاهرة (التصريع) (١) في عدد من قصائده، كقوله في مطلع قصيدة نجم السعود :

نجم السعود وفي جبينك مطلعه   انـى توجـه ركب عـزك يتبعه

وفي مطلع قصيدة البطل الشهيد :

أاذا انشـــدت يوفيـــك نشيدي   حقـــك الواجـب يا خير شهيد

---

١ ــ التصريع : هو ان يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة ،أي ان يجعل العروض مشبها للضرب وزنا وقافية زيادة أو نقصا ولا يكون ذلك الا في البيت الاول من القصيدة الواحدة ، أو في اول بيت من كل مقطع يحمل موضوعا جديدا ، وفكرة جديدة اذا كانت القصيدة مقسمة الى فقرات ومقاطع « انظر في ذلك علم العروض والقافية للدكتور عبد العزيز عتيق ، ص ٣٤ ، الطبعة الثانية دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنـــان ، ١٩٦٧م .

وتشير ظاهرة التصريع عند شاعرنا الى محافظته على الاوزان التقليدية وعمـــود الشعر العربي القديم والى اتبـــاع نهـــج الاوائل في نظام المطالع هذا ، نظـــرا لاهمية المطالع عندهم ، فالقصيدة قـــد تقبل أو ترفض ، تستهجن أو تستحسن بنـــاء على هذا المطلع ، كمـــا تشير الى حرصه على التقيد بالنغم الموسيقي المتوازن الذي ترتاح اليه الاذن وتقبله النفس ، وفي ذلك كله حفاظ من الشاعر على تراثه الادبي القديم وهـــو يصارع القوى الاستعمارية السائرة في طريق تهـــويد البلاد وطمس حضارتها ولغتها وتقاليدهـــا .

وقصائد عبد الرحيم غنية بأجوائها الموسيقية المعبرة ، وقدرتها الايحائية البـــالغة وقد جاءت أوزانه في قصائده مناسبة للموضوعات التي تناولها وللمضامين التي طرحها، وهـــو هنـــا يؤالف بين تجربته الفنيـــة وتجربته الشعورية ، أي بين أوزانه وعواطفه، بين ايقـــاعاته وصوره الفنيـــة . وملاءمة الموسيقى للموضوع تســـاعد في اكتمـــال التجربة الشعرية ووضوحها وسهولة مدخلها الى نفس السامع .

فقصائده الوطنية : (دعوة الى الجهاد) و (وعد بلفور) و (الشعب الباســـل) و (الشهيد) و (عيد الجامعة العربية) ذوات اصوات عالية ، حتى لتحس أو تســـمع في بعضها موسيقى حربية أشبه بصوت الات الحرب ، وكأنه ينقلك الى اجواء المعركة الحية ، وليست القافية الموحدة ، أو البحر الشعري الواحد همـــا اللذان ولدا هـــذا الجـــو وحدهما ولكن موسيقى القصائد الداخلية ايضا . فاهتمام عبد الرحيم بموسيقاه الداخلية الى جانب اهتمامه بموسيقاه الخارجية حقيقة يحسها قارئه ، ونسوق هنا أبيـــاتا من قصيدته (عيد الجامعة العربية) (١) كدليل على ذلك ، يقـــول عبد الرحيم في نهـــاية القصيدة :

---

١ ـ الديـــوان ، ص ٢٥ .

« قل لا واتبعهــا الفعال ولا تخــف ... وانظر هنــالك كيف تحنــى الهام
أصهر بنــارك غل عنقــك ينصهر ... فعــلى الجماجم تركز الاعـــلام
وأقــم على الاشــلاء صرحك انما ... من فوقـــه تبنــى العــلا وتقام
واغصب حقوقك قط لا تستجدها ... ان الالــى ســلبوا الحقوق لئـام
هذي طريقك في الحيــاة فلا تحد ... قــد ســارها من قبلــك القسام

ويقول في قصيدته (الشهيد) (١) وقد انطلقت منهــا موسيقى حربيــة واضــحة القسمات ولدتها تفعيلات بحــر المتقارب التي تتناسب والمشية العسكرية التــي تقود الى الاقــدام وخوض المعركة ، فالقصيدة تبــدو كنشيد حماسي حربي يرافق المناضلين في هجومهم ونضالهم ، وكأن ايقاعاتها الموسيقية أصوات المعركة ، والابيات التـــي نسوقها هنــا مسكونة بحروف الهمس كالسين والصاد ، وكأنهـــا تتلخص في عبارة « صليل السيوف » أو سماع الصليل المنبعثة من ساحة المعركة ، يقول عبد الرحيم في قصـــيدته :

سأحمــل روحــي على راحتــي ... والقــي بها في مهــاوي الــردى
فامــا حيــاة تسر الصـــديق ... وامـــا ممات يغيــظ العـــدا
ونفــس الشريف لهــا غايتان : ... ورود المنـــايا ونيــل المنـــى
لعمــرك انــي ارى مصـــرعي ... ولكــن اغــذ اليــه الخطـــى
ارى مقلتــي دون حقــي السليب ... ودون بـــلادي هي المبتغـــى
يلــذ لاذنــي ســـماع الصليــل ... ويبهـــج نفســـي مسيل الدما

الى أن يقـــول :

بقلبــي ســأرمي وجــوه العداة ... وقلبــي حــديد وناري لظـــى
واحــمي حياضــي بعد الحسام ... فيعــلم قــومي بأنــي الفتـــى

ويشد سمعنا الموسيقي الداخلية التي ولدتها كلمات البيت التالي :

وجســم تجــدل في الصحصحان ... تناوشـــه جارحــات الفــلا

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ١٣ .

فكل من الكلمتين (تجدل والصحصحان) متآلفتان منسجمتان ، جاءتا في موقعهما من الشعر ، كما هو الشأن في موقعهما على ساحة القتال ، كما ان الشطر الثاني من البيت (تناوشه جارحات الفلا) يشعرنا بالموسيقى الايحائية التي تتركها كل كلمة في هذا الشطر ، كما تتركها كل كلمة من القصيدة نفسها .

ومن هنا فان موسيقى الشاعر لا تنفصل عن معانيه أو صوره ، بل هي وحدة منتظمة متكاملة .

وترق موسيقى الشاعر ، وتعذب في انسياب ناعم ، ولحن رومانسي هادىء موشح بتيار من الحزن لا يعنف ولا يشتد ، ولكنه ينداح كانديباح النور ، أو النسيم العذب حين ينقل انفاس الغرباء ، وأرواح المشردين ، وقد لمسنا ذلك في قصيدته « حنين الى الوطن » (١) حين تمتزج موسيقى القصيدة الخارجية مع موسيقاها الداخلية ، وتنسجمان مع عناصر الطبيعة بنغمة رومانسية فيها بوح الغريب وحنين المسافر .

ويبدو أن شاعرنا قد اهتم بقافيته اهتماما ملحوظا في عدد من مقطعاته الشعرية، ذلك ان كمال الموسيقى في القافية يعود الى عدد الاصوات المكررة أو أواخر الابيات كما يقول ابراهيم انيس في حديثه عن القافية : « ان الشعراء يلتزمون الروي في كل الابيات دائما ثم يلتزمون معه قدرا من الاصوات يزيد او ينقص حسب ما في القافية من موسيقى وعلى قدر عدد الاصوات المكررة في اواخر الابيات يكون كمال الموسيقى في القافية ، على ان الشعراء قد رأوا أن التزام الاصوات قد يكون واجبا وقد يكون جائزا ، ومن هنا نشأت عند بعضهم فكرة (لزوم مالا يلزم) ، التي كرس لها أبو العلاء ديوانا ضخما تكاد عدته تصل الى عشرة الاف من الابيات » (٢)

وسعى عبد الرحيم محمود الى التزام هذه الاصوات المكررة في أواخر أبياته والتزم بها في عدد من مقطعاته التي تبلغ تسعا ، الا أنها جاءت قصيرة في عدد أبياتها فلم تزد أطولها على ستة أبيات في حين اقتصرت على ثلاثة ابيات احيانا .

ونسوق الامثلة التالية التي توضح ما ذهبنا اليه :

١ ــ جاءت معظم قوافيه في لزومياته على ان يلتزم الشاعر قبل الروى وحركته حرفين وحركة ، وقد ظهر ذلك في مقطعاته : (مشكلة القوافي) و (سأفلق قلب الظلم)

---

١ ــ الديوان ، ص ١٧ .   ٢ ــ موسيقى الشعر ، ص ٢٧٢ .

و (الشعور الرقيق يعذب) . يول في مقطعته الاخيرة : (١)

لماذا فظ هـذا الناس قلبا ... ورق لكـي يعذبني شعوري ؟
يـرون فـلا تهيـج لـهم دماء ... مشـاهد ناكئـات بي نعـوري
ولي اذن ذعـور ليـت اذنـي ... من النشجات ليسـت بالذعـور

فالشاعر يلتزم في قافية الابيات السابقة حرفين قبل الروى هما : حرف الردف (الواو) وحرف اخر هو العين ، ويلتزم ضمـة قبلهما . وكذلـك الشأن في (انصفني فانا اخوك) (٢)، حيث يقول :

أتينـا للحيـاة فلـي نصيـب ... كمـا لك انـت في الدنيـا نصيب
فلم تعـدو وتغصبني حقـوقي ؟ ... وتطلـب ان يسـالمك الغصيـب
أعدلك قـال ان اسـعى وتجنى ... واطلـب المعـاش فلا اصيـب ؟
فانصـفني ولا تجحـف فانـي ... أخـوك اذا ذهى الخطب العصيب

فالتزم الباء وحركتها رويا ، والتزم ياء الردف قبلها وحرفا وحركة قبل هذه وتلك همـا : (الصاد والكسرة) .

٢ ـ كمـا التزم في مقطعات اخرى ـ قبل الروى وحركته ـ حرفا وحركة ، كقـوله في « غريب بين الناس » : (٢)

الى من هـادم جسـمي فتـاتا ... فجابـل طينتي فمعيـد سـبكي
فيعبكنـي بهـذا الناس انـي ... غريب بينـهم ويجيـد عبكـي
فانهم رأوا ورأيـت شـيئا ... فراحـوا يضـحكون ورحت أبكي
كأنـي من روايتهم نشـاز ... سـها الراوي فلـم يحفل بحبكي

وفي « النضال أمر يحب لذاته (٣) التزم الشاعر حرف الروي وحـرف الضاد المحرك بالكسر ، يقـول في مقطعته السابقة :

---

١ ، ٢ ـ اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبـة بلدية نابلـس العـامة ١٩٧٥ ص ٤٦،٤٧ .
٢ ، ٣ ـ المرجع السابق ، ٤٦،٤٧ .

جعلت نضالي الظلم هما وديدنا	لاني به حات لدي المعاضل
ؤاحببته حبي الحياة لفضله	علي ولا تنسى لدي المفاضل
فواعجبا ان نلت غاية مطلبي	غدا فيم القاني أعود أناضل ؟
وان وصلت ارضي رغابي مطيعة	فهل لسمائي عن وصالي عاضل ؟

وبعد ، فقد جاء اهتمام عبد الرحيم محمود بموسيقى القصيدة وليد التجربة الفنية ، والاخلاص مع الذات والموضوع والفن ، ذلك ان هذه الموسيقى كانت صنو عاطفته وفكره في آن .

بناء القصيدة عند عبد الرحيم محمود :

معظم قصائد الشاعر التي بين أيدينا تقوم على أساس الوحدة الموضوعية لا الوحدة العضوية ، الا اننا نقف للشاعر على قصائد استطاع ان يحقق فيها جوا نفسيا وفنيا ، فنمت الصور واتسقت ، وترابطت الافكار وتدرجت واتصل الجو الموسيقي فيها بكل من المشاعر والافكار والصور بشكل مقبول ، كما ظهر ذلك في قصائده : (رثاء حمال) و (نجوى المحتضرة) و (جيش الحبائب) و (بيني وبين قلبي) و (الشهيد) ، بحيث نستطيع القول : ان هذه القصائد تصلح مثالا للوحدة الحدسية الاحتمالية التي تقوم على الدفقات الشعورية المتلاحقة ، والجو النفسي من غير أن تصل الى مرتبة الوحدة العضوية الثابتة والتي تتجلى في اطار الشعر الموضوعي المتضمن لكل من الشعر القصصي والتمثيلي .

ان قصائد عبد الرحيم من الشعر الغنائي الذي يعبر عن تجربة ذاتية ، ويتناول قضايا وطنية واجتماعية ووجدانية من خلال ذات الشاعر ، ومن خلال احساسه ووجدانه .

ومعظم قصائد عبد الرحيم قائم على هندسة تقليدية تستمد عناصرها من وحدة الموضوع وتكامله ، وربما تحقق في بعضها بنية معمارية متماسكة ، وما ذلك الا من قبيل احساس الشاعر الفطري بجمال الشعر ، وحسن صياغته ، دون ان يعمد الى تأسيس منهج فني عضوي في بناء القصيدة .

ونسوق فيما يلي قصيدته « وعد بلفور » (١) كما جاءت في مراجعها ، لنرى كيف هندس قصيدته على اساس وحدة الموضوع وتسلسل الاحداث ونمو الافكار وتتابعها بشكل منطقي ، فيقول :

العرب ما خضعوا لسلطة قيصر يوما ولا هانوا أمام تجبر
لا يصبرون على اذى مهما يكن والحر ان يسم الاذى لم يصبر
والترك قد كبروا ، واذا معشر كبر ، وفوق تكبر المتكبر
واذا به امر نبيته لهم تحت الاسنة والقنا والسمهري

* * *

وأتى الحليف وقام في أعتابنا متحيرا انا هدى المتحير
واستنصر العرب الكرام وانهم غوث الطريد ونصرة المستنصر
واذا عتاق العرب تورى في الدجى قدحا وتصهل تحت كل غضنفر
واذا السيوف كأنهن كواكب تهوى تلامع في العجاج الاكدر
رجحت موازين الحليف ومن تكن معه يرجح بالعظيم الاكثر
وبنى تاله اسيافنا صرحا فلم يحفظ جميل العرب ، يا للمنكر

* * *

غدر الحليف وأي وعد صانه يوما وأية ذمة لم يخفر ؟
لما قضى وطرا بفضل سيوفنا نسى اليد البيضاء ولم يتذكر
واذا الدم المهراق لا بمراقة جدوى ولا بنجيعه المتحدر

* * *

يا ذا الحليف سيوفنا ورماحنا لم تنثلم فاعلم ولم تتكسر
بالامس ابلت في عداك وفي غد في كل قلب غادر متحجر
تغلي الصدور وليس في غليانها الا نذير العاصف المتفجر
ولقد تصبرنا عليك فلم نطق منك المزيد ولات حين تصبر
هذي البلاد عريننا وفدى لها من نسل يعرب كل اسد هصر

---

١ — ديوان عبد الرحيم ، دار العودة ، بيروت ، ص١١٦ ، حيث زيد عليها البيت التالي :

في ذمة الرحمن صرعى جدلوا وعلى ثرى بدم الرجال معصفر

قسم الشاعر قصيدته السابقة الى أفكار تتسلسل زمنيا وتاريخيا وفكريا وشعوريا ، ففي الابيات الاربعة الاولى مجد العرب واعتز ببطولاتهم وعرض بالاستعمار التركي على البلاد العربية ، ثم بيت العزم على الانتقام من الترك . وانتقل في الابيات الستة التي تلت ذلك الى الحديث عن نصرة العرب للحلفاء ووقوفهم بجانب بريطانيا في الحرب العالمية الاولى ، وكيف كان للعرب دور ايجابي في رجحان كفة الحلفاء .

ثم ينتقل الشاعر في الابيات الثلاثة التابعة الى تصوير غدر الحلفاء بعد انتصارهم، حيث تنكروا للعرب ، وقلبوا لهم ظهر المجن ، فكان ذلك جزاء حسن صنيع العرب .

وينتهي الشاعر في أبياته الخمسة الاخيرة الى مخاطبة الحلفاء والى تهديدهم ، ويحملهم مغبة فعالهم ، ويهيء النفوس للانتقام منهم بتأسيس جيل الثورة والفداء .

لقد تتابعت الاحداث التاريخية ، وتساوقت الافكار وتواصلت الصور ، وتماسكت الابيات بنسق فني ، تسعفه وحدة الشعور والموسيقى .

الفصل الثاني

منزلة الشاعر



الفصل الثاني

« منزلة الشاعر »

١ ـ أين يقف عبد الرحيم من شعراء ثورة عام ١٩٣٦م ؟

يمكن لحركة الشيخ « عز الدين القسام » ان تشكل المقدمة الفعلية لثورة عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م التي انبثقت من ضمير الفلاح الفلسطيني ، وامتازت بوطنيتها الصادقة ، وديموقراطيتها الى حد بعيد ، كما يمكن ان تتلخص اهداف هذه الثورة المسلحة : بمنع الهجرة اليهودية منعا باتا ، ومنع انتقال الارض العربية الى اليهود وانشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي . (١)

امتدت هذه الثورة المسلحة ما يزيد على ثلاث سنوات ، وقفت فيها القوى الوطنية في وجه المستعمر البريطاني والهجمة الصهيونية ، واستطاع الشعب الفلسطيني ان يقدم التضحيات ، وان يكتب بدم شهدائه سفر الثورة الفلسطينية

من أجل النصر والتحرير .

ولم يكن المثقفون في معزل عن ميدان الثورة ، بل شاركوا فيها قولا وعملا ، وحملوا رسالتها بايمان وصدق وعزم ، فمن وجدانها انطلق شعراء ثلاثة (٢) مثلوا بحق جيل هذه الثورة الغاضب ، ونقلوا من خلال شعورهم روح المقاومة والرفض ، واستطاعوا ان يترسموا خطى الشيخ القسام ، كما رسموا في شعرهم النهج الثوري الواضح ، حيث لخصه شاعرنا عبد الرحيم بقوله :

هذي طريقك في الحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام

والحقيقة ان الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة ، ممثلا في شعرائه الثلاثة ، ادى دوره الطليعي في تغذية الثورة ، وتوعية الجماهير ، وتعبئتها معنويا لمعركة الحياة

---

١ ـ عيسى السفرى ـ فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ـ ج ٢ ، ص ٤٧ .
٢ ـ ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي .

والمصير ، ولم يكتف برصد الاحداث السياسية ، وتصوير الواقع الاليم بما فيه من طبقية وظلم وعسف ، وحسب ، ولكنه كان الدافع والمحرك للثورة ، رسم أهدافها وعبر عن وجدانها ، كما سعى لاستشراف افاق المستقبل بتغيير الواقع ، وتثويره . يقول الياس خوري : « يحمل الشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات المسألة الفلسطينية بوصفها قضيته الاساسية والوحيدة ، فهو في قصائد شعرائه الثلاثة : طوقان وعبد الرحيم محمود والكرمي ، أشبه بنشيد جماهيري يستقي موضوعاته وبنيته من داخل مهمات الحركة الوطنية : دحر الانتداب البريطاني ، والنضال ضد محاولات الحركة الصهيونية لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . أمام هذه المهمات ، يعود الشاعر الى الرجع المباشر ، فهو صدى الصوت الجماعي، والمحرض السياسي والداعية الى الثورة ، وتأخذ القصيدة حجمها بوصفها اداة نضالية » . (١)

ومن هنا يطلع صوت الشاعر ابراهيم طوقان مملوءا بالغضب والعنفوان ، ممهدا للثورة ، ممجدا للشهيد وللشهادة ، فيكتب قصيدة « الشهيد » (٢) ، ويضمنها صورة مشرقة لهذا البطل الذي تبرع بنفسه في سبيل الله والوطن ، يقول طوقان فيما يشبه النشيد :

عبس الخطب فابتسم	وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى	ثابت القلب والقدم
لم يبال الاذى ولم	يثنه طارىء الالم
نفسه طوع همه	وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها	بالاعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم	الى الراسخ الاشم

ويدخل طوقان في هذه القصيدة الى عالم الشهيد من خلال الوصف التسجيلي لمواقف الشهيد البطولية ، والتي لخصها الشاعر في اقدامه وتعلقه وقوته ، وهو يتخذ طريقه الى عالم الشهادة والخلود ، حين ينذر نفسه لله والوطن ، والشهيد هنا يسير نحو الغاية المرسومة حين يمضي في محاولة جادة ليصبح « كوكب الهدى » و « لحنا ينشده الملا » ، ويمزج بين الشهادة في سبيل الله والشهادة في سبيل الوطن حين يقدم نفسه ضحية « لله والوطن » .

---

١ ــ شئون فلسطينية ، ص ٣٦٥ .
٢ ــ ديوان ابراهيم طوقان ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

ان شعر طوقان هذا أشبه بنشيد جماعي غاضب يحمل هم الشعب الفلسطيني، ورغبته الملحة في الشهادة ، وتقديسه للشهيد الذي يرى فيه الرد الحاسم على كل القوى المعادية .

ولعل ارتفاع صوت طوقان في هذه القصيدة عام ١٩٣٤م هو صدى صوت جماهير الشعب الفلسطيني الثائر ، المؤمن بالمواجهة ، والقوة والتحدي ، لذا فقد طبع الشعر في هذه المرحلة بطابع الوضوح والمباشرة والخطابية .

ويرتفع صوت عبد الرحيم محمود ، وهو يتحدث عن الشهيد في قصيدته : (الشهيد) و (البطل الشهيد) (١)، ويتميز صوته من صوت استاذه ، بصدق تجربته الشعورية وحرارتها ، وبامتزاج تجربته الفنية مع تجربته النضالية ، وبشيوع النغمة المأساوية الحزينة في كل منهما ، مع رغبته الصادقة في معانقة الموت باعتباره مناضلا يترجم شعره الى واقع نضالي وممارسة كفاحية حقيقية ، يستكشف نفسه من خلال اطار الشهيد الذي يضع نفسه فيه ، فهو في حديثه عن الشهيد انما يستحضر نفسه ، ويشرحها من خلال عالم الشهادة التي يحلم بها ، ويراه منه قاب قوسين أو أدنى ، فينطلق صوته مملوءا بالغضب والفروسية ، ممزوجا بحزن ثوري رافض ، ليعبر عن هم جماعي من خلال نفسه .

ولو تناولنا موضوعات مشتركة عند الشعراء الثلاثة ، كرثاء المناضلين الشهداء والحض على التضحية والفداء ، والدعوة الى الجهاد والثورة ، لوجدنا أن شاعرنا قد شارك في هذه المواقف البطولية مشاركة واعية ، وبصورة تدعو الى الاعجاب .

فهذا ابراهيم طوقان يرثي موسى كاظم الحسيني والد البطل الشهيد عبدالقادر الحسيني بطل معركة القسطل يقول فيها :

---

١ — انظر القصيدتين في الديوان ، ص ١٢ و ١٣ .

وجه القضية مـــن جهادك مشرق — وعلـــى جهـــادك من وقارك رونق
للـــه قلبـــك في الكهـــولة انـــه — تـــرك الشـــبيبة في حيـــاء تطرق
قلب وراء الشيـــب متقد الصـــبا — كالجمـــر تحت رمـــاده يتحـــرق
أقـــدمت حتى ظل يعجب واجما — جيش من الايـــام حـــولك محدق
تلك الثمـــانون التي وذيتهـــا — في نصـــفهـــا عذر لمـــن لا يلحق
لكـــن ســـبقت بهـــا فمـــا لمقصر — سبب لمعـــذرة بـــه يتعـــلق
عمرتهـــا كالـــدوح ظاهـــر عوده — صلب ومـــا ينفـــك عضبـــا يورق
افضـــى الرئيس الى ظلال نعيمه — وارتـــاح قلب بالقضـــية يخـــفق
آثاره مـــلء العيـــون وروحـــه — ملء الصـــدور وذكره لا يخـــلق (١)

هو رثاء صادق ، نابع من احساس الشاعر الحزين على فراق هذا المجاهـــد ، ولكن القصيدة تبقى ضمن اطارها الوصفي ، الذي يلخص مناقب المرثي علـــى عادة القدامى ، دون أن تطـــرح القصيدة رؤية جديدة ، أو أن تتجاوز حدود الواقع المريض الـــى مســـتقبل اكثـــر قـــوة وحرية .

واستطاع الشاعر عبدالكريم الكرمي أن يشارك بقلمه في رثاء بطل كبير هـــو الشيخ المجاهد فرحان السعدي الذي أعدمته السلطات البريطانية رغـــم تجاوزه السبعين من عمره وهو رثاء « امتزج فيه الفكر والحس امتزاجا لا أثر للازدواجية فيـــه مع ميزة اخرى هي البناء الشعري بالصور بدلا من الوصف التقريري الرتيب » (٢). يقول أبو سامى في مطولته المشهورة : (٣)

انشـــر على لهـــب القصـــيد — شـــكوى العبيـــد الـــى العبيـــد
شـــكوى يرددهـــا الزمـــا — ن غـــدا الـــى الابـــد الابيد

وصحيح ان أبا سلمى قد ارتقى بمطولته الى مرتبة مرموقة ، لمـــا امتاز به مـــن براعة التصوير ، ودقـــة التعبير ، والجرأة في القول والعنف في مهاجمـــة الزعماء والملوك ، وصحيح ان طوقان اسهم كذلـــك بشعـــره في ابراز دور ابطال الثورة

---

١ ـــ ديوان ابراهيم طوقان ، ص ١٦ ، وانظر كامل السوافيري ، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ١٣٩ .
٢ ـــ انظر حياة الادب الفلسطيني الحديث ، ص ٢٤١ .
٣ ـــ انظر ديوان أبي سلمى ، دار العودة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٨م ص٢١ وما بعدها

وشهدائها ، الا ان عبد الرحيم محمود استطاع ان يلخص في رثائه المجاهد الكبير عبد الرحيم الحاج محمد « ابي كمال » وجدانه ووجدان الشعب الفلسطيني قاطبة ، بحيث جاءت قصيدته التي تحدثنا عنها مثالا للحزن الرافض ، ونموذجا فنيا راقيا للشعر القوي ، والاحساس الصادق ، والوعي العميق .

كما اسهم الثلاثة في الحض على التضحية والفداء ، وادلى كل بدلوه في هذا المضمار ، فكتب ابراهيم طوقان قصيدته (الفدائي) (١) مجسدا صوت الشعب الفلسطيني ، وهو يطالب بحقه على أرضه فيتخذ الشاعر من الفدائي رمزا للمقاتلين والثوار الذين حملوا ارواحهم على راحتهم ، ليدخلوا عالم الشهادة . يقول طوقان في « الفدائي » :

لا تسل عن سلامته	روحه فوق راحته
بدلته همومه	كفنا من وسادته
يرقب الساعة التي	بعدها هول ساعته
شاغل فكر من يراه باطراق هامته	
بين جنبيه خافق	يتلظى بغايته
من رأى نجمة الدجى	اضرمت من شرارته
حملته جهنم	طرفا من رسالته
هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف	خجلا من جراءته

ان طوقان يتعامل مع موضوع « الفدائي » من الخارج ، يصفه ، ويسجل مواقفه، يعرضها ويتدخل فيها ، ويمجدها داعيا الى احتذائها واجلالها ، وهو في هذا يظل ضمن دائرته التأملية لعمل الفدائي ، دون أن يشارك هو فعليا في عملية الفداء ، ودون أن يحمل السلاح مناضلا وطالبا للشهادة .

---

١ ـ د. عمر فروخ ـ شاعران معاصران ، ص ١١٩ .

ويذكر الدكتور فروخ في مناسبة هذه القصيدة أن « نورمان بنتويش يهودي الجنسية كان قاضيا للقضاء في فلسطين وقد أمعن في النكاية بالعرب وكان مسؤولا عن عدد من القوانين الاستبدادية الجائرة التي اضرت بالعرب . ولقد كان يهدف الى تحقيق الوطن القومي اليهودي عن طريق اضعاف الكيان العربي ، وقد حاول احد الشباب العرب أن يغتاله عند مدخل دار الحكومة في القدس واطلق النار عليه فجرحه، فكتب ابراهيم هذه القصيدة بهذا (الفدائي) » .

امـــا عبد الرحيم فشعره في هذا المجال يحمل موقفا ثابتــا ومحددا ، والفــداء عنده ممـــارسة حقيقية ، وفعل ثوري يحمله قـــولا وعمـــلا ، كمـــا ان كفاحه المسلح أهله لان يدخل دائرة الصدق الفني ، فالشهادة عنده مطمح داخلي ، وهـــــو حين يتحدث عن الفدائية والموت ، لا يستحضر فدائيا اخر ، ويصوره من الخارج والداخل كما فعل (طوقان) ولكنه يقف موقف الفدائي نفسه ، فيغـــدو التصوير فعـــــلا ، والشعر واقعـــا ، والنموذج كيـــانا داخليا صادقا .

ومن هنـــا اتقدت حرارة شعر عبد الرحيم ، ومن هنـــا نبع تأثيره وفاعليتـــــه ، لانـــه يزاوج فعـــلا بين القصيدة والبندقية من جهة ، والنضال والشهادة من جهـــة اخـــرى .

ولقد حمل عبد الرحيم فكرة (الفداء ــ الشهادة) في أكثر من قصيدة ، فهـــــو فدائـــي عندمـــا يقـــول :

سأحمـــــل روحـــي على راحتي	والقي بهـــا في مهـــاوي الـــردى

وهـــو فدائي عندما يصرخ :

بقلبـــي ســـأرمي وجوه العـــداة	وقلبـــي حـــديد ونـــاري لظى

وهو فدائي حيث يقـــول :

دعا الوطـــن الذبيـــح الى الجهاد	فخـــف لفـــرط فرحتـــه فـــؤادي
وسابقـــت النسيـــم ولا افتخـــار	أليس علـــي ان افدى بـــلادي ؟!
حملت علـــى يـــدي روحي وقلبي	ومـــــا حملتهـــــا الا عتـــادي
فمـــن كبش الفـــداء سوى شباب	أبـــي لا يقيـــم علـــى اضطهاد ؟

كما تبـــرز هذه النزعة في قوله :

ان تقاعسـت عن الحـــرب فانـــي	مجـــرم يقعـــد عن شأو المعالي
غايتـــي ألقى المنـــــايا عاجـــلا	في مجالي العـــلم أو ساح النضال

هذه النزعة الفدائية الصارمة عند عبد الرحيم ــ وهو يتحدث عن نفسه كفـــدائي، ومناضل ، وثائر ــ لا نجدها في شعر زميليه (طوقان والكرمي) بهـــذا الوضع القوي،

والمعاناة الصادقة ، وهذه الروح النابعة من تجاريبه النضالية علـى ارض المعركة . نزعة عبد الرحيم هذه جـزء لا يتجزأ من كيانه وشخصيته ، ذلك أنهـا نزعة داخلية، ولدت معه فجسدها شـعرا وكفاحا مسلحا .

واذا كان الشاعر عبد الكريم الكرمي قد كتب قصيدة « جبل النار » (١) داعيا فيها الـى البذل والتضحية والفـداء .

فان عبد الرحيم كتب كذلك قصيدته (الشعب الباسل) ، حيث اعتز شـاعرنا بالشعب الفلسطيني الذي لم تفت الصعاب في عزيمته ، وغلبت على قصيدته نغمـة الفخر والحماسة ، وجاءت دعـوة صارمة وحادة وشجاعة لاخذ الحـق بقـوة الحـديد والنـار .

والشعراء الثلاثة كتبوا في الحض على الثورة ، فنظـم طوقان قصيدة عنوانها : « يا رجال البلاد » (٢) وانطلق صوت عبد الكريم الكرمي في قصيدة « يا فلسطين » (٣) وشارك عبد الرحيم محمود هو الاخر في الحض على الثورة والنضال ، ووقف مـع نضـاله شـاعرا .

لقد شارك هؤلاء الشعراء بشعرهم في ثورات فلسطين واحداثها ، وعاشـوا اعنف هذه الثورات ، ونعني بهـا ثورة عام ١٩٣٦ـ١٩٣٦م ، فجاء شعرهم مشحونا بالوعي والفاعلية ، ممتلئا بالثورة والتحريض على النضال ، كمـا حملوا الهم الوطني وعبروا عن أفكـار الناس وقضاياهم السياسية والوطنية والمصيرية ، كمـا حذروا من الاخطـار التي تهـدد مصير الامة .

لقد مثل هؤلاء الشعراء المثقفون جيل المقاومة ، حين نهضوا بدورهم القيـادي وعاشوا احداث الثورة الكبرى ، كمـا كانوا شعراء مناضلين حـين اتخذوا الشعر اداة من أدوات هذا العمل السياسي الثوري . (٤)

---

١ ـ انظر القصيدة كاملة في ديوان أبي سلمى ، ص ١٥ وما بعدها .
٢ ـ ديوان ابراهيم طوقان ، ص٥٥ ، وانظر ، د. كامل السوافيري ، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، ص ٢١٦ .
٣ ـ راجع القصيدة كاملة في ديوان أبي سلمى ، ص ١٧ وما بعدها .
٤ ـ محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٧٢ .

وعبد الرحيم محمود احد هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين طلعوا من وسط الجماهير الثائرة ، ومكانته بينهم تتحـــدد من خلال مواقفه الثورية التي طرحهـــا من خــــلال شعره ومشاركته النضالية ، ومن خلاص خصائصه الفنية التي تميز بها شعره .

ونستطيع ونحن بصـــدد اظهـــار مكانة الشاعر بين زميليه من شـــعراء ثـــورة عام ١٩٣٦ ان نسجل الملاحظات التالية :

أولا : يتميز صوت عبد الرحيم بأنه من أصفى وأصدق الاصوات الشعرية التي ارتفعت في هذه المرحلة النضالية من تاريخ الامة العربية ، فهـــو الشاعر الوحيـــد الذي مزج بين تجربته الفنية وتجربته النضالية ، ونقـــل الشعر الى ساحة القتال ، وختم حياته بالشهادة .

ثانيا : صور عبد الرحيم بشعره احداث الثورة ، وعبر عن همـــوم الجماهير الفلسطينية بحرارة ، فجعل الشعر موقفا ، والنضال موقفا ، ولم يكتف بنظم الشعر وهـــو بعيد عن ساحة القتال ، بل دعا الى لحم القـــول بالفعل :

قل : لا واتبعها الفعال ولا تخف وانظر هنـــالك كيف تحنـــى الهام

واذا كان عبد الرحيم شاعر الثورة ، فهـــو ـــ كمـــا عرفنا ـــ شاعر الفقـــراء وشاعر الطبقة العاملة في هذه المرحلة النضالية .

ثالثا : رصد عبد الرحيم الاحداث السياسية والوطنية ، ولخص وجدان الشعب فجـــاء شعره سجلا ثوريا لمقدمات الثورة ونتائجها ، وأضـــاف الـــى ذلك دعوته الى تغيير الاوضاع ، وتجاوز الواقع الراهن الى واقع اخـــر تتحقق فيه العـــدالة السياسية والاجتماعية والوطنية .

رابعا : آمن بالنضال طريقا للتحرير ، فحمل البندقية ، وخاض المعارك ، فجاء شعره صنو حياته ونضاله ، واقترب في شخصيته من شعراء الخوارج من حيث قـــوة العقيدة ، والاخلاص للمبدأ ، والعناد ، والجرأة في الرأي ، وطلب الشهادة .

خامسا : اختصر عبد الرحيم في شعره تطلعات شعبه ، كمـــا صور تلك الفترة مـــن حياة فلسطين تصويرا مفصلا ، بحيث يعتبر أنموذجا لشعراء هذه الفترة وفي ذلك يقـــول الدكتور حسني محمود حسين : « ويمكن بحق أن يعتبر الشـــاعر الشهيد (عبد الرحيم محمود) نموذجا لشعراء هذه الفترة ، فقـــد جمع في شعره كل سمات المرحلة ودعواتها ، فكـــان صوت الحكمة والواقع والضمير ، اذ التقى لديه صـــوت القـــوة والغضب وهو يدعو الى الثورة ويخوض غمـــارها بنفسه ، وصـــوت السخرية والتهكم والمرارة ، وهو يضع نبوءته بمصير الوطن امام شعبه وأمته » . (١)

١ ـــ مجلة الاداب البيروتية ، العدد (٢) شباط ١٩٧٣ السنة الحادية والعشرون ص٢١

سادسا : يقول الدكتور عمر فروخ في معرض حديثه عن شعراء فلسطين الذين وقفوا معظم شعرهم على الناحيتين السياسية والوطنية ومنهم شعراء جيل الثورة :

« اما في فلسطين نفسها فهناك نفر وقفوا معظم شعرهم في الاكثر على هذه الناحية القومية الوطنية السياسية ، منهم ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي وبرهان الدين العبوشي وعبد المنعم الرفاعي وفدوى طوقان أخت ابراهيم ، على أن ابراهيم كان أوسعهم قولا وأنفذهم بصرا ، ومع أنه توفي قبل وقوع الكارثة بسبع سنوات كاملة ، فانه كان يجزم في اشعاره ، وفي رسائله الي ، بالنتائج المنتظرة من تخاذل العرب وتنازع رؤسائهم على سفاسف الامور وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح » .

و « عبد الرحيم محمود يأتي في المرتبة الثانية بعد ابراهيم طوقان في هذا الباب من القول ، ولكنه فوق جميع الذين قالوا ، لانه كان من المجاهدين وقد سقط شهيدا في معركة الشجرة » . (١)

وتنبأ عبد الرحيم بالنكبة قبل حدوثها بثلاثة عشر عاما ، كما حذر من المصير السيء الذي ينتظر العرب ، كما هاجم الملوك والزعماء بصدق وحماسة ، وبذلك شارك استاذه في هذه الخصيصة .

وشعر عبد الرحيم محمود يحمل كل سمات هذه المرحلة بصدق ، كما أنه الشاعر الفارس الوحيد الذي لحم الشعر بالنضال ، فكان شاعرا مناضلا ، ومناضلا شاعرا ، كما توج حياته بشرف الشهادة بينما كان يخوض معارك الفداء والتحرير ، ولعل هاتين الخصيصتين : مشاركاته النضالية ، واستشهاده في سبيل الوطنلم تتوفرا لغيره من شعراء جيله وعلى رأسهم استاذه ابراهيم طوقان ، كما ان شاعرنا تميز بخصيصة ثالثة وهي بروز جانب الثورة والغضب والرفض والتمرد في شعره ، فجاءت قصائده مقاتله تحمل طابعه النفسي والفكري ، وتنقل ملامحه المسكونة بالمقاومة والكفاح المسلح .

---

١ ــ شاعران معاصران ، ص ١٠٤

فعبد الرحيم والحالة هذه هو الشاعر الفدائي الاول في تاريخ الشعر الفلسطيني واذا كانت غزارة انتاج الشاعر لا تكفي وحدها دليلا على تقديمه على سواه فان عبد الرحيم سيظل مزاحما لاستاذه طوقان في معظم شعره ، في حين يتقدم عليه في مجال الشعر الوطني ونيل الشهادة (لانه كان من المجاهدين) .

ولعل من الحق ان ننظر في رأي الشاعرة الفلسطينية المعاصرة فدوى طوقان وهي تتحدث عن كلا الشاعرين : اخيها ابراهيم ، والشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في هذا المجال الوطني الذي نحن بصدده ، تقول فدوى في تقديمها لديوان ابراهيم طوقان : وهكذا ، ترى شعره الوطني شعرا يحمل طابعا فلسطينيا خاصا ، كان حتما ان تطبعه به احوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظلم من عهود فلسطين ، وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن ، وشاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده في شعره القوي ، الذي يمتاز بذلك الطابع الفلسطيني الخاص ، ولو لم تنعكس في ذلك الشعر أصدق صورة لهذا الوطن في هذا العهد » . (١)

أما حديثها عن عبد الرحيم محمود فقد جاء في معرض تقديمها للدراسة التي أعدتها مكتبة نابلس العامة عن شاعرنا الشهيد ، حيث تقول :
« لان صوت قصائده هو صوت الشعب الفلسطيني بكل ما فيه من قوة واصالة وتدفق وحرارة ، لانه كان انسانا يحمل في داخله ضمير الشاعر الملتزم بقضايا مجتمعه ، ولانه رأى عالما مجرما يتآمر كله لاغتيال شعب ، ولاغتيال وطن اندفع وعلى فمه الكلمة الشريفة وفي يده السلاح الشريف ، ليعمل مع العاملين على انزال اله الطغيان عن عرشه .. (وتضيف الشاعرة قائلة) :

« لم يكن الشعر بالنسبة لعبد الرحيم محمود لغوا ولعبا ، بل كان الكلمة المسؤولة والسلاح المرفوع للدفاع عن قضية كان شديد الايمان بعدالتها ، بحيث اصبحت كلها بأرض وطنه وهوائه ومائه وسمائه ، وبلغ جوده اقصاه ذروى ثراه بدمائه ، فكان استشهاده في معركة الشجرة هو قصيدته الكبرى . ولسوف يظل عبد الرحيم ذلك الفلسطيني الجميل الذي تتمثل فيه شخصية الشعب الفلسطيني بكل ما فيها من روعة

---

١ ـــ ديوان ابراهيم طوقان ، ص ٢٨ .

التضحية وجمال البذل ، ولسوف يظل هذا الشاعر الشهيد لهبـــا يتأجج فـــي اعمال الشعب ، ورمزا حيـــا للروح الفلسطينية الحقيقية ، روح التمرد والرفض والتحدي المضـــاد » . (١)

ونخرج من حديث فدوى طوقان بالقضايا الاساسية التالية :

١ ــ يتميز عبد الرحيم بأنه الشاعر الفلسطيني الملتزم حقا بقضايا وطنه وامته .

٢ ــ انه الشاعر الثوري الرافض لكل الحلول الاستسلامية والمواقف الانهزامية .

٣ ــ تـ‍ــرد بمزاوجته الفعلية بين الشعر والنضال ، بين الثورة المسلحة والشهـــادة على أرض فلسطين .

٤ ــ تميز شعره بالقوة والاصالة وبتدفق العاطفة وحرارتها وصدقها .

٥ ــ حمل هذا الشاعر شخصية الشعب الفلسطيني وصوته الغاضب المتمرد ، كمـــا مثل كل سمات هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الامة العربية .

٦ ــ كان الشعر بالنسبة اليه موقفا محددا واضحا ، سخره لخدمة القضية والدفاع عنها وبذا أدى عبد الرحيم دوره كمثقف ثوري على احسن وجه .

٧ ــ لم تتطرق الى شعره نغمة اليأس ، ولم يتهاون قط في مواقفه أو يساوم في آرائه ، ولكنه ظل قوي العزيمة ، صلب العود ، رسم بشعره كل صفات البطل الرافض لاشكال الخنوع والذل ، وحتى في نظرته للموت ، وفي سعيه اليه ، كان متفائلا ، لانه رأى في الموت حياة جديدة ، ومعبرا جميلا للشهادة والخلود ، فموت الابطال هو حياة أخرى بمفهوم الفكر الانساني ، وهذه النظرة للموت ، باعتباره (الحياة والنموذج) وباعتباره المعبر الحقيقي للشهادة هي السمة الفكرية التـــي برزت في شعرنا الحديث بعامة ، وفي شعر شعراء المقاومة الفلسطينية بخاصة .

---

١ ــ اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص ٣

وانا لنعجب حقا بشاعرية ابراهيم طوقان المتدفقة ، ونعتز بمواقفه الوطنية الصادقة من القضية ، فهو الذي حذر من بيع الاراضي لليهود ، وندد بتجار الاراضي والسماسرة في أكثر من موضع شعري ، كما خوف من اخطار الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وهاجم الزعماء والرؤساء وسخر منهم ، ودعا الى وحدة الاحزاب السياسية وأكد على ضرورة التمسك بالارض ومناصرة القضية الفلسطينية .

ولا نشك في أن شهرة طوقان تعود الى هذا العطاء الشعري الاصيل الصادق الذي قدمه ، والى مجموعة اسباب أخرى أدت الى اظهاره وتسليط الاضواء على شاعريته : فهو من آل طوقان من أشهر عائلات فلسطين وأغناها « فبيت طوقان في نابلس بيت جاه وغنى وكرم وشيء من الاقطاعية النيرة » (١) ، كما أن دراسة ابراهيم في الجامعة الامريكية في بيروت ، واشتغاله مديرا للاذاعة في فلسطين ، بالاضافة الى كثرة البحوث والدراسات التي تناولته وعرضت لشعره وحياته ، ساعدت في اظهاره وتعريف القارىء العربي به ، اكثر من زميليه .

أما عبد الرحيم محمود ، الفلاح الثائر ، وابن القرية ، فقد طلع من وسط الجماهير الكادحة ليمثل وجدان الطبقة العاملة والناس البسطاء ، وليحمل هموم الفلاح الفلسطيني في تطلعه للحياة والحرية ، ولم تكن ثورة عام ١٩٣٦ في حقيقة الامر الا ثورة فلاحين ، « أما الفلاحون فقد كانوا سداة الثورة ولحمتها ، ولم يكن غريبا ان ينجب الريف الفلسطيني خيرة مقاتلي الثورة ومناضليها والذين كانوا بحق ، القيادة الفعلية للثورة ، قيادة الكفاح المسلح .. وقد كان ٩٠٪ من الثوار المسلحين فلاحين » . (٢)

من هنا مثل عبد الرحيم وجدان هذه الثورة ، فكان احد كوادرها المقاتلة والمثقفة . ولنا عودة الى منزلة عبد الرحيم محمود ومكانته بين ادباء عصره .

أما عبد الكريم الكرمي المكنى بأبي سلمى فهو أحد الثلاثة الذين ينتسبون الى جيل الثورة ، ناضل بشعره فكتب أعنف وأصدق قصائده الوطنية .

---

١ ــ شاعران معاصران ، ص ١٦
٢ ــ كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨ ، ص ١٨٢

ويفرق رجاء النقاش بين شعر الكرمي وشعر زميله طوقان وعبد الرحيم في أن شعره يختلف قليلا عن شعرهما في طريقة الاداء ، حيث يعتمد علـــى الطابع العقلي ، فعاطفته تتسم بالهـــدوء لذا فانه يهتم بالتفاصيل الكثيرة ، ويستكمل موضوعه الشعري من جميع نواحيه ، مبرزا أفكاره في عناية واهتمام عن طريق الصور النامية ، لذا تجيء القصيدة عنده عملا متكاملا في مادتها وشكلها وقوالبها التعبيرية وصورها الشـــعرية ، وذلك أمر لم يتأت لطوقان وعبد الرحيم كمـــا هو الشأن عند ابي سلمى ، « القصـــيدة عندهما كانت فطرة تتفجـــر وعاطفة هادرة ومنشورا ثوريا ، كل ذلك بالطبع دون أن تفتقـــد في (أبي سلمى) العاطفة الوطنية الدافئة الصادقة التي تربطه تمـــاما بأبنـــاء جيل عام ١٩٣٦م من الشعراء المناضلين » (١)

وقد يكون لهـــذا الكلام ما يبرره عند عبد الرحيم محمود ، ذلك أن شعره نابع من كيانه الثوري ، ومن وسط الثورات والمعارك ، وهو شعر جماهيري ، مقـــاتل ، تلزمه العاطفة الهادرة والصوت المرتفع ، وهو شعر المهمات المباشرة ، اذ لا يسعفه وقته الموزع بين النضال والثورة ــ بحسبانه احد الثوار الذين يتخذون العمـــل الثوري فعلا وممارسة ، ويسخرون الشعر لخدمة الوطن والمعركة ــ لان يولى شعره اهتماما كبيرا ، وعناية فكرية وفنيـــة مقصودتين ، ومع ذلك جـــاء شعره ممثلا لطبعه وفطرته واحساسه وفكره ، كمـــا جاء مكتملا في أدواته الفنية من غير تكلف ظاهر أو تصـــنع مقصـــود .

ويذكر الدكتور ناصر الدين الاسد ان عبد الكريم الكرمي قد شارك في شعره ، بأن غذى الثورة بأفكاره واشعاره فنظم سنة ١٩٣٦م مسرحية شعرية بعنوان (الثـــورة) وبعث بهـــا الى صديقه المرحوم (ابراهيم عبد القادر المازني) ليستبين رأيـــه فيها ، فأرسل اليه المازني رسالة بتاريخ ١٩٣٧/٦/٢٧م أشـــار فيهـــا الـــى بعض رايه في المسرحية ومما ذكره : « ولقد درستها والله من أول يوم درسا دقيقا مرة وثانية وثالثة ،

---

١ ــ محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٨٢

وشكرت لك انك امتعت اخـــاك بهذه اللفحة الطيبة ، وسرني واعزني أيضا والله ــ أنك جعلتني أحـــد اثنين اختصصتهما بذلك ــ (الثاني هو الاستاذ خير الدين الزركلي) فأنا امشي مذ تلقيت شعرك منفوخا مزهوا لا تكاد الدنيـــا تسعني ، اليس أبو سلمى قد رفعني الى هذا المقام ؟ . ولا اطيل عليك في هذا ، فمـــا ينقصل الثناء ولا العـــلم بأنـــك شـــاعر هذه البـــلاد العربية غير مدافع .. » . (١)

وفي حديث الاستاذ المازني ما يشير الى جملة قضايا ، نذكر منها :

أولا : اتصال شعراء ثورة عام ١٩٣٦ في فلسطين بسواهم من مثقفي وادباء البـــلاد العربية المجاورة ، ونقل حوادث الثورة المسلحة اليهم عن طريق الكلمة المكتوبة .

ثانيا : تسخير لون من ألوان الشعر العربي في فلسطين وهـــــو « الشعر المسرحي » لخدمة الثورة ، ورصد احداثها ، والتعبير عن مطامح ابنائها .

ثالثا : تصنيف المازني لابي سلمى ، بأنه « شاعر هذه البلاد العربية غير مدافع » .

وقد يكـــون حكم المازني هذا على شاعرية الكرمي نوع من المجاملة وضرب من التشجيع ، وقد يكون من قبيل الحكم السريع الذي تمليه رسالة شخصية ، فنحـــن نشـــك في أن المازني قد اطلع على نتاج زميليه : طوقان وعبد الرحيم محمود اطـــلاعا وافيـــا ليدلي بحكمه ضمن هذه المرحلة النضالية من تاريخ فلسطين ، ومما يقوى هـــذا الشك لدينـــا ، ان شعراء مصر قد انصرفوا الى امـــور التجديد وانشغلوا بقضـــايا الغـــزل والفلسفة في ذلك الوقت ، ويؤكد الاستاذ رجاء النقاش ذلك بقوله :

« ولعل انصراف الشعراء المجددين في مصر في الثلاثينات عن الموضوعات الوطنية عموما والموضوعات العربية على وجه خاص ، كان اثـــرا في اثار العزلة الوجدانية والسياسية في مصر عمـــا يجري في الوطن العربي في تلك الايام ، فبينمـــا كانت ثورة فلسطين تشتعل في قراها ومدنها وسهولها وجبالها في عام ١٩٣٦ ضد الانجليز واليهود، كانت القيادات السياسية في مصر تتوجد في جبهة لمفاوضة الانجليز والانتهاء الى معاهدة

---

١ ــ الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ص ٢١٦

سنة ١٩٣٦م ، أي أن الانجليز كانوا يتعاهدون ويتفقون في مصر في نفس اللحظة التي كانوا يطلقون فيها الرصاص على شعب عربي اخر هو شعب فلسطين ، ومن هنا — في ظني — كان الجو السياسي العام في مصر — التي كانت مركزا لحركات التجديد الفني — جوا هادئا نسبيا مما ابعد كثيرا من الشعراء المجددين عن الارتباط بالمعركة العربية في تلك الايام ، ومن هنا ضعف تأثيرهم التجديدي على شعراء فلسطين ». (١)

الا ان ذلك لم يضعف جو المشاركة الوجدانية والوطنية بين اقطار الوطن العربي — ومن ضمنها مصر — ، كما لا نشك في اطلاع المازني على شيء من ادب المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة الحاسمة ، ولكن ليس بالقدر الذي يؤهله لاصدار حكم نقدي تلزمه الدراسة المقارنة والعميقة لشعر شعراء جيل الثورة وعلى رأسهم شعراؤنا الثلاثة . ومع ذلك فنحن نقع على ابيات شعرية لشاعرنا « عبد الرحيم محمود » يؤكد فيها وفرة التضامن العربي ، ويحمل من خلالها على وهمية هذه الحدود الخرافية فيقول :

فاذا تشكى النيل من آلامه	شقت مرائر دجلة الالام
واذا تنادى المغرب الاقصى لدى	جلى استجابت للنداء الشام
ذهبت خرافات الحدود فكلها	وطن لنا لو صحت الافهام (٢)

ومهما يكن من أمر فان عبد الكريم الكرمي ، كان احد شعراء هذه المرحلة المشهورين ، شارك زميليه الريادة الشعرية ابان الثورة الفلسطينية الكبرى .
وقد تميز شعره بوفرة القيم الموسيقية وبغنائيته ، كما أنه تميز أيضا من زميليه بتعبيره الشعري غير المباشر . (٣)

وقد ساعدت حياته التي امتدت اكثر من ثلاثين عاما بعد زميليه أن يشهد صراعنا الدامي مع الاستعمار والصهيونية ، فاتسعت ثقافته ، وتلونت وتعمقت تجاربه ،

---

١ — محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٧٣ و ٧٤ .
٢ — ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٤٥ .
٣ — الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ص ٢١٨ .

واكتمل وعيه بالقضية ، بالاضافة الى نضاله الشعري في احداث فلسطين الدامية عبر الثلاثينات والاربعينات ، ووعيه لاحداث النكبة والنكسة لعام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٧م ، وما تبع ذلك من مطامع توسعية .

وامتلا شعره بعد ذلك بالحزن والالم والمرارة ، فكانت قصائده الحزينة مثل الزهور الدامعة المعلقة على صدر شعره النضالي ، على حد تعبير رجاء النقاش. (١)

وبهذا يكون الكرمي قد اختصر عدة أجيال شعرية في مسيرة حياته الطويلة ، كما صور المشاهد والاحداث الوطنية التي تعاقبت على فلسطين منذ الربع الاول من القرن العشرين .

وبعد ، فنحن لا نشك في أن صوت شاعرنا الشهيد عبد الرحيم محمود كان صوتا متميزا ، ومترددا بين صوتي طوقان والكرمي ، فهو الشاعر المناضل الذي غمس كلماته بالدم ، ورسم صوره الشعرية من أجواء النضال الحي ، الذي عاشه ساعة ساعة ، وقصائده تفوح برائحة البارود ، وتمتلىء بالمواقف البطولية التي مارسها شاعرنا فكرا وعملا .

لقد عاش عبد الرحيم محمود الفكر والعمل النضالي ، وهو يرافق الثوار في جبال فلسطين ، ويخوض معارك الشرف والنضال في بلاده وفي العراق ، وظل الشعر في جميع هذه الحالات صنو حياته ونضاله وشهادته ، لذا فقد جاء صوته صافيا صادقا وحارا فيه القوة والحكمة ، وفيه الجرأة والوضوح ، لم يتصنع مواقفه ولم يتكلف أشعاره .

والحقيقة أن عبد الرحيم محمود يقف في طليعة شعراء ثورة عام ١٩٣٦م ، ولعل فيما قدمناه من دراسة حول شعره الوطني ومواقفه الثورية وخصائصه الفنية ما يعطي التبرير لهذا الحكم .

---

١ — محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٨١ .

٢ ـ شعراء الارض المحتلة امتــداد لشــعراء الجيــل الاول

يعــد جيل الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م) جيل المقاومة الاول هذا الجيل المولود من رحم هذه الثورة ، ومن وجدان الشعب الفلسطيني المســـكون بالغضب والرفض والتمــرد ، ولم يكن شعراء هــــذا الجيل ـ وابرزهم طوقــان وعبد الرحيم محمود والكرمي ـ الا الشعراء المناضلين الذين انطلقت أصـــــواتهم الشعرية في مطالع الثلاثينات من القرن العشرين ، لتحمل رسالة الشعر المتمثلة فـــي مقاومة الهجمة الصهيونية ، والانتداب البريطاني ، والرامية الى الحيلولة دون اقامة وطن قومي لليهــود في فلسطين أو تسرب الاراضي اليهم ، والعمل على تحقيق السيادة الوطنية في فلســـطين .

ولم تنقطع هذه الاصوات بموت أثنين من شعــــــرائها : طوقان سنة ١٩٤١م وعبد الرحيم محمود سنة ١٩٤٨م ، ولكنها استمرت لترتفع من جيلين شعريين اخرين من أجيــال المقاومة هما : جيل عام ١٩٤٨م ، والجيل المتمثل في محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين وسالم جبران وحنا أبو حنا وحبيب قهوجي وعصام عباسي وغيرهم ، وهم الشعراء الذين انطلقت اصواتهم من داخل الارض المحتلة بالاضافة الى صوت الشاعرة الفلسطينية المعاصرة فدوى طوقان .

يقول رجاء النقاش : « لم يظهر محمود درويش فجأة ، ولم تظهر مدرستـــــه الشعرية بلا مقدمات ، فمحمود درويش ومدرسته يرتبطان أشــد الارتباط بحــركة النضال في فلسطين وبشعراء هذه الحركة النضالية ، ولو عدنا الــــى تاريخ الادب العربي في فلسطين لوجدنا أن مدرسة محمود درويش تمتــد بجذورها الـــى جيلـــين سابقين همـــا جيل عام ١٩٣٦م وجيل عام ١٩٤٨م والحادث الرئيسي الذي كان فرصة لظهــور الجيل الاول من شعراء المقاومة هو ثورة عام ١٩٣٦م . (١)

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٦٢ .

ونلاحظ من كلام النقاش السابق ارتباط مدرسة محمـــود درويـــش بمرحلتين شعريتين مثلهما جيل عام ١٩٣٦م (طوقان وعبد الرحيم والكرمي) وجيل عام ١٩٤٨م (الكرمي وغدوى طوقان وغيرهما) .

كما يؤكد النقاش أهمية ثورة عام ١٩٣٦م في ايجاد الجيل الشعري الاول مـــن شعراء المقاومة والذين وقفوا في شعرهم مواقف وطنية مشرفة ، وسخروا الكلمـــة لشحذ الهمم وتوعية النفوس والتنبيه الى خطر الهجرة اليهودية وانتقال الاراضـــي العربية الى الاجانب . فكان طوقان حملة على المتهاونين والمتخاذلين ، دعـــا للاحتفاظ بالارض والدفاع عنها ، وكذلك وقف الكرمي مهاجما الملوك والزعماء وان كـــان صوته المملوء بالمأسوية والحنين والحزن قـــد ظهر بعد النكبة عام ١٩٤٨م ، حيث أطلـــق عليه شاعر « الفردوس المفقود » ، لانه أحد شعراء اليأس والهزيمة ، أمـــا عبد الرحيم محمود فقـــد امتلا صوته بالغضب والرفض والمقاومة منذ اللحظة الاولى التي انطلـــق فيهـــا الشعر على لسانه ، حمل في شعره الشخصية الفلسطينية الحقيقية ، وكـــان الشاعر المقاتل الذي وظف كلمته لتقاتل معه جنبـــا الى جنب في وسط المعارك .

ويعود رجاء النقاش فيؤكد على تأثير جيل المقاومة الاول على من جاء بعدهم مـــن شعراء فلسطين فيقول : « وهذا الجيل من شعراء عام ١٩٣٦م هـــو التراث الفنـــي والنضالي الذي تجدد ــ شعرا وكفاحا ــ في محمود درويش وفي جيله مـــن شـــعراء المقاومة في الارض المحتلة » . (١)

لقد استمر شعراء الارض المحتلة في مسيرتهم الشعرية الحـــافلة بالمواجهـــة والتحدي ، والقائمة على ارضية صلبة من الوعي والتفاؤل والفكر الانساني الواســـع بحيث دعا بعضهم الى التمسك الشديد بالارض والى الاستماته في الدفاع عنهـــا ، فظهرت قضية الارض في شعر محمود درويش « واستخدموا رموزا متعددة في معاركهم هذه سخروها في أغراض النضال ، فجمعوا بذلك بين الفن والثورية ، وخاضوا في نبل وشجاعة معركة انتمائهم القومي ضد محاولات الصهيونية محو هذا الانتماء ، من خلال مشاركتهم الصادقة في كل احداث الامة ، وقد رسم شعرهم حساسية شديدة ووعـــي

---

١ ــ نفســـــه ، ص ٦٢ .

رشيد بالتاريخ وايمان بجبروته ، فكانوا ، اذ يفيئون اليه يجـدون فيه دوافع اعتزاز وفخر يستنجدون بهـا لتحفظ عليهم تماسكهم امـام هـوة العدمية القـومية التـي حذرتها لهم سلطات الحكم العنصري الصهيوني ، وكان (سميح القاسم) شاعـر القومية كما كان (محمود درويش) شاعر الارض ، وزيادة على ذلك فقـد ابـرزوا في شعرهم الوجه الانساني لنضال شعبهم من خلال فهمهم الواعي للصلة العضـوية بين معارك الشعوب ووحدتها والتضامن فيمـا بينها ، فنقلوا قضية شعبهم الى ديوان الشـعر الانسـاني » . (١)

ولا شك في أن شعراء الارض المحتلة قد قرءوا شعر الجيل الاول ، جيل الثـورة الفلسطينية الكبرى ، وأفادوا منه ، وستلهموا ما فيـه من معاني الثبـات والتمـرد والتحدي ، وافادوا من مواقف اولئك الشعراء لمـا حملوه في شعرهم مـن التزام ثوري ومن يقـرأ دواوين شعراء الارض المحتلة ممن يمثلون مدرسة محمود درويش يقف بوضوح امام الخط الوطني الذي يربط هؤلاء بأولئك ، فالظروف التـي عاشها كل من الجيلين في فلسطين تتشابه الى حد كبير ، فشعراء المقاومة من الجيل الاول وقفوا أمـام تحدي الصهيونية ، وعسف حكومة الانتـداب البريطاني ، وتعرضوا للتهديد والقمع والمطاردة ، وخاضوا معارك الحياة والحرية مع اعدائهم وسقط احدهم (عبد الرحيم محمود) في معارك الشرف والفـداء ، كانوا في شعرهم رجال مقاومة ، دافعوا عن الكرامة الانسانية والسيادة الوطنية والارض العربية ، ولم يختلف الامر كثيرا عند شعراء الارض المحتلة الذين حققوا بشعرهم وبنضالهم مواقف بطولية مشرقة، كما عاشوا في ظروف سياسية قاسية ، وتعرضوا للقتل والتعذيب والسجن والمطاردة والنفي ، واصلوا معركة الحرية والحياة ضد الصهيونية العالمية والامبريالية المتمثلة هذه المرة في شخص الولايات المتحدة الامريكية .

يقول « توفيق زياد » : « وليس صحيحا القول : اننـا نحـن الشعراء الـذين

---

١ ـ د. حسني محمود حسين : مجلة الاداب ، العدد الثاني ، شباط ١٩٧٣م ، السنة الحادية والعشرون ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

خلفتنا المأساة في بلادنا ، وقد بدأنا من جديد ، اننا نرد هذا القول الى اصحابه . كل شيء يمكن أن يبدأه من جديد الا الثقافة الحقيقية ، انها مثل الحياة نفسها ، تورث وتواصل ونحن الشعراء الذين كنا أقل من أصابع اليد الواحدة في حينه ؛ وكان الشعر لم يتسلق بعد أسفل ذقوننا الى عوارضنا ، واصلنا الطريق ، نفس الطريق الذي لم يبدأه بل واصله في حينه (ابراهيم طوقان وابو سلمى وعبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق واخرون ، لقد زودنا قبل النكبة ، الزاد الذي استطعنا أن نسند بطوننا بعدها . ان شعرنا الثوري هو امتداد لشعرهم ، لان معركتنا هي امتداد لمعركتهم :

نفس الخندق — المحبة للارض والشعب
نفس العدو — الاستعمار والضاربين بسيفه
نفس الهدف — التحرر الوطني والاجتماعي
نفس السلاح — الكلمة الجريئة التي ترقص في وجه الضوء ، ولكن مع اختلاف الظرف التاريخي » . (١)

ونخلص من رأي توفيق زياد السابق الى جملة قضايا نوجزها كالتالي :

١ — مواصلة المعركة المصيرية التي واصلها اسلافهم من شعراء جيل الثورة الفلسطينية

٢ — صعوبة المهمات التي تحملوها رغم حداثة سنهم .

٣ — استمدادهم الشعر الثوري من الشعراء الفلسطينيين الاوائل .

٤ — تشابههم في الظروف السياسية والوطنية ، وتعرضهم لنفس الاخطار وتطلعهم الى هدف مصيري واحد يتلخص في تحقيق الحرية الوطنية والاجتماعية .

واذا كنا قد وقفنا على شهادة شاعر من الارض المحتلة وهو توفيق زياد

---

١ — توفيق زياد : عن الادب والادب الشعبي الفلسطيني — دار العودة — بيروت ١٩٧٠م ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

حيث اكد ان شعر ما بعــد النكبة جــاء استكمالا واستمرارا لشــعر الثلاثينـــات والاربعينات فلعله من الحق أن نستمع لشهادة رأس شعراء مدرسة الارض المحتلة « الشاعر محمود درويش » الذي يعترف بهذا التأثير والتأثر ذلك ان مدرسته لم تجيء حلقة مقطوعة في سلسلة الشعر العربي الفلسطيني المعاصر فيقول : « وانا اعتبــر نفسي امتدادا نحيــلا بملامح فلسطينية لتــراث شعراء الاحتجاج والمقاومة ابتــداء من الصعاليك حتى ناظم حكمت ولوركا وأراغون الذين هضمت تجاربهم في الشـــعر والحياة وامدوني بوقود معنوي ضخم » . (١)

فمحمود درويش يعترف في حديثه السابق بأنــه امتداد لتراث شعراء المقــاومة العــرب والاجانب منذ القديم وحتى الوقت الحاضر ، ولا شك في أن شعراء فلسطين من جيل الثورة الكبرى (طوقان وعبد الرحيم والكرمي ومطلق عبد الخالق وغيرهم) يمثلون في شعرهم صفحات مضيئة ومقاتلة من شعر المقاومة الفلسطينية ، ولعلــه يؤكد ذلك صراحة عندما يسأل عن اخر مشروعاته الشعرية فيقول : « الان ، مثلا ، لا اكتب شيئا ولا اعرف ماذا سأكتب ولكنني أهجس بكتابة قصيدة عن عبد الرحيم محمود الشاعر والمقاتل ، وقد بدأت عدة أعمال ، وتوقفت فجأة ، ولا أعرف متـــى سأنهيها » (٢)

ووجود هذا الهاجس عند محمود درويش بكتابة قصيدة عن عبد الرحيم يعــني اعجابه وتأثره بمواقفه النضالية ، وحسه الوطني ، وبشاعريته الصادقة ، باعتبـــاره من أبـــرز شـــعراء جيل المقاومة الاول .

---

١ ، ٢ ــ شيء عن الوطن ، ص ٢٧٣ و ٣٣٩ .

٣ ــ منزلة عبد الرحيم محمود الشعرية ومكانته بين أدباء عصره

آراء النقــاد والدارسين :

يتفق جميع الدارسين الذين عرضوا لشعر عبد الرحيم محمود من قريب أو بعيد ، على تسميته بالشاعر الشهيد مرة ، وبالشاعر الفارس مرة ثانية ، وبالشاعر المناضل مرة ثالثة ، وبشاعر الشهداء مرة رابعة ، ولعــل هذه الصفات تتفق وتتآزر لتكــون للشاعر شخصية متفردة بين شعراء عصره ، واذا كانت الشهادة هي السمة الفارقة التي تميز بهــا شاعرنا من سواه من شعراء جيله ، فان سمة الفروسية والنضال في ميدان الشعر قد اشركته مع بقية زملائه الشعراء ممن ناضلوا بالكلمة الشعرية خير نضال ، في حين برز هــو مناضلا وثائرا .

وقد تكون الرحلة التي قطعناها في قراءة شعر عبد الرحيم ودراسته كافية للوقوف على شاعريته ، وابراز ملامحه الفنية ، لكن يحسن بنــا ونحــن في معرض الحــديث عن منزلة الشاعر ومكانته بين أدبــاء عصره ، ان نعرض بالمناقشة للاراء التـــي تنــاولته .

ونقف على رأي للاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ، يقول فيه : « ونستطيع ونحن هنا في مجال الدراسة العابرة لشعره لا في مجال جمعه واستقصائه ، ان نبدي فيه رايــا عرض لنــا من دراستنا لهذه المجموعة (ديوانه ١٩٥٨م) ولبضع قصائد اخرى عثرنا عليها . ان موهبة عبد الرحيم الشعرية موهبة واضحة تطالعك في كثــير من شعــره ، ولكنه ــ فيما يبدو لنــا ــ لم يعن بتنمية هذه الموهبة وصقلها ، أو لــم تتح له ذلك ظروف حياته وثقافته ، ولعله كان يترك القصيدة أو الابيات كمــا جاشت بها نفســه أول مــرة ، لا يعيد فيهــا نظره ــ كما كان يعبر القدماء ــ اي لا تنفعل نفسه بالقصيدة مرات متعددة حتى يكتمل لهــا جوها الفني ، ويتم اداؤها النفسي ، وانمــا كان يقــول الابيات ثم يتركها ليضطرب في حياته الى ان تجيش نفسه بأبيــات

اخر ... ومع ذلك فقد كان يكتمل له احيانا قليلة الجو الفني ، والاداء النفسي ، فيحلق الى ذروة الشعر ، وأوضح مثال قصيدة الشهيدة » . (١)

ونستخلص من كلام الدكتور الاسد القضايا التالية :

١ ـ ان دراسته لشعر شاعرنا جاءت « دراسة عابرة » على حد تعبيره ، والدراسة العابرة قد لا تعطي حكما نقديا محددا وصائبا بالضرورة ، علما بأن ديوان عبد الرحيم محمود المطبوع سنة ١٩٥٨م ، جاء ناقصا . ومن هنا فان سعة اطلاع الدارس على مزيد من قصائد الشاعر قد تعطيه فرصة جديدة لاعادة النظر في تقييم شاعرية هذا الشاعر .

٢ ـ وضوح موهبة عبد الرحيم الشعرية في كثير من قصائده .

٣ ـ عدم عناية شاعرنا بتهذيب شعره وتجويده من جهة ، وعدم تمكنه من تنمية موهبته وصقلها ، نظرا لاشتغال الشاعر بأمور النضال والثورة .

٤ ـ عدم استقرار حياته ، وتوزعها ما بين الشعر والترحال والنضال .

٥ ـ اكتمال الجو الفني والاداء النفسي له في احيان قليلة كما في « الشهيد » .

والواقع ان عدم عناية الشاعر بتهذيب شعره وتنمية موهبته وصقلها لم تشكل عيبا فنيا في شعره ، ذلك أن معظم قصائده جاءت منسجمة في شكلها ومضمونها ، زواج فيها بين الفن والموضوع مزاوجة صادقة بعيدة عن التكلف والتصنع ، ولا نطالب هذا الشاعر المناضل وأمثاله أن يقلبوا النظر في أشعارهم أو ان يعيدوا تهذيبها وتجويدها وتنقيحها ، لانشغالهم بالنضال ومتطلبات المعركة ، لذا فقد جاء شعر عبد الرحيم ممثلا لفطرته الشعرية وموهبته الصادقة دونما صنعة أو تصنع ، ومع ذلك فنحن نرى ان الجو الفني والاداء النفسي قد توفرا له في غير قصيدة من قصائده التي بين ايدينا والتي عرضنا لها في مجال دراستنا شعره .

---

١ ـ الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ص ١٧٣ و ١٧٤ .

أمــا الدكتور عمر فروخ فيضع عبد الرحيم في المرتبة الثانية بعد استاذه ابراهيم طوقان ، ويقول عنه : « عبد الرحيم محمود يأتي في المرتبة الثانية بعـــد ابراهيم طوقان في هذا الباب من القول ، ولكنه فوق الذين قالوا ، لانه كان من المجاهدين وقد سقط شهيدا في معركة الشجرة في الثالث عشر من حزيران سنة ١٩٤٨م» . (١)

ويبدو أن الدكتور فروخ يقدم عبد الرحيم على كل الذين قالوا في ميدان السياسة والوطن لســببين :

أولهمــا : انه كان من المجاهدين ، الذين حملوا السلاح .

وثانيهما : أنه نال الشهادة في معركة الشجرة .

وقد عرضنا راي الدكتور فروخ هذا وناقشناه .

اما رأي الاستاذ رجاء النقاش فيظهر من خلال الموازنة التي يعقدها بـــين شاعرنا واستاذه الشاعر ابراهيم طوقان حيث يقــول :

« شعر عبد الرحيم محمود ، هذا المناضل والفارس والشهيد ، قريب الــى حد بعيد في خصائصه الفنية من شعر استاذه ابراهيم طوقان ، وان كان يختلف عنـــه من الناحية الموضوعية في ان الاحساس باللوعة والمرارة عند عبد الرحيم اعنف واكثــر عمقــا ، ربمــا لانه عاش بعد موت ابراهيم طوقان ، فرأى فصولا جديدة من المأساة حفرت في نفســه هموما واحزانا جديدة ، ولذلك فنحن نسمع ايقاع الحزن في شـــعر عبد الرحيم محمود أكثــر ممــا نسمعه في شعر ابراهيم طوقان ، رغــم انهمــا في نهاية الامر من مدرسة فنية وفكرية ووطنية واحدة » . (٢)

---

١ ــ شاعران معاصران ، ص ١٠٤ .

٢ ــ محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

والناظر في كلام الاستاذ النقاش السابق يلحظ ما يلي :

١ ـ شيوع الحس المأسوي ، ونغمة الحزن في شعر عبد الرحيم اكثر منه في شعر استاذه طوقان . ولعل ذلك يعود الى الاحباطات السياسية والوطنية التي ارتسمت على نفسية شاعرنا ، بسبب ما شاهده من مآسي الشعب الفلسطيني ، وما وقف عليه من تخاذل الزعماء والرؤساء ، وما أدركه بوعيه المستقبلي من مصير الوطن والقضية ، هذه المآسي والهموم طبعت شعره بمسحة الحزن الغاضب .

٢ ـ تشابه كل من طوقان وعبد الرحيم في خصائصهما الفنية والفكرية والوطنية ، لانهما ينتميان الى مدرسة شعرية واحدة .

ويشيد الدكتور حسني محمود حسين بشاعرية عبد الرحيم حين يعده نموذجا لشعراء ثورة عام ١٩٣٦م ، ويعد صوته أصفى الاصوات الشعرية وأصدقها في تلك المرحلة فيقول : « ويمكن بحق أن يعتبر الشاعر الشهيد (عبد الرحيم محمود) نموذجا لشعراء هذه الفترة ، فقد جمع في شعره كل سمات المرحلة ودعواتها ، فكان صوت الحكمة والواقع والضمير ، اذ التقى لديه صوت القوة والغضب ، وهو يدعو الى الثورة ، ويخوض غمارها بنفسه ، وصوت السخرية والتهكم وهو يدعو الى نبذ الزعماء المزيفين ويفضح مواقفهم ، وصوت الالم والاسى والمرارة وهو يضع نبوءته بمصير الوطن أمام شعبه وامته ، ولم يكن أصفى من صوت عبد الرحيم فقد جسد فيه موقف الثوري الحقيقي ، وظل يتمرد دائما على الحياة المنتظمة مثال المجاهد المؤمن ، الممسك عنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار اليها ، حتى لكأنه يصدق حسه ، كان يرثي نفسه من خلال ما رثى به أحد زملائه الشهداء (عبد الرحيم الحاج محمد) من قبل ان يستشهد هو على ثرى فلسطين بسنوات ».(١)

ولعل في حديث الدكتور حسني السابق ما ينصف الشاعر ، ويعطيه حقه ، ويضعه في مرتبة شاعر فلسطين الاول في ميدان الشعر الوطني ، نظرا لمعاناته الشعرية

---

١ ـ مجلة الاداب ، العدد الثاني ، سنة ١٩٧٣م ، ص ٢٠ .

الصادقة ولحسه الوطني الملتهب ، ولمواقفه النضالية الشريفة ، وجرأته النادرة فـي قول الحق ، ومهاجمة الزعماء والرؤساء العرب ، ولما جمعه من صفات الفروسية الشعرية والحربية في آن معـا ، لقـد حمل الهم الوطني قولا وعملا ، فكرا وسلوكا ، فجاد بنفسه فـداء وطنه .

وللاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني رأي في عبد الرحيم محمود ، فهـو في حديثه عن هذا الشاعر يعطيه حقه ، فيمجد فيه البطولة ، كمـا يمجد الشـعر ، يقول في معرض رثائه لعبد الرحيم في حفل التأبين الذي أقيم له في عمان في الرابع عشر من ايلول سنة ست وخمسين وتسعمائة والف :

اطـأطىء راسي مرة أمـام شعرك ، ومـائة مرة أمام دمك الزكي الذي بذلته في سبيل الوطن الغالي . نعم ، أنك كنت تصوغ ذوب روحك شعرا انيقا رقيقا ، كنت تعصر قلبك لتنظم من حباته ما هو أغلى من اللؤلؤ والمرجان ، ولكنك فعلت ذلك بقوة الملكة التي لا بـد أن تجـد لها متنفسا . انـك نظمت الشعر لتقول للناس : أنـا هنا بينكـم ، لتثبت وجودك في الحياة ، وهذا ما يفعله جميع الشعراء والادباء ، وجميـع المبدعين اطلاقا . . وسيموت شعراء وكتاب وتبقى أنت بعـدهم في سجل الخلـود ، لان الانمـاط الشعرية والادبية مهمـا بلغت من الجـودة فلا بد من أن تبلى أمـا النماذج الانسانية الكبرى فلا تموت » . (١)

ولعل اعجاب الدكتور الحسيني بشاعرنا نابع من عدة أمـور أهمها :

أولا : جودة شعر عبد الرحيم ، آزرته في ذلك ملكة شعرية ، وروح شفافة .

ثانيا : اعتباره نموذجا انسانيا خالدا ، ترك في حياته اثرا وهو شعره الجميل ، ونـال الشهادة الحقيقية في ميدان النضال ، دفاعا عن الحق والوطن .

ومن الحق والواجب ان نعرض هنا ، ونحن في مجال الحديث عن منزلة عبد الرحيم الشعرية ، لرايين عاصر صاحباهما شاعرنا ، وعايشاه في فترة نضاله واستشهاده وهما الدكتور قدري حافظ طوقان والشاعرة فدوى طوقان .

---

١ ــ الديوان ، عمان سنة ١٩٥٨ ، ص ٥٨ و ٥٩ ، انظر كلمات الرثاء .

أما رأى قدري طوقان فيشير فيه الى شاعرية عبد الرحيم والى تفانيه في خدمة قضيته واحساسه الوطني الصادر من حب الارض ، مؤكدا انسانيته ، وبأنه اســتأهل حمل رسالة الشعر فنهض بهــا ، وسخرها في الحقيقة لخدمة وطنه ، فيقــول :

« كان المرحوم عبد الرحيم مخلصا الى ابعد الحدود ، وفيا الى نهــاية الشوط ، يسير في معاملاته على هذا الاساس ، لا يتساهل في ذلك ولا يستهين ، وكانت لـــه رسالة هي رسالة الشعر ، أخلص لهذه الرسالة ، وبذل في سبيلها الجهد والحياة ، آمن بهــا وعمل على اذاعتها والدعوة اليها ، كان يرى في حياة الناس على الوانهــا وأنواعها فنــا يحمله الى الناس شعرا ، فيــه الحياة وفيه الحقيقة ، وفيه الجمال .. يرى العامل فيشعر معه ، ويتحسس آلامه ومتاعبه وكفاحه والشقاء الذي يرزح تحته ، ويرى في هذا كله فنــا ولحنا حزينا من الحان الحياة فيندفع في الشعر وتثور نفسه ، وتتحرك عواطفه ، فاذا هي تستحيل الى شعر يفيض حيوية وقوة ، تنبع في مقاطعة المعاني الرائعات ، والحكم البالغات ، ويحب صديقنا ويجول في هذا البحر ويتلاطم مع امواجه بكبرياء وعنف ويرى في ذلك رياضة يخرج منها بشعر جديد في معانيه وفلسفته ومراميه ... ولو امتد الاجل بعبد الرحيم لكان شأنه في الشعر وميادينه عظيما ، ولبلغ به غاية من الغايات واحتل مكانا يتــوق اليه الشعراء الكبار » . (١)

وفي مرثية الاستاذ قدرى طوقان السابقة أمور نوجزها على النحو التالي :

أ ــ هذا الوفاء الذي حمله عبد الرحيم محمود في رسالته الشعرية والحياتية والنضالية.

ب ــ هذا التعبير الشعري الملتزم بهمــوم الفقــراء والطبقات الكادحة .

جـ ــ الاشارة الى تجارب عبد الرحيم الوجدانية ، ومحاولة تقديمه لنــا شاعرا مجيدا في مضمار الغزل ، في حين اتسمت تجربته العاطفية بكبرياء الشاعر ، وقد أهمل

---

١ ــ انظر الديوان ، ص ٦٠،٦١ القسم الخاص برثاء الشاعر ، بعنوان عبد الرحيم محمود كما عرفته .

هذا الجانب من حياة الشاعر عند بعض من تحدثوا عنه ، حيث تناولوه وطنيا واهملوه وجدانيا .

د ـ قصر عمر الشاعر حد من انتاجه الشعري ، ولو طال به العمر لاتى بالجديد المعجب ، ولبلغ في الفن الشعري شأوا عظيما .

أما الراي الاخر فهو شهادة الشاعرة الفلسطينية المعاصرة « فدوى طوقان » وشهادة فدوى تحمل اكثر من دلالة ، فهي معاصرة للشاعر الشهيد ومواكبة لاحداث فلسطين منذ ثوراتها في الثلاثينات والاربعينات حتى الوقت الحاضر ، وهي من جهة ثانية قرات شعر عبد الرحيم ، وسمعت عن بطولاته ، وأدركت استشهاده ، وهي من جهة ثالثة تؤكد أنه شاعر ملتزم بقضايا الوطن والشعب والامة ، مما جعله يحمل صوت شعبه ويتحمل واجبه بأمانة وصدق ، وهي من جهة رابعة وأخيرة تؤكد نه يمثل روح الجيل الغاضب ، وروح الجماهير الثائرة .

واذا كان الدكتور عبد الرحمن ياغي قد قسم حياة الشعر الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة الى أربع مراحل امتدت الاولى من منتصف القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩٠٨م ، وبدأت الثانية من سنة ١٩٠٨م ـ وهي سنة اعلان الدستور العثماني ـ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، وكانت الثالثة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ـ ١٩٣٩م ، أما المرحلة الرابعة فقد امتدت من الحرب العظمى الثانية حتى وقوع الكارثة في فلسطين ، اذا كان الامر كذلك ، فانه يصنف عبد الرحيم محمود من شعراء المرحلة الثالثة (١) ، حتى وان كان شعره قد انسحب على المرحلة الرابعة التي امتدت حتى النكبة عام ١٩٤٨م .

---

١ ـ انظر حياة الادب الفلسطيني الحديث ، ص ٢٦٧ .

يقول الدكتور ياغي : « ثم كان من نصيب هذه المرحلة شاعر مناضل ، نشـأ في مرحلة النضال التي مرت فيها فلسطين بتجربتها القاسية ، هـو الشاعر المناضل عبد الرحيم محمود . ولم يكن شاعرنا بمعزل عن ذلك النضال وانما مارس كل مـا صدر عنه من فن قولي ممارسة عملية ، وخاض معارك الكفاح الفلسطيني واستشهد في معركة الشجرة سنة ١٩٤٨م ، وكان شعره صورة لفظية وجدانية لتجاربه التـي خاضها وعاشها . وبحكم اتصاله بالتجارب العامة وربط تجاربه الخاصة الذاتية بها ، كان يدرك موقفه من هذه المرحلة تمام الادراك ، فكـان يعي المفهـوم الوطني الكـريم للوطنية ، وكان يعرف الاعباء التي ينبغي على المواطن ان يحملها ليكـون بطـلا من أبطـال الكفاح » . (١)

ويعد الدكتور ياغي عبدالرحيم محمود شاعرا مناضلا ، حقق التآلف الواقعي بين شعره ونضاله ،وهـو (أول من لحم الشعر بدائرة النضال) ، وقـد أدى دوره كشاعر مثقف ، وكثوري متحمس بوعي وعقلانية ، بحيث كان أنموذجا للمواطن الحق الذي يعـرف واجباته الوطنية والقومية والانسانية والنضالية .

ونعرض هنا رأيـا لخالد علي مصطفى طرحه في مجال حديثه عن عبد الرحيـم محمود وعن شعره ، وقـد وقفنـا على رأيه في رسالة ماجستير مخطوطة عن الشعر الفلسطيني الحديث سنة ١٩٤٨ـ١٩٧٠م ، وقـد تفضل استاذه الدكتور عبد الرحمن ياغي مشكورا وأطلعنا عليها ، وكان ممـا جاء فيها قوله :

« أما عبد الرحيم محمود فقد كان الشاعر الفارس الاول في الشعر العربي الحديث وشعره صنو حياته : كلاهما مليء بالكبرياء والشجاعة ، وفيـه نفس من المتنبـي ، ولئن عرف المتنبي غربة الطموح الذي تخشى الناس طموحه فقـد عرف عبد الرحيم غربة الثائر المتمرد الذي تخشى السلطات ثورته وتمرده ، غير أن روح الفروسية في شعره ترتبط بالقيم البدوية اكثر من ارتباطها بالقيم الثورية ، ومع ذلك فقـد كان للشاعر وعي اجتماعي يجعله يقف في صف الطبقات الكادحة ، وحنين شـديد الى الوطن كلما ابتعـد عنه ، ونغمـات من الاسى لا يرى مهربا فيها الا بالخمر ، لقد كان

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

شعره صورة لنفسه الطموحة المغامرة المناضلة ، فاقترن عنده القول بالفعل ، وبالرغم من حماسته ، فشعره صادق لا جموح فيه ولا هدوء ، يقول ما يريد قوله عفو الخاطر ، بلغة تناسب طبعة » . (١)

ولرأي السيد خالد علي مصطفى اهمية في مجال الحكم على منزلة عبد الرحيم محمود وشاعريته ، فهو الشاعر الفارس الاول في الشعر العربي الحديث ، فيه ملامح المتنبي ، ولعل بين الشاعرين ملامح مشتركة كالاغتراب والفروسية والترحال والانفة والكبرياء ، وحب المغامرة ، وطلب الموت في سبيل الحياة الشريفة ، الا ان المتنبي زاد على شاعرنا بجزالة شعره ، وغزارة انتاجه ، وطول نفسه ، وممارسته الشعرية الطويلة ، وانقطاعه لفنه .

على أن ارتباط روح الفروسية عند عبد الرحيم بالقيم البدوية — كما يقول السيد خالد — أمر يحتاج الى نقاش ، فهو لم يوضح مفهوم القيم البدوية في مجال الفروسية ، ولعله قصد بها الصور البدوية التي رسمها عبد الرحيم في شعره ، كما اننا نرى ارتباط فروسيته بقيم الثورة كان واضحا وعميقا .

كما صدر عبد الرحيم في شعره عن وعي سياسي واجتماعي ، لانه عاش التجارب النضالية وكان شاعر الصراع الطبقي .

كما أشار الدارس الى صدق شعر عبد الرحيم ، وتوافق اداته التعبيرية مع طبعه وفطرته ، بحيث جاء شعره ، عفو الخاطر ، صادق العاطفة .

ونتيجة لوعي شاعرنا بمفهوم الطبقة الوسطى فقد عاش واقعهم ، وشاركهم احاسيسهم بهذا الواقع ، فقام يدافع عن الفقراء ، ويناصر الطبقات الكادحة كالعمال ، كما تعمق احساسه بالجمال الذي اتخذ عنده مسحة انسانية ، يقول عبد الرؤوف حمزة « كان عبد الرحيم محمود انسانا امتلا قلبه رحمة وحنانا وجمالا ، كان يرى في الحمال رمزا للجهاد ، والنضال والصبر ، وفي الكناس رمزا للاخلاص واحترام الذات ، وفي العامل الكادح المنسي رمزا للبطولة والتضحية ، كان يرى الجمال

---

١ — الشعر الفلسطيني الحديث ، ص ٤١ .

في الوادي وفي السهل وفي الجبل ، كما يراه في الزهرة اليانعة ، من الزهرة يستنشق العبير الذي يعطر افاق حياته ، ومن الوادي يستلهم روح التواضع والمحبة والانسانية الرحيمة ، ومن السهل صفاء السريرة والانطلاق الحي في الافق الرحيب ومن الجبل السمو بالنفس والطموح والاباء » . (١)

ويقول يعقوب العودات : لقد نضجت شاعرية عبد الرحيم ونما حسه الوطني في سن مبكرة (٢). أما محمد احمد حماد فيقول في شعر شاعرنا : وكان شعره وجدانيا وطنيا وعاطفيا . (٣)

والدكتور كامل السوافيري يعلل لموهبة عبد الرحيم الشعرية بقوله :
« ان عبد الرحيم شاعر ، انه شاعر موهوب ، غذى موهبته ، بما نهله من منابع الفصاحة العربية ، وبما تدارسه من ايات القرآن الكريم ، وبما تابعه من تيارات في الشعر ، وتأثره بالاتجاه الاتباعي أو مدرسة المحافظين التي يتزعمها الشاعر البارودي ، والتي احتذاها شوقي وحافظ » . (٤)

ومن هنا فان موهبة عبد الرحيم لم تبق خامة مهملة ولكنه هذبها ونماها وصقلها بالمران والتجربة ، وبالممارسة والاطلاع ، وقد لاحظنا تأثره بالقرآن الكريم وبالشعر العربي قديمه وحديثه، والقارىء لشعر شاعرنا تستوقفه — فعلا — هذه الموهبة الاصيلة عنده ، آزرتها مجموعة ثقافات ، فكونت شاعريته .

ولعله من الحق — ما دمنا بصدد الاراء التي تناولت شاعرنا — ان نثبت قسما من قصيدة للاستاذ سيف الدين زيد الكيلاني ، رثى فيها الشاعر الشهيد يوم حفل التأبين الذي أقيم له بهذه المناسبة في عمان سنة ١٩٥٦م . يقول الكيلاني :

---

١ — الديوان ، ص ٦٦ ، انظر كلمات الرثاء .
٢ — يعقوب العودات ، من اعلام الفكر ، ص ٥٧١ .
٣ — محمد احمد حماد ، لباب الثقافة والادب ، ص ٣٣٤ .
٤ — ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٠٨ .

يا مـــن رقدت تناجي مجـــد حطينا   ما شفك البعـــد مثلي عن فلسطينا
آثـــرت موتا كريمـــا في مرابعها   علـــى الحيـــاة ذليـــلا لاجئا فينا
نلت الشـــهادة في أسمى مراتبها   وكان مـــا نلتـــه اســـمى أمانينا
جاهدت عمـــرك حرا ثائرا بطلا   تخشى الهوان ولا تخشى الميادينا
بعت الحياة حفاظا عن كرامتنـــا   شأن الابـــاة ولم تقبل لها الهونا
ما شمت مثلـــك اقداما وتضحية   والحر مثلك نبـــراس الابيينـــا
عبد الرحيم ، لك الذكرى مخلدة   قد كنـــت حقـــا شهيد العبقريينا

* * *

يا فارس الشعر حرا في رسالته   لطالمـــا كنـــت بالالحـــان تشجينا
شعر هو النور في اشراق رونقه   وجـــذوة تلهـــب الصيد الميامينـــا
فهو الصباح ونفـــح الزهر في غزل   انغامه ملكت قلـــــب المحبينـــــا
وفي الحماسة نيـــران مؤججـــــة   وثـــورة تبتغي تحرير شاطينـــا
وهو الكفـــاح على الايام تعرفه   قوافـــل المجـــد لحنـــا للمحلينـــا
روح تـــرف صـــفاء في وداعتها   وتنعم الكـــون ريحانا ونســـرينا
فكنت بـــردا وسلما كلمـــا هدأت   وان نفـــرت لها فقت البراكينـــا
لمـــا نعيت الى القيثار ، والهفي   تقطـــع الوتر العـــلوي محزونـــا
وصرخ الروض لا نلقـــى بجنته   هـــزاره الفـــذ غـــريدا يناجينـــا

* * *

عبد الرحيم ، وهل تسطيع مرثيتي   اداء حقـــك اكبـــارا وتأبينـــــــا
وهل أطيـــق فراقا للصـــديق وقد   شط المـــزار وراح الوجد يكـــوينا
ما زلت اذكـــر أياما لنا سلفـــت   « نابلس » تشهد ما أحلى ليالينا
لهف المنابر غشاها الوجوم أسى   لمـــا قضيت وساد الحزن نادينـــا

كم من روائع شعر كنت بلبلها وكم ملات الدنى شدوا وتلحينا

وكم مواقف صدق كنت قائدها وكنت للحق من أمضى مواضينا

أيام تمضي الى ساح الوغى قدما تبغي لامتنا عزا وتمكينا

وتبعث النشء حرا في مبادئه صلب القناة بحب المجد مفتونا

* * *

ولى «الهزار»(1) عن العش الذي درجت «صغاره»(2) فيه، فابيضت مآقينا

يا للجحود نسينا حقهم وأتى مع السنين الثماني ما ينسينا

أحداث شعب طغت في هول نكبته ... ناهة الغرب ، تبا للمكيدينا

فبددته هشيما لا حياة به يعيش في أرضه شذاذ صهيونا

الى أن يقول :

يا (راحة حملت روحا) مجنحة (تلقى بها في الردى المحموم) أتونا

صدقت وعدك في الدنيا فلا عجب اذا احتفت بك جنات النبيينا

عبد الرحيم ، اذا ما غبت عن وطني فان ذكرك أبقى من رواسينا (3)

---

1 — اشارة الى الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود .
2 — ابناء الشاعر : الطيب وطلال ورقية .
3 — انظر (ص68 وما بعدها) من ديوان عبد الرحيم محمود الذي اصدرته لجنة تكريم الشاعر في عمان . وانظر كذلك كلمات الرثاء الاخرى في القسم الثاني من الديوان نفسه .

٤ ــ نظرة اخيرة في منزلة الشاعر

وبعد ، فلنا في عبد الرحيم محمود رأى خلصنا اليه من دراستنا شعره ، ومن وقوفنا على جملة الاراء التي عرضت له ولشاعريته .

فهو شاعر طبع لا شاعر صنعة ، شعره يصدر عن موهبة اصلية وفطرة شعرية عفوية ، تبعد في غالبيتها العظمى عن التكلف والابتذال ، في حين تمكن الشاعر من تحقيق الانسجام بين شكل القصيدة ومضمونها .

وهو الشاعر المقاتل الذي استطاع بكفاحه المسلح ان يزاوج بين الشعر والمعركة، بين عمله الفني وعمله الثوري ، كما استطاع تحقيق الشهادة التي طالما طمح اليها في حياته . وبهذه الصفات تفرد عبد الرحيم من غيره من شعراء جيله ، في الوقت الذي مثل فيه شاعرنا الشخصية الفلسطينية الحرة خير تمثيل ، ونقل صوت الشعب الطافح بالغضب والثورة والتمرد ، كما حمل هموم الطبقات الفقيرة والعاملة ، فكان بحق شاعر الصراع الطبقي في تلك المرحلة المتأزمة من تاريخ فلسطين .

ولم يهمل عبد الرحيم عواطفه الذاتية ، فخاض تجربة الحب ، وصدر عنه شعر غزلي رقيق ، امتلا بالكبرياء ، وبعزة النفس .

على أن الشعر لم يكن في حياة عبد الرحيم همه الاوحد ، فاشتغاله بامور النضال، وانهماكه بالثورات المتتابعة ، وعدم استقراره ، حالت دون أن يتمكن الشاعر من تكريس حياته لهذا الفن ، فجاء مقلا بالنسبة لغيره ، أو أن ما وصلنا من شعره جاء قليلا ، ولعله لم يجد الوقت الكافي لجمع شعره كاملا في ديوان كما يفعل الشعراء .

الا ان هذه القلة في الشعر لم تحل دون بروز شاعريته ، فالقارىء المتأني يقف له على نماذج شعرية راقية في مجال الوطن والاجتماع والوجدان ، بيد أنه اشتهر في وطنياته ، حتى يمكن القول : أن شهرته الوطنية طغت على بقية شعره ، فعرف شاعرا وطنيا ولم يعرف شاعرا اجتماعيا أو غزليا .

وتعود شهرته الوطنية هذه الى عوامل نوجزها على النحو التالي :

١ ــ انتشار عدد من قصائده الوطنية المشهورة في أوساط الناس مثل قصيدة (الشهيد)، التي نعدها من ارفع نماذج الشعر الوطني ، فحفظها الناس ، ورددتها الاجيال، انشودة حماسية ، وترنيمة ثورية ، ولم تقل قصائده : (الشعب الباسل) و (دعوة الى الجهاد) و (عيد الجامعة العربية) و (انشودة التحرير) و (نجم السعود) عن قصيدة (الشهيد) أهمية .

٢ ــ مشاركة الشاعر في معارك النضال والتحرير ، واستشهاده في معركة الشجرة على أرض فلسطين في الثالث عشر من تموز سنة ثمان واربعين وتسعمائة والف، في حين كان الشعر رفيقه في نضاله ، وبذا صار دمه في « الشجرة » احد الجداول الفلسطينية التي رفدت مجرى الثورة ، واضافت قصائده الوطنية الى الشعر الفلسطيني صوتا حارا واصيلا ، ومسكونا بالبطولة والتحدي .

٣ ــ تقتضي طبيعة المرحلة التي عاشها شاعرنا في فلسطين بأن يكون هذا الشعر الوطني أحد المعابر الحقيقية لالتحام الانسان الفلسطيني بأرضه من أجل الحفاظ عليها وتحريرها ، كما تقتضي بأن يكون هذا الشعر سجلا يحفظ احداث تلك الفترة ووقائعها ، وليس هذا فحسب ، بل هو المحرك والباعث ، والقادر على تنوير الوضع وتثويره وتغييره ، وتخطي الواقع المظلم الى مستقبل اكثر نورا وحرية . ومن هنا جاءت اهمية هذا الشعر ضمن هذه المرحلة التاريخية والسياسية ، ومن هنا جاءت أيضا اهمية الشعراء الذين يحملونه في حناجرهم صوتا مقاتلا .

واذا اضفنا الى كل هذا وذاك صفاء صوت شاعرنا ، ووضوح مغزاه ، وصدق تعبيره عن تجاربه وهموم شعبه وامته ووطنه ، أدركنا سر شهرته الشعرية في الميدان الوطني .

ومع ذلك ، ظل عبد الرحيم محمود مغمورا ، ومجهولا لدى المثقفين وفي الاوساط الادبية ، في حين غمط حقه ولم ينصف كغيره من شعراء عصره ، ولعل ذلك عائد ــ في رأينا ــ الى جملة أسباب ، منها :

أولا : لم يتناول هذا الشاعر كغيره من شعراء جيله على نطاق الدراسة المتأنية والبحث العلمي الجاد ، فقد تجاوزه الدارسون والباحثون ولم يعرضوا له الا في احيان قليلة ، ولم يأخذ من اهتمامهم الا بضع صفحات لم تنصفه شاعرا ، وان انصفته مناضلا وشهيدا .

ثانيا : اغفال المناهج الدراسية لحياته وشعره ، واذا كنا قد قرانا له بعض القصائد المعدودة في مناهج اللغة العربية في الاردن قبل اعوام خلت ، فان هذه القصائد عادت وتقلصت ، ولم يبق منها سوى أبيات لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة ، ضاعت في زحمة الشعر والشعراء .

ثالثا : عدم توفر ديوان مطبوع ومتداول للشاعر بين أيدي القراء ، الا بعد استشهاده بعشر سنوات ، يوم ان تنادت فئة من المهتمين بشعره في عمان ، وتولت جمع قصائده ، واخراج ديوانه سنة ١٩٥٨ . وكانت هي المحاولة الاولى التي مكنت القارىء في الاردن من التعرف الى الشاعر ، ولعل فترة الانقطاع هذه (١٠ سنوات) ما بين استشهاده سنة ١٩٤٨ الى حين صدور ديوانه سنة ١٩٥٨ ، قد احدث نوعا من القطيعة الادبية بين عبد الرحيم وقراء الشعر والادب في بلاد الشام بخاصة وفي انحاء الوطن العربي بعامة ، وحتى هذه الطبعة الوحيدة من الديوان جاءت ناقصة في قصائدها ، محدودة في نشرها وتوزيعها وتداولها .

رابعا : قد يكون لاهتمام وسائل الاعلام ، ومناهج التعليم ، ورجال البحث والدراسة بشاعر فلسطيني اخر من شعراء جيله هو استاذه الشاعر « ابراهيم طوقان » أثر في التعتيم على شاعرنا واقصائه عن ميدان الشعر .

خامسا : اهمال الباحثين والدارسين والمناهج التعليمية في وطننا العربي للجانب الاكبر من شعره الاجتماعي والانساني والتأملي والوجداني ، الذي يشكل رافدا مهما من روافد شاعريته .

وظهرت في الاونة الاخيرة محاولات للاهتمام بحياة شاعرنا وبشعره منها : محاولة الدكتور السوافيري في اصدار ديوان للشاعر بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سنة ١٩٧٤م ، استدرك فيه النقص على ديوان لجنة عمان المنتدبة سنة ١٩٥٨م ، وهناك محاولة مكتبة بلدية نابلس العامة سنة ١٩٧٥م ، حيث اضافت قصائد جديدة على ما جاء في المحاولتين الاوليين ، فأصدرت نشرة ثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني اسمتها (الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود) ، وأخيرا هذه المحاولة التي يقدمها كاتب هذه السطور عن شاعرية عبد الرحيم محمود ونضاله .

ملحق
قصائد

« ملحـــق قصـــــائد »

هذه القصائد هي التي خلا منها ديوان عبد الرحيم محمود الصادر في عمـــان سنة ١٩٥٨ ، وديوان عبد الرحيم الذي جمعه وقدم لـه الدكتور السوافيري والذي صدر عن دار العودة في بيروت سنة ١٩٧٤م بالتعاون مع اتحــــاد الكتــاب والصحفيين الفلسطينيين وقد حصلنا عليها من مرجعين :

١ ـ كراس شعري تفضل الاستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي فزودني به مشــكورا ، وهو مكتوب بخط يده نقــلا عن مجلة الامالي البيروتية التي كانت تصــدر فــي الثلاثينات من هذا القرن ، وكان شاعرنا ينشر قصائده على صفحاتها ، وقــد تأكدنا من وجودها في الامالي نفسها .

٢ ـ النشرة الثانية من اعلام الفكر والادب الفلسطيني عن الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود ، التي اعدتها مكتبة بلدية نابلس العامة عام ١٩٧٥م ، واسهــم في اعدادها عادل عبد القادر الحاج حمد ، وعلي محمد واصف طوقان بالاشتراك مع باسمة مرتضى حلاوة .

وقد رأينــا أن نثبت هنــا هذه القصائد كمــا جاءت ، نظرا لاهميتها ولعــدم ذيــوعها .

١ ـ يا غـــزالا : (١)

يا غزالا صــدني ما أجملـــك	مبــدع الاكــوان ربــي عــدلك
فيــك معنــى كــل حســن رائع	عــرف الجنــة مــن قد قبلــك
هــذه الرئــم فسلها هــل لهــا	مقــل حــوراء تحكــي مقلــك
هــي من جنســك طبعا انمــا	كحلهــا ليــس يضــاهي كحلك

١ ـ مجلة الامالي البيروتية ، السنة الاولى ، عــدد ٧ ، بيروت ، ١٤ تشرين الاول ١٩٣٨م ، ص ٤/٢٠٠ .

٢ ـ بيني وبين قلبي : (١)

قلت لقلبي انها كافرة ... تعبد يا قلب صليب المسيح
في حمأة من شرها سادرة ... تطيع من ضل وتعصي النصيح
وقلبها كالريشة الحائرة ... تنأى على ريح وتدنو بريح
تبيع للسائح كالتاجره ... وتنثني تطلب بيع البريح
فقال هذي حجة قاصره ... ليس بها يشفي المعنى الجريح
بل هي عندي زهرة ناضرة ... وكل ما فيها جميل مليح

لم يهتد القلب ولم يسمع

وقلت لكن زهرة شمها ... قبلك يا قلب كثير العدد
يا رب ذي وجد لقد ضمها ... فارتاح بالضمة مما وجد
حتى اذا ما أفرغت شمها ... تتركه يشقى شقاء الابد
شيطانة قد شابهت أمها ... يا بئست الام وبئس الولد
قال وان هولت لي ذمها ... « فحسن في العين ما قد تود »

لم يهتد القلب ولم يسمع

٣ ـ حيش الحبائب : (٢)

حي الظباء الباديات كواكبا ... المورثات العاشقين مصائبا
المحرقات بنارهن قلوبنا ... والاخذات من اللحاظ قواضبا
والسارقات من الرياض لذاتها ... ورضا بها وشذا الورود الساكبا
أقبلن أسرابا كأسراب المها ... متقسمات للقتال كتائبا

---

١ ـ مجلة الامالي البيروتية ، السنة الاولى ، عدد ٨ ، بيروت ، ٢١ تشرين الاول ، سنة ١٩٣٨م ، ص ٢٣٣/٥ .
٢ ـ الامالي ، السنة الاولى ، عدد ٩ ، بيروت ، ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٣٨م ص ٢٧٩/٩ .

أعددن للحـــرب العوان ضفائر الـ شعر الجثيـــل لقيـــدنا وذوائبـــا
وتخـــذن في حـــرب الرجال ســـلا حهن خدالجا وروادفـــا وحواجبا
اللـــه اكبـــر قـــد قســـمن صفو فهن طوالعـــا وأواسطا وجوانبا
ورسمن خطـــة كرهن وما فطـــن (م) لفـــرهن ومـــا حـــذرن عواقبا
الله ها ســـمر القنـــا مـــالت واضـــحى القلـــب في تقبيلهـــن الراغبا
ومددت عنقـــي للقواضب كي تحز (م) ولست فيهـــا خائفـــا أو راهبا
وفتحـــت في الهيجـــاء قلبي للوا حظ مطلقات فيـــه ســـهما صائبا
رحمال يا جيش الحبائب قد رفعت الراية البيضا وجئتـــك تائبـــا
لـــم تنظـــر العينان جنـــدا مثل جندك من رأى جنـــــدا مهـــا وكواعبا
اواه لو لي مثـــل جيشك كنت أفتح البـــــلاد مشـــــارقا ومغـــاربا

٤ ــ كـــان غـــازي : (١)

كـــان نجما يهتدى الساري بـــه في دياجـــير الليـــالي الحـــالكات
كـــم قلـــوب رقصـــت خفـــاقة حينمـــا راح ، بديـــع الخفقـــان
أدخـــل النـــور علـــى أفئـــدة كـــن من نـــور الاماني مقفـــرات

كـــان نجمـــــا ثـــم غـــاب
وتـــوارى في التـــراب
لهــــف قلبــــي

نفـــخ المـــوت عليـــه فانطفـــا وانطفـــت انـــواره في الظلمـــات
ورنـــت ابصارنا كيمـــــا تـــرى مأفـــل النجـــم فـــرددت غرقات
كان غصـــنا حمله زهــــر المنى طيـــب النشـــر لذيذ النغمـــــات
بسمت أكمـــامه عـــــن أمـــــل قد رجـــوناه وعـــن حـــظ مـــوات
غير أن الدهــــر هبـــت ريحـــه تقصف الغصن وتـــذري الزهرات

١ ــ الامالي ، السنة الاولى ، عدد ٣٣ ، بيروت ، ١٤ نيســـــان ســـــنة ١٩٣٩م
ص ١٠٥٠/٢٢

راح والعمـــر شـــباب

والازاهـــير رطـــاب

لهـــف قلبـــي

قد حسبنـــا الدهـــر غفـــلان ولم تك في الحسبان ريـــح الغـــدرات

هكذا اما ازدرعنـــا نبتـــــــة للمنـــى أودى الـــــردى بالنبتات

كان غازي كـــان غازي لهبـــا صلى المحـــرق منـــه كل عـــادي

شـــعت القوة مـــن أنفاســـــه وتملـــــى صـــدره بالعـــزمات

وروينـــــا عنـــه ايـــات ســـنا وأحاديث ثنـــــاء مســـــــندات

كان للعـــــادي الشـــــهاب

ولـــه تحنـــى الرقـــاب

لهـــف قلبـــي

كان كالحلـــم قصـــــيرا عمـــره تســـعد النفـــس به في الغفـــوات

واذا النفس أفـــاقت من كـــرى هـــرب الحـــلم فذابت حســـرات

٥ ــ ذكـــرى الزمـــان : (١)

هات من ذكرى زمـــان العز هات حبب المـــاضي لي ما هـــو آت

يا زمـــــانا كلمـــــا ذكـــرته ذهبـــت نفسي عليـــه حســـرات

حين كنـــا غصـــة غص بنـــا صـــدر أعدانا وشوكا في اللهـــاة

تلـــك أيـــام تقضـــــــت هـــل لهـــا من رجعـــــات

ليتهـــــا لمـــــا تقضـــت قـــد قضـــت فيهـــــا حياتي

هات حـــدث حين كنـــا لهبـــا صـــلى المحـــرق فيـــه كـــل عات

حين هـــال الكـــون منـــا ما رأى من ابـــاء ومضـــاء وثبـــــــات

لفـــت الدهـــــر زئـــير رائـــع ورأينـــــا ذعـــــره بالفلتـــات

---

١ ــ الامالي ، السنةالاولى، عدد ٤٤ ، بيروت، ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٩م ص١٦/١٤٠٤

ذاك عهـــد فارؤ عنــــــه ... ما اذا يــــــروى يهـــز

هـــات للســامع منـــه ... يـــه مجـــد فيـــه عـــز

غضبة للحـق كانـــت حبـــذا ... عيشة المـرء مخـوف الغضبات

هبـة للثـأر كانـــت اننـــا ... لذوو بطــش شــديدو الفتكــات

لم نطــق خســفا ولم نصبر على ... عيشـــة الــذل ولا كبـــر العداة

نحــــن أذللنـــــا الوجـــودا ... نحــــن للكبــــر مثــــل

واذا رمـــــت شـــهودا ... فســل التــاريخ ســل

صيحة كانــت فهــاجت ســاكنا ... نفحــــة للــه حلــت بمــوات

أصــغت الدنيــا لنــا وامتلات ... اذنـــاها بـــدوي الزمجـــرات

عــزت العــرب وعــزت دارها ... تنبـــت الاســـاد فيهـــا كالنبـــات

أمـــــة ليســت تهــــون ... ولهـــــا متـــن ازل

أرضـــها غـــاب مصـــون ... وحـــــرام لا يحــل

قد عجمتم في الوغــى أعــوادنا ... فــاذا أعــوادنا جـــد قســاة

فاليكــم أو لمـــــا تعلمــوا ... يا بغـــاة أننــــا رغم البغاة

يعــرب أوصـــى بنيـــه أنـــه ... دون حـوض العار احواض الممات

قــد عجمتـــم وامتحنتـــم ... أو لـــم تـــدروا اليقينـــا

قــد أبينـــا حـــين شـــئتم ... (ان نقتـــر الــذل فينــــا)

قـــد وقفنـــا أو لمـــا تذكروا ... لبنـــي يعـــرب تلـــك الوقفات

ورميتـــم لا حـــــديد نافــع ... حــين ترمــون ولا النار تواتــي

هــذا الحــق علــى قلتـــه ... صــادق العــزم وثبت الخطوات

وهـــوى البـــاطل صعقـــا ... انـــه كــــــان زهـــوقا

ان مــن كــــان محقــــــا ... كـــان بالنصــــر حقيقـــا

لــم تــزل اسـيافنا مسـلولة ... للعـــوادي ماضـــيات الشـــفرات

فلقـــد هــام الالــى من قبلكم ... وهي في هاماتكـم في المقبـــلات

قــد بلــوتم من شباها ضــربة ... تقصـــم الظهر وتغـدو بالحصاة

فاسير الظالم حده | وليقف لا يتعده
ان من صعر خده | نتولى نحن رده
أيها العرب وأنتم امة | لم تنم يوما على سوم الاذاة
قد تصبرتم طويلا فاغضبوا | وتأنيتم كفي لات أناة
من دجا بالظلم ليله | فلينره بالحراب
من شكا قيدا فحله | عند اطراف العضاب
أيها العرب وأنتم أمة | مضرب الامثال في اخذ الترات
أتقيمون على حمل الاذي | أيها العرب وبعاد الجناة (١)
دونكم فانتقموا ان الدما | تطفىء الغل وتدني الرغبات
الدم الاحمر أشفى | بلسم عند الملمه
الدما تجرف جرفا | صاحب الظلم وظلمه

٦ ـ يا عامل : (٢)

هذي القصور وانت رافع سمكها هل هن لك ؟
والدوح من حول القصور زرعته هل ظللك ؟
والنور من يدك الصناع فما حياتك في الحلك ؟
الحسن أنت خلقته لكن سواك له ملك
لا تأس فالدنيا تصير اليك ان دار الفلك

يا عامل

الله في الدنيا وانت الخالقان من العدم
أولست ان تضرب يسل ماء من الصخر الاصم
واذا نفحت بتربة حييت بنفحتك الامم

---

١ ـ هكذا ورد البيت في مصادره .
٢ ـ الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، من أعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبة بلدية نابلس العامة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ وما بعدها .

الصـــرح ان ترفعـــه يرفـــع أو تهـــدمه انهـــدم
فاعـــرف مكـــانك في الـــورى واعلمه انـــت بـــه علم

يا عامــــل

اطـــرق بمطـــرقك الرؤوس اذا تمـــادت في عنـــادك
واحصـــد بمنجـــلك الرقاب اذا حرمنك مـــن مـــرادك
واحكـــم بأمـــرك في بـــلادك لا تغـــرب عن بـــلادك
أنـــت الـــذي زرع الحيـــاة فمـــن شـــريك في حصـــادك

يا عامــــل (١)

البســت من نســج اليــدين الكــون توشــية تــزين
ونســجت من عــرق الجبــين لآلئـــا عــز الجبــين
متحـــرك تبنـــي العـــلا وبشـــرعك العـــار السكون
ويهـــون عنـــدك كـــل شـــيء غير نفسك لا تهـــون
ما شـــئت كـــان وكـــل ما تأبـــاه يوما لا يكـــون

يا عامــــل

ووجدت هذه القصيدة ــ كذلك ــ في مجلة الثقافة العربية ، وكتـــب الشاعر عز الدين المناصرة حولها قائـــلا : « بمناسبة اسبوع التضامن العالمي مـــع الشعب الفلسطيني نشـــرت جريدة الاتحاد قصائد لاوائل الشعراء الفلسطينيين : ابراهيـــم طوقان وعبد الكريم الكرمي وعبد الرحيم محمود . وعندمـــا قرأت قصائد عبد الرحيم المنشورة في عدد الاتحاد الذي صدر في فلسطين المحتلة بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٥ تذكـــرت أن هـــذه القصائد غير موجودة في ديوان عبد الرحيم محمود الكامل الذي صـــدر عـــام ١٩٧٤م عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في بيروت ، والـــذي قام بتحقيقه الدكتور السوافيري ، وعندما قمت بمراجعة الديوان الكامل لعبد الرحيم محمود وجدت ان احدى هذه القصائد غير موجودة بالفعل ، ونحن ننشر نصها الكامل ونشير بذلك الى صديقنا الدكتور السوافيري محقق الديوان ان الديوان ناقص ، وينبغي اضافة

---

١ ــ ورد هذا المقطع في اربعة أبيات ، بينما غيره في خمسة .

هذه القصيدة ، كما تذكرت ان هذه القصيدة التي هي بعنوان (يا عامل) كنت قد حفظتها عندما كنت طالبا في المدرسة الابتدائية في الخمسينات عن شقيقي الاكبر فهي مألوفة بالنسبة لي » . (١)

ونحب ان نشير هنا الى أن الديوان المذكور لا تنقصه قصيدة يا عامل وحسب ، بل هنالك قصائد تسع غيرها لم يضمها الديوان ، وتجدر اضافتها اليه ايضا . كما لا يجوز أن نسمي هذا الديوان (الديوان الكامل لعبد الرحيم محمود)، لانه لم يكتمل بعد ، فهناك ما يمكن اضافته من القصائد التي يعثر عليها بين الحين والاخر .

كما تجدر الاشارة الى أن قصيدة (يا عامل) هذه ، وردت ناقصة في الثقافة العربية ، فقد حذف منها مقطع ذوابيات أربعة هو : اطرق بمطرقك الرؤوس .. وما بعده ، بينما اضيف اليها في المجلة السابقة البيت التالي :

ويهون عندك كل شيء غير نفسك لا تهون

في حين سقط هذا البيت من النشرة الثانية التي أعدتها مكتبة بلدية نابلس العامة عن الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود .

٧ ــ انشودة التحرير : (٢)

المناسبة :

أحيا الشاعر ذكرى يوم القادسية في حفل شعبي أقيم في حيفا وافتتح المهرجان بهذه القصيدة ، وفيها تطرق الى معركة القادسية والغزوات العربية التي خاضها العرب الاقدمون لاعلاء كلمة الحق ومقاومة الباطل :

ان أيامنا ابتسامة ثغر لم يدر مثلها بثغر الدهور
نشرت ميت الاماني واحيت املا عارما بقلب كسير
فرح الكون حين لاحت على الدهر (م) وريعت ممردات القصور

---

١ ــ مجلة الثافة العربية ، العدد الثامن ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٨ .
٢ ــ الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، من اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، نابلس ص ٢٩ .

ذاك ان الظـــــلوم يكـره فجـر الحـق كيـلا يـزول ليـل الفجور

قـوم طـه بـين الخلائق قـوم قـد اعدوا لكـل أمـر خطـير

قـوم حـرية أعـدهم اللـه (م) ليتلـوا رسـالة التحـرير

في عبيـد يصـب كسـرى عليهم سـوطه ظالمـا وجـام النكـير

واستجـار الحـق المضيع بالعر ب فكانـوا الغيـاث للمستجير

صـرفت شـدة الجوارح فيهم في الطريق السوى تقوى الصدور

فـروى عنهـم الزمـان حديثـا ضمختـه فعـالهم بالعبـير

لـم تـلك القادسـية الشهيرة الا أسـطرا في كتـاب عز شـهير

واجتمـاع القلوب أضـمن للامـ ر المرجـى مـن الشـتيت النفير

عبـرة ليتنـا قبسـنا شعـاع النـور منهـا في مدلهـم الامـور

حين صـرنا الـى الخلاف فقدنا سـربنا ضـلة لسـوء المصـير

نحـن لم نحمـل السـيوف لهدر بل لاحقـاق ضـائع مهـدور

نحـن لـم نرفع المشـاعل للحر ق ولكـن للهـدى والتنـوير

نحـن لـم نطعـن الضمير ولكن بغنـانا احتـمى طعين الضـمير

كان فينـا نصر الضـعيف المعنى وانجبـار المحطـم المكسـور

أمتـي ان تجـر عليـك الزعاما ت فلا تيأسـي ، ذريهـا وسيري

انهـا ان تسـوء تشـل قـوى الشعـب وتبـل الاقـدام بالتـأخير

كنـت خـير الوجود قد شهد الله، وأحـرى الانـام في أن تصـيري

القـديم الحميـل ريـش جناحيك فـرفي في العـالمين وطـيري

رتلـي سـورة السـلام على الارض ، وغنـي انشـودة التحـرير

وقد اورد الدكتور كامل السوائيري منهـا ستة أبيـات تحت عنوان « امتي » . (١)

---

١ ـ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، ص ١٥٨ .

٨ ـ البصـــــرة : (١)

يقال البصـــرة اشتهرت بتمـــــر ... ســـلوا هـــل يملك الفقراء تمـــره

هنـــاك علـــى جنـــاح العز ناس ... وناس مـــن معاوزهم بغمـــــــره

فهـــل أمـــر الزنـــوج له معـــاد ... وكـــم شيء كرهت حمـــدت أمره

٩ ـ ذكـــرى الهجرة : (٢)

يـــوم مجد فات ما اجمل ذكـــره ... فيـــه لو ننطـــق آيـــات وعبـــره

فيـــه ان الحـــق ان حصـــــنه ... قـــوة لم يســـتطع ذو البطل هدره

فيـــه ان المـــال والاهـــــل اذا ... لم يجودا ضحيـــا من اجـــل فكره

فيـــه ان هـــم الفتـــى فايقتحم ... لا يخف ضحضاح ما ينوى وغمره

شرعة علمنـــــاها المصــــطفى ... ليتنـــا نمشـــي على الشرعة اثره

فليحـــــل الســـيف ما عقـــــده ... غـــادر بيـــت للاوطـــان غـــدره

ليس مثـــل البطش في الدنيا فكـــن ... باطشا يرهب أهـــل الارض شره

ضيع المضعـــوف لا ظفـــر لــــه ... ونجـــا المضعوف لو طـــول ظفره

ودمـــوع الـــذل مـــارق لهـــــا ... قلب ظلـــم ان قلـــب الظلم صخره

قـــوة المـــــرء لـــه حجتـــــــه ... وهي ان يظلم تقف في الناس عذره

واعدوا لـــم يقلهـــــــا ربكـــــم ... عبثـــا فلتحســـــنوا في الذكر نظره

لم تكـــن هجـــرة طـــــه فـــرة ... انمـــا كانت على التحقيق كـــــره

كانقبـــاض الليـــث ينـــوي وثبة ... وانقباض الليث في الوثبـــة سوره

ورمى في الســـوح أبطـــــالا لهم ... فوق ســـاح الموت تمراح وخطره

وانجـــلى العثـــير عن هاماتهـــم ... كللت بالغـــــار من مجـــد وفخره

نصروا اللـــه فلـــم يخـــــذلهمو ... بـــل جزاهم ربهم فـــوزا ونصره

---

١ ـ الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، من اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، ص٤٨

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٥٠ و ٥١ .

فمشوا في الناس نورا وهدى وبدوا فوق جبين الدهر غره

ركزوا أرماحهم فوق العلا وحدا الحادي بهم عزا وشهره

وأتينا نحن من بعدهمو وأضعنا ما جنوا طيشا وغره

يثغر السور علينا وترى ثم لا نرتق بالافعال ثغره

ونرى المآثر في امجادنا ثم لا نفسد للشقوة مكره

ونرى حد حمانا ناقصا كل يوم شطرة من بعد شطره

ولنا في كل يوم قالة فأرونا فعلة في العمر مره

لا يصون الحد الا حدة ويذيب القيد الا نار ثوره

ومذاق الموت أحلى في الوغى من حياة ضنكة في القيد مره

ونفوس الخلق أعلاها التي ان تعش عاشت وماتت وهي حره

لا تقولوا مالنا من قدرة ان تريدوا ينخلق عزم وقدره

ان فيكم لبقايا طيبات لم يزل في الدم مجراها وخيره

فانهجوا نهجا قويما واعملوا واعملوا لا تبخسوا مثقال ذره

ما أضر الشعب كاليأس فان يئس الشعب يكون اليأس قبره

هكذا نقضي ولما تبتدر غضبة في حقنا أية بدره

ولنا ثأر على الناس وما نام من يطلب أن يدرك ثاره

هاجر الهادي الى رجعي فان نحن هاجرنا فماذا بعد هجره

قد خرجنا امس من أندلس ودخلنا بعد في نيران حسره

واذا نحن خرجنا في غد هل يحن الناس للاقصى بذره

لا يخاف الناس الا ظالما فاظلموا كونوا ذوي بأس ومره

ليس يحمي الحق الا فتكة ويعيد الحق فينا غير قسره

١٠ ــ سأفلق قلب الظلم : (١)

لغير فؤادي يا ابنة الكرم سكرة وسلوى وغيري هام في عطر الريق

---

١ ــ المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

وما سـكرى الا دم الظالم مهدرا ومن لحمه نقلي من القحف ابريقي
ولم يكـن الظـل الظليل بمقعـد لنفسي ولكن عثير الحرب تشريقي (١)
سأفلق قلب الظلم أبغـى طريقه الى الحق كيما يسلك الناس تطريقي
يحاول تـ ريقي عن الحق مبطـل وحقك لن يسطيع ذو الحول تفريقي
سأطلب حقـي لا أكل مجاهـدا ولـو كان تمزيقي هناك وتحريقي

هذه هي القصائد والمقطعات التي وجدناها في الامالي البيروتية وفي النشرة التـي قدمتها بلدية نابلس العامة . في حين لم تدرج ضمن قصائد ديوان عبد الرحيم الذي حققه الدكتور السوافيري في عام ١٩٧٤م .

وبالاضافة الى قصيدة (بيني وبين قلبي) التي تفردت فيها الامالي البيروتية ، هنالك أبيـات متفرقة لم ترد في غير الامالي نحو :

حسرتا للدين والمجـد الـذي قـد أصيبا فيك بالركـن الوطيد
حسرتا للوطن الغالي وللامـل الفـاني ، ويا تعـس الجدود (٢)

كمـا تفردت الامالي في ايراد الابيات التـالية من قصيدة « مخلوقة أنت » : (٣)

قـالت الا تقطعـن حبلنـا فتحرق الـروح بنـار الندم
قلـت دعي هـذا فاني غـدا أنسـى بقربي من سواك الالـم
قالت وان عدت لنا صاغـرا من بعدها ، قلـت هـذا قسـم
قالت وتهـوى بعدنا غيرنـا قلت : نعـم أهـوى وأهوى نعم
فطمت قلبـي عن هواك الـذي أرضـيته قدمـا وعنـه انفطـم

مخلوقة أنت فـلا تكبـري

---

١ ــ العثير : غبار الحرب . التشريق : موضوع القعود في الشمس وقت الشتاء .
٢ ــ انظر قصيدة (موت البطل) في الامالي ، السنة الاولى ، عدد ٣٢ سـنة ١٩٣٩م ص ٢٢/١٠١٨ .
٣ ــ مجلة الامالي ، السنة الاولى ، عدد ٦ ، سنة ١٩٣٨م ، ص ٢٢ .

العيـــــــد (١)

للشـــاعر الفلسـطيني الشهيد عبد الرحيم محمـود

اخـاف من العيـد ، روحي به	احس بهـا من أسـى رازحـه
وابكـي بـه من مآسي الحيـاة	ومن سـخريات لهـا فاضحة
بـه يرتـدي الناس ثوب الرياء	حقيقتهم تحتـــه واضحـة
فهـذا يعنـي وفي لحنـــه	مقـاطع من نوحـة النائحـة
وذاك تهـلل عن بســمة	بعيـدة عهـد بـه كالحـة
وذاك رضــي بمقـدوره	وفي الصـدر نفس نزت طامحة
وذاك اطمــأن الـى يومـه	وفي روحـه قلـق البارحـة
وكلهمـو كتمـت نفســه	سـرائر ليسـت بهـا بائحـة
وكلهمـو في حنـاياه نـــار	أكـول لمـا قـد حوت جائحة
ولكننـا نحـن اهـل الشعور	نـرى الحـب باللفتـة اللامحة
فصـدق اذا قلـت ــ لا فارح	بعيـد هنـاك ولا فارحـة
ومـاذا هنـاك ؟ هنـاك جياع	لقـد شـبت فيهم سعار الجسد

---

١ ــ جريدة الرأي ، العدد ٤٣٦٩ ، الجمعة ١٤/٥/١٩٨٢ . وقد ارسل بهـا السيد مروان راضي الطاهر من الدمام في المملكةالعربية السعودية ، وجاء في تقديمه للقصيدة :

« ارفق لكم طيه قصيدة من شعره ممن لم يسبق نشره الا مقطعا واحدا سـبق لي نشره في مجلة النذير الاردنية التي كانت تصدر في نابلس عام ١٩٤٩م في العـدد الثاني من السـنة الاولى وقـد تنـاقلها الكتـاب دون علـم بمصدرها أو بقيـة القصيدة . واني أهديها بدوري كاملة الى الصديق الدكتور عيسى الناعوري ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، الدكتور عبد الرحمن ياغي ، الدكتور كامل السوافيري .. راجيا التكرم بنشرها كاملة للذكرى والتاريخ ولكم جزيل الشكر » .

* أضفنا هذه القصيدة الى الملحق بعد كتابة هذا البحث ومناقشته للحصول على درجة الماجستير .

وماذا هناك ؟ هناك العبيد ... يضجون تحت ثقيل الصفد

هناك الثكالى فكم والد ... دعاة الزمان بثكل المولد

هناك القلوب التي حطمت ... على صخرة من جفاء وصد

هناك. هناك الالى يرهبون ... غدا ان يجيء واقرب بغد !

هناك الدموع هناك الانين ... هناك القنوط هناك الكمد ..

افي العيد شيء يسر النفوس ... ويأتي اليها بما قد تود ؟

وان كان .. ما نعمة لا تعم ... فتورى نار القلا والحسد ؟

وما فرحة مثل ومض البروق ... وليست تدوم دوام الابد

اذا رق احساسنا في الوجود ... واضحت نفوس لنا شاعرة

اذا هدأت نزوات الحياة ... اتي في جبلتنا ثائرة

اذا ائتلفت في طريق المحبة ... أرواحنا النكرة النافرة

اذا ما صهرنا قيود العبيد ... بنار من القوة القاهرة

اذا الذئب عف والقى الامان ... على الشاة من فتكة غادرة

اذا ما نعمنا بلقيا المنيع ... وقرت رغاب لنا حائرة

اذا اطعمت من لذيذ الكرى ... عيون على رغمها ساهرة

اذا نحن لم نذكر المحزنات ... بفقد التذكر والذاكرة

اذا كان هذا فثمة عيد ... وتلك مظاهره الساحرة

وثمة يحسن وجه الحياة ... فتصبح فتانة ناضرة

وتجعل دنيا زهدنا بها ... والا .. فموعدنا الاخرة

الفهـــارس

- فهـرس المصـــادر والمراجـــع
- فهـرس الموضـــــــــوعات



فهرس (المصادر والمراجع)

ابراهيم انيس ـ موسيقى الشعر ، مكتبة الانجلو المصرية . مطبعة لجنة البيان العربي، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م .

ابراهيم طوقان ـ ديوان ابراهيم طوقان ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٥٥م .

ابوبكر الانباري ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م .

ابو تمام ـ ديوان ابي تمام ، المجلد الاول ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧م .

احمد الشايب ـ اصول النقد الادبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

امرؤ القيس ـ ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

اميل الغوري ـ فلسطين عبر ستين عاما ، الجزء الاول والثاني ، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ، ٧٢ـ١٩٧٣م .

ايليا ابو ماضي ـ شاعر المهجر الاكبر ، تقديم (جبران خليل جبران / تصدير الدكتور سامي الدهان دراسة زهير مرزا) ، دار اليقظة العربية ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .

البدوي الملثم ـ « يعقوب العودات » :

أ ـ ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته .

المكتبة الاهلية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م .

ب ـ من اعـلام الفكـر والادب في فلسطين .
جمعية عمال المطابع الاردنية ، عمان ، الطبعة الاولى ١٩٧٦م.

برهان الدين العبوشي ـ ديـوان ، « جبـل النـار » ، بغداد ١٩٥٦م.

بشار بن بـرد ـ ديوان بشار ، جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٣م .

توفيق زيـاد ـ عن الادب والادب الشعبي الفلسطيني ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠م

جبرا ابراهيم جبرا ـ الرحلة الثامنة ، صيدا ، بيروت ١٩٦٧م .

جـريـر ـ ديوان جرير ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٩هـ ـ١٩٦٠م

حافظ ابراهيم ـ ديوان حافظ ابراهيم ، طبعة وشرحه ورتبه : احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابيـاري ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، الجـزء الاول ، الطبعة السادسة ١٩٥٦م .

رجاء النقاش ـ محمود درويش شاعر الارض المحتلة ، كتاب الهلال ، دار الهـلال ، العدد ٢٢٠ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ ، يوليو ١٩٦٩م ، القاهرة .

الرصـافي ـ ديوان الرصافي ، الجزء الثاني ، المكتبة التجارية الكبرى بمصـر ، بدون تاريخ .

سميح القاسم ـ عن الموقف والفن ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

شوقي ضيف ـ أ ـ البطـولة في الشـعر العربي ، دار المعارف بمصر ، يوليـه سنة ١٩٧٠م .
ب ـ في النقد الادبي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة، ١٩٧٦م
جـ ـ فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١م

د ــ دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف بمصــر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م .

صالح مسعود ابو يصير ــ جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٦٨هــ١٩٦٨م .

صفي الدين الحلي ــ ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر ، بيروت للطباعة والنشــر ١٩٦٢م .

عارف العارف ــ النكبــة ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان ١٩٧٠م

عبد الرحمن عثمان ــ مذاهب النقد وقضاياه ، مطابع شركة الاعانات الشرقية ، القاهرة الطبعة الاولى ١٩٧٥م .

عبدالرحمن ياغي ــ حياة الادب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٦٨م

عبدالعزيز عتيق ــ علــم العــروض والقافيــة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنــان ١٩٦٧م .

عبدالرحيم محمود ــ أ ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، شركة الطبــاعة الحــديثة ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٩٥٨م .

ب ــ ديوان عبد الرحيم محمود ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤

جـ ــ النشرة الثانية عن اعلام الفكر والادب الفلسطيني ، مكتبة بلدية نابلس العامة ١٩٧٥م .

عبدالقادر ياسين ــ كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨م .

مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، ايار (مايو) ١٩٧٥م .

عبدالكريم حسن ــ قضية الارض في شعر محمود درويش ، دمشق ١٩٧٥م .

عبدالكريم الكرمي ــ أ ــ ديوان ، اغنيات بلادي ، دمشق ١٩٦٠م .
ب ــ كفاح عرب فلسطين ، بدون تاريخ .
جـ ــ ديوان أبي سلمى ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م .

عبدالوهابالكيالي ــ تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، اذار ١٩٧٣م .

عزالدين اسماعيل ــ
أ ــ الشعر في اطار العصر الثوري ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤م .
ب ــ الاسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٩٦٨م .

علي احمد سعيد ــ « ادونيس » :
أ ــ مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، تشرين الاول ١٩٧١م .
ب ــ زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، مطابع المتنبي ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م .

علي الجارم ــ ديوان علي الجارم ، الجزء الرابع ، دار المعارف بمصر ١٩٤٧م .

عمر بن ابي المخزومي ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، اعداد وتقديم علي مكي، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

عمر فروخ ــ شاعران معاصران ، المكتبة العلمية ومطبعتها ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٥٤م .

عيسى السفري ـــ فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، مكتبة فلسطين الجديدة، الجزء الاول ، يافـــا ، ١٩٣٧م .

عيسى الناعوري وابراهيم القطان ـــ بطولات عربية من فلسطين ، مطبعة الاســـتقلال العربي ، عمان ١٣٧٥هـ ـــ ١٩٥٦م .

غـــالي شكري ـــ ادب المقاومة ، بيروت ١٩٧٠م .

غسان كنفاني ـــ ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ، دار الاداب ، بيروت ، بدون تاريخ

كامل السوافيري :

أ ـــ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م .

ب ـــ التجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ ـــ ١٩٧٣م .

ماهر حسن فهمي ـــ الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، معهـــــد الدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠م .

المتنبـــــــي ـــ ديوان المتنبي ، الجزء الاول والثالث ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

محمد احمد حماد ـــ لبـــاب الثقافة والادب ، دار القومية العربية للثقافة والنشـــــر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٢م .

محمد السعدي فرهود ـــ التيار الفكري في شعر عبد الرحمن شكري ، المكتبة السعدية، القاهرة ١٣٩٦هـ ـــ ١٩٧٦م .

محمد عزة دروزه ـــ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، الجزء الثاني ، المكتبـــة

العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الثانية ذو القعدة ١٣٧٨هـ كانون الثاني ١٩٦٠م .

محمد غنيمي هلال ــ النقد الادبي الحديث ، مطابع المتنبي ، لبنان ، بيروت ، دار الثقافة والعودة ١٩٧٣م .

محمد مندور ــ الادب وفنونه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٤م .

محمد النويهي ــ وظيفة الادب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، مطبعة الرسالة القاهرة ، ١٩٦٦ ــ ١٩٧٦م .

محمود درويش ــ أ ــ ديوان ، يوميات جرح فلسطيني ، دار العودة ، بيروت ١٩٦٩م

ب ــ شيء عن الوطن ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الاولى الاولى ١٩٧١م .

جـ ــ ديوان محاولة رقم ٧ ، دار الاداب ، الطبعة الاولى ، نيسان (ابريل) ١٩٧٤م .

مصطفى الشكعة ــ رحلة الشعر من الاموية الى العباسية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧١م .

مصطفى مراد الدباغ ــ بلادنا فلسطين ، الجزء الثالث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م .

ناصر الدين الاسد ــ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، مطبعة لجنة البيان العربي ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ١٩٦٠م .

ياقوت الحموي ــ معجم البلدان ، المجلد الثالث ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م .

« الدوريـــــــــــات »

صحيفة الاتحاد ـــ الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ١٩٧٥م ـــ ابو ظبي .

مجلة الاداب البيروتية ـــ العدد الثاني ، شباط ١٩٧٣م السنة الحادية والعشرون .

العدد الرابع ، نيسان ١٩٧٣م ، السنة الحادية والعشرون .

العدد الخامس ، ايار ١٩٧٥م ، السنة الثالثة والعشرون .

مجلة الامالي البيروتية ـــ الاعـــداد :

الاول والثالث والسادس والسابع والثـــامن والتاسع والعاشر والحادي عشر لسنة ١٩٣٨م .

والاعداد : الثاني والثلاثون والثالث والثلاثون والرابع والاربعون لسنة ١٩٣٩م

مجلة الثقافة العربية الليبية ـــ العدد الثامن ، رجب ، شعبان ، ١٣٩٥هـ ، اغســطس ١٩٧٥م ، طرابلس ، ليبيـــا .

صحيفة الرأي الاردنية ـــ الثلاثاء ٢٨ـــ١٠ـــ١٩٧٥م ، عمــــان .

صحيفة الرأي الاردنية ـــ الجمعة ١٤ـــ٥ـــ١٩٨٢م ، العدد رقم ٤٣٦٩ ، عمــــان .

مجلة الرسالة ـــ العدد ١٧٢ ، ١٩ اكتوبر ١٩٣٦م ، السنة الرابعة .

مجلة شؤون فلسطينية ـــ العددان : ٤١ و ٤٢ ، كانون الثاني ، شباط ١٩٧٥م .

« رســـــالة جامعيـــــة »

رسالة ماجستير مخطوطة بعنوان : الشـــــعر الفلســطيني الحـــديث من ســنة ١٩٤٨م ـــ ١٩٧٠م ، تقـــدم بها الطالب : خـــالد علي مصطفى الى كلية الاداب وهيئة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٥م

« مقـــــابلات شـــخصية »

مقابلة مع طلال عبد الرحيم محمود ابن الشاعر

عمان ، دائرة المطبوعات والنشر سنة ١٩٧٦م .

مقابلة مع السيد عزت نصار صديق الشاعر وعم زوجه

اربــد ، ١٩٧٧م .



« فهرس الموضوعات »

الصفحة

مدخـــــل :

الصفحة



يطلب هذا الكتاب من المؤلف على العنوان التالي :
الاردن ــ اربــد ــ ص٠ب : ٩٧٥ ــ هاتف : ٢٢٤٢

مطبعــة الخــالدي
عمــان ــ الاردن
هاتف : ٢٧٣٢٨

الثمن : (٣) دينار اردني أو ما يعادلها

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
٨١ / ٢ / ١٩٨٤


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com